موسوعة العلماء والشعراء

علماء الصيدلة الشعراء

الجزء الثالث

تأليف المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

مؤرخ علم الرياضيات وتاريخ العلم والعلماء

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ـ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : موسوعة العلماء الشعراء – علماء الصيدلة الشعراء – الجزء الثالث

المؤلف : د. سمير محمد عثمان الحفناوي

رقم الإيداع :

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا .

الطبعة الأولى 2010

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- قال تعالى :

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة] .

- قال تعالى :

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس] .

- قال تعالى :

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:44] .

- قال تعالى :

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:69] .

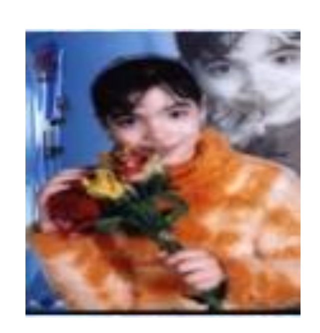
- قال تعالى :

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء] .

- قال تعالى :

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء:82] .

الإهداء



إلى ثمرة فؤادي......

وروح قلبي ......

وفلذة كبدي....

ابنتي الراحلة : ياسمين

أهدى هذا الكتاب لكل من توفى له ولد وكان صابرا محتسبا عند الله فلقد ساعدتني ياسمين على جمع مخطوطات العرب والمسلمين وكانت تحرص معي على إحياء ذكراهم فى التاريخ أبد الدهر وأسأل الله أن تكون ذخرا لنا فى الجنة وأن يدخلنا الله وإياكم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب ... وأتوسل من القارئين أن يدعوا لى ولوالدتها أن يفرغ الله علينا صبرا وأن تأخذ بأيدينا إلى الجنة من غير أن يُنصب لنا ميزان أو يُكتب لنا ديوان.

والدك : المؤرخ المصري

الفصل الأول

تمهيد

◆◆◆

الحمد لله ناشر الأمم، ومنشر الرمم، بارئ النسم ، ومبرئ السقم ، العائد من فضله بسوابغ النعم ، الموعد من عصاه بأليم العقاب والنقم ، مخرج الخلائق بلطيف صنعه إلى الوجود من العدم ،مقدر الأدواء ومنزل الدواء بأتم الصنع وأتقن الحكم، وأشهد أن لإله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة بوفاء الذمم ، مخلصة من موبقات الخطل والنقم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم، المرسل إلى كافة العرب والعجم،الذي أنار بتلألؤ نور مبعثه حنادس الظلم ، وأباد بسيف معجزه من تجبّر وظلم ،وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم، صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهمعت اليم، وعلى آله أولي الفضل والكرم،وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم،وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرآت من الدنس وشرف وكرم.

وبعد: فقد أودعت في هذا الكتاب ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ممن لهم نظر في صناعة الدواء ، وجملا من أحوالهم ونوادرهم وأشعارهم وأسماء كتبهم .

أ ـ مفهوم الصيدلة:

الصيدلة علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها، ويتصل اتصالاً وثيقًا بعلمي النبات والحيوان؛ إذ أن معظم الأدوية ذات أصل نباتي أو حيواني، كما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم الكيمياء؛ لأن الأدوية تحتاج إلى معالجة ودراية بالمعادلات والقوانين الكيميائية .

كانت الصيدلة في بادئ الأمر غير مستقلة عن الطب في كل أنحاء العالم المعروف آنذاك. وكان الدواء ينتقل من يدي الطبيب إلى فم المريض مباشرة، وللطبيب أعوان يساعدونه على جمع الأعشاب، ثم يتولى بنفسه صنع الدواء وتركيبه وقبض ثمنه من المريض، وكان في ذلك حط لقدر الطبيب. وهنا انقسمت مهنة الطب إلى قسمين : تشخيصي وعلاجي؛ أي نظري وعملي، ومن ثم انفصلت صناعة الطب عن صناعة العقاقير واستقل كل منهما بذاته .

وكان الرازي أول من قال باستقلال الصيدلة عن الطب، كما رأى أن جهل الطبيب بمعرفة العقاقير لا يحول دون ممارسته الطب. ويبدو ذلك جلياً في معرض حديثه عن امتحان الطبيب: «أما امتحانه بمعرفة العقاقير فأرى أنها محنة اختبار ضعيفة، وذلك أن هذه الصناعة هي بالصيدناني أولى منها بالطبيب المعالج، إلا أن تقصير معرفته بالكثير الاستعمال منها يدل على قلة علمه ومزاولته ودربته... ويمكن أن يكون طبيبًا فاضلاً مقصرًا عن كثير من خلال العقاقير».

بعد أن انفصلت الصيدلة عن الطب، ارتفع مستوى العقاقير، وأنشئت حوانيت (عطارات) لبيعها وتصريفها، وأنشئت مدارس لتعليم صناعة تركيب الأدوية، ثم توسعت هذه العطارات وتحسنت، مما تمخض عن فتح أول صيدلية في التاريخ في بغداد عام 621هـ، 1224م. وألّف العرب في هذا العلم ما أطلقوا عليه اسم **الأقرباذين**؛ أي الدستور المتبع في تحضير الأدوية. ولعل من أهم مآثر المسلمين في تلك الحقبة ـ في مجال الصيدلة ـ أنهم أدخلوا نظام الحسبة ومراقبة الأدوية. ونقلوا المهنة من تجارة حرة يعمل فيها من يشاء، إلى مهنة خاضعة لمراقبة الدولة.

وكان ذلك في عهد المأمون، وقد دعاه إلى ذلك أن بعضًا من مزاولي مهنة الصيدلة كانوا غير أمينين ومدلّسين، ومنهم من إدّعى أن لديه كل الأدوية، ويعطون للمرضى أدوية كيفما اتفق؛ نظرًا لجهل المريض بأنواع الدواء. لذا أمر المأمون بعقد امتحان أمانة الصيادلة، ثم أمر المعتصم من بعده(221 هـ، 835م) أن يمنح الصيدلاني الذي تثبت أمانته وحذقه شهادة تجيز له العمل، وبذا دخلت الصيدلة تحت النظام الشامل للحسبة، ومن العرب انتقل هذا النظام إلى أنحاء أوروبا في عهد «فريدريك الثاني» (607 ـ 648هـ، 1210 ـ 1250م)، ولا تزال كلمة **مُحْتَسِب** مستخدمة في الأسبانية بلفظها العربي حتى الوقت الراهن. وعقب الفصل بين مهنتي الطب والصيدلة، ارتقت كلتا المهنتين؛ إذ تفرغ الطبيب إلى التشخيص والبحث، وتفرغ الصيدلاني إلى تجويد عمله عن طريق البحث، ووُضع للصيادلة دستور يسيرون عليه ويلتزمونه، وينص هذا الدستور فيما ينص ـ على التمييز بين علم الطب وعلم الصيدلة، فحظر على الصيدلي التدخل في أمور الطب، كما حظر على الطبيب امتلاك صيدلية أو أن يفيد من بيع العقاقير، وبذا لا تحق ممارسة مهنة الصيدلة إلا لحامل ترخيص رسمي، ولا يحق ذلك أيضًا إلا لمن أدرجت أسماؤهم في جدول الصيادلة.

وكان يناط بمفتش رسمي في كل مدينة للإشراف على الصيادلة وكيفية تحضير العقاقير. يسَّر ـ هذا الدستور للصيدلة أن ترتقي بوضوح علـمًا قائمًا بذاته، مما جعل الصيادلة ينتقلون إلى مملكة النبات التي وجدوا فيها مجالاً خصبًا للعمل؛ فزرعت النباتات الطبية بشكل منتظم وفق شروط خاصة في مزارع خاصة رعاها الحكام، وجلبوا لها البذور اللازمة من كل مكان يطلبه الصيادلة، وذلك ما فعله «عبدالرحمن الأول» في قرطبة. ووفق تنظيم مهنة الصيدلة، أصبح في كل مدينة كبيرة عميد للصيادلة يقوم بامتحانهم كابن البيطار في القاهرة. كما فرض الدستور الجديد على الأطباء أن يكتبوا ما يصفون من أدوية للمريض على ورقة سمّاها أهل الشام **الدستور** وأهل المغرب **النسخة** وأهل العراق **الوصفة**.

ب ـ تاريخ الصيدلة عبر العصور:

تمهيد : المداواة بالأعشاب بدأت مع الحيوان . فتعلم الإنسان منه عندما لاحظ أن الكلاب عندما كانت تعتل صحتها كانت تأكل أعشابا فتهدأ وتشفي . وكانت القطط عندما تشعر بآلام بمعدتها تبحث عن نبات النعناع وتأكله ليساعدها على طرد الغازات من بطونها .

واكتشف الإنسان أن النعناع يحتوي على زيوت طيّارة طاردة للرياح.وبدأ الإنسان في إنتقاء دوائه من الأعشاب . وخلال السنين أصبحت لديه الخبرة العلاجية مستعينا بما يحيط به في بيئته. وكان هناك مصادر قديمة لدى كل شعوب العالم القديم للأدوية المفردة: النباتية، والحيوانية، والمعدنية منذ فجر التاريخ في المجتمعات البدائية و في الأدغال.وحاول الإنسان عبر تاريخه معالجة أمراضه من عشب أو نبات أو حجر أو معدن أو قرن غزال أو مخلب حيوان. ولقد بدأت قصة التداوي بالأدوية مع الحيوانات بدوافع غريزية في الصين ومصر القديمة وبابل والإغريق والبطالمة والرومان والعرب.

وبداية ممارسته الصيدلة عندما كان الإنسان الأول يضع عصير أوراق النباتات فوق الجروح ليعالجها .وأصبحت مهنة الصيدلة حالياً،هي ممارسة تواليف الأدوية وصناعتها عبر العصور وتتصل بصحة وحياة الإنسان والحيوان.والصيدلية هي المكان المختار الذي به المادة الطبية materia medica تركيب الدواء وتداوله وبيعه.وهي فرع من فروع الطب .والصيدلة تعني بطبيعة وخواص وتحضير الأدوية. لهذا نجدها مهنة كيماوية وطبية لأنها مسئولة عن إكاشاف أدوية علاجية جديدة ضد الأمراض وتصنيع مواد عضوية لها قيمة علاجية.علاوة علي أن الصيدلي يسدي النصائح الطبية والصحية للجمهور .

وكانت الصيدلة وممارسة الطب تمارس في المعابد من خلال الكهنة.لهذا كان علاج المرضي بالدواء والتعاويذ الدينية في مطلع التاريخ الإنساني.وبدأ التخصص في الصيدلة يظهر في القرن الثامن في العالم المتمدين ببغداد.ثم انتشرت تدريجيا في أوروبا تحت اسم الكيمياء والكيميائيين.وكان الأطباء يحضرون الدواء ويصفونه للمرضي.وكانت الأدوية إما أدوية مفردة تتكون من عنصر طبيعي مفرد (واحد) وأدوية مركبة تركب من عدة عناصر طبيعية وأطلق العرب عليها الأقرباذين.

وقد أصبح الصيادلة حديثاً يتعاملون مع الأدوية والعلاجات المعقدة غير ما كان يصنع من الكسيرات وبدرات وسوائل كحولية كانت مدرجة في دستور الأدوية Pharmacopeia البريطاني عام 1618 ودستور الأدوية الفرنسي- عام 1639 أو دستور الأدوية الأمريكي عام 1820 وهذه الدساتير كانت تضم الأدوية والعقاقير التي كانت متداولة في كل بلد ويضعها الصيادلة والأطباء معا بتكليف من السلطات الصحية وفيها تصنيف للدواء واستعماله وطرق معرفة غشه ومواصفاته والكشف عليه واستعمالاته وتحديد جرعاته.

1 ـ الصيدلة عند الصينيين

عرف الصينيون القدماء التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، وكان علماء الصين يجربون تأثير الأدوية على أنفسهم وعلى الحيوان. ويعتبر العالم الصيني: شن تونج (القرن 22 ق.م) مؤلف كتاب الصيدلة: «بن تساو» الذي يعتبر أول دستور للأدوية حيث يحتوي على 365 دواءً نباتياً بعدد أيام السنة .

ويعتبر «شن تونج» مؤسس الصيدلة في الصين. حيث اكتشف تأثير نبات شانج شانج «الأفدرا» المنشط والمعرق. ومنه يستخلص حاليا مادة الإفدرين التي تستعمل في الربو. والصينيون كانوا ينقعون الأعشاب الطبية في الماء أو يخمرونها، واستعملوا منها المراهم والضِّمَادات الطبية،وقسموا العقاقير النباتية إلى حلو لتغذية العضلات ومالح لتغذية الأوعية الدموية،ومر لتغذية الجسم . وأعطوا أهمية كبيرة للأدوية المفردة، وتجنبوا الأدوية المركبة، وتبادلوا فيما بعد المعلومات الطبية مع علماء المسلمين بجازان.

2 ـ عند قدماء المصريين

احتكر الكهنة في مصر القديمة ممارسة الطب والصيدلة في المعابد وبيوت الحياة الملحقة بها.ويعد «أمحوتب» من أشهر أطباء مصر القديمة وصيادلتها في القر30 ق م.وسجل قدماء المصريين خبرتهم بالأدوية على جدران المعابد والقبور وأوراق البردي، ومن أشهر هذه البرديات بردية (ايبرس (التي ترجع للقرن 16 ق.م . وقد تحدثت البرديات عن نباتات طبية عديدة كانت تنمو في أرض مصر أو تجلب من الصومال أو السودان أوالجزيرة العربية أوالحبشة.واعتمد قدماء المصريين في تحنيط جثث الموتى وحفظها من التلف على بعض النباتات كالحنة والبصل والصمغ وخيار شمبر والمر واللبان ونشارة الخشب والكتان ونبيذ البلح.

3 ـ الصيدلة عند الإغريق

استفاد الإغريق من تراث قدماء المصريين والبابليين وشعوب العالم القديم في التداوي بالأدوية.واعتبروا الثعبان رمزاً للحياة والحكمة والشفاء، مثلما اعتبر المصريون الكوبرا رمزا لها. وكان العشابون يجمعون أكثر العقاقير الطبية في الظلام،وفي أول الشهر القمري، وفقا لقواعد خاصة. ومن أشهر علماء الأدوية عند الإغريق «أبقراط» أبو الطب (460 -337 ق.م) وثيوفراستوس أبو النبات (387-317 ق.م) وأرسطو المعلم الأول (843ق م) والطبيب الإغريقي ديوسكوريد الذي ألف كتابا يحمل عنوان: «المادة الطبية» بين فيه الفاعلية العلاجية للعقاقير النباتية والحيوانية والمعدنية.

4 ـ الصيدلة عند البطالمة

يبدأ عصر البطالمة عند اليونان بوفاة الإسكندر الأكبر عام (323ق.م).وفي مدينة الإسكندرية زرعت في حدائقها مئات الأنواع من الأعشاب والنباتات الطبية، ودرست خواصها وتأثيراتها العلاجية على أيدي علماء من بينهم العالم الشاعر «نياكور» الذي ألف قصيدتين إحداهما عن العقاقير الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية وعن السموم ومضاداتها والثانية باسم: «الترياق» وكان الإغريق يصنعون المراهم واللبخات في تحضيرالأدوية . والكيمياء كان أول وجودها في الإسكندرية أثناء العصر الإغريقي.وكان العلماء الإغريق يعتبرون أن كل الأشياء تتكون من الهواء والتراب والنار والماء.وفي القرن الرابع ميلادي أصبح للتنجيم astrology والسحر magic والتعاويذ أهمية.

وكان علماء اليونان الإغريق لهم الفضل الكبير في إنشاء المدارس التي تهتم بعلم الطب والصيدلة،كما رفع الإغريق كاهنهم «اسكولاس» إلى مصاف الآلهة واطلقوا عليه لقب إله الشفاء.وكانت الثعابين عندهم رمزاً للحياة والحكمة والشفاء وقد بقي الثعبان الملتف حول العصا رمزا للصيدلة حتى اليوم.

5 ـ الصيدلة عند الرومان

استفاد الرومان من المعلومات عن الأدوية لدى الإغريق وقدماء المصريين والبابليين والبطالمة عن طريق مدرسة الإسكندرية التي انتقلت علومها إلى روما. واشتهر من الأطباء الرومان المعالجين بالعقاقير «أندروماك» (20-70 ق.م)، «وديسقوريدس» (6-50 ق.م) الذي وضع كتاباً في الأعشاب الطبية سماه (الحشائش) ذكر فيه 500 عَقّار نباتي، «وجالينوس» أبو الصيدلة (130-201)ق.م، وله 98 كتاباً في الطب والصيدلة .أما الرومان، فقد نقلوا إلى روما الكثير من حضارة الإغريق وقدماء المصريين عن طريق مكتبة الأسكندرية التي كانت تضم آلاف المخطوطات.وإشتهر حاكم روما « كانو» بوضع أوراق الكرنب على الجروح والقروحات والأورام. و كان «أندروماك» طبيب الإمبراطور «نيرون» الشهير يستعمل تركيبة تدخل فيها عشرات الأعشاب كترياق لعلاج حالات التسمم. وديسقورديس ألّف كتباً عديدة أهمها «الخشخاش» والتي ذكر فيها 500دواء . ويعتبر أول من استعمل علم النبات كمادة علمية في تطوير مهنة الصيدلة وأول من وصف الأفيون وشجرة الخشخاش التي يأتي منها.

6 ـ الصيدلة عند العرب

كان التداوي بالأدوية عند العرب بزهور النباتات وبذورها وجذورها .فاستعملوا البصل والكمون لمعالجة أمراض الصدر، والثوم لمعالجة ديدان وأمراض المعدة، والتين لمعالجة الإمساك، والحلبة لأمراض الربو والسعال، والحبة السوداء لأمراض الجهاز الهضمي، والكمأة لعلاج أمراض العين،والسواك لعلاج الأسنان. وحرر الإسلام العلم والطب من العِرافة والكهانة والشعوذة، وقد وردت أسماء بعض النباتات الطبية في الأحاديث النبوية في مجال العلاج وفي مجال الأدوية والأشربة والخضاب، ومن هذه النباتات: التمر، والريحان، والحنظل،والخردل، والسمسم، وشوك السعدان، والشعير،والسلق، والحنطة، والطلح، والبطيخ، والقثاء، والثوم، والبصل، والعنب، و الحناء ، والزعفران والعصفر، والصندل و الكافور ، والصبر، والحبة السوداء.

واكتشف العلماء العرب أدوية جديدة أضافوها إلى علم الأدوية من بينها: المسهلات كالراوند، والسنامكي، والسنط، والمنشطات كالجوز المقيئ والأكونيت(خانق الذئب)والقنب (الحشيش) والأرجوت(صدأ القمح) كمسكن للألم، الخشخاش (الأفيون) كمنوِّم ولتسكين الألم وإيقاف السعال ومنع الإسهال. واستعملوا الكافور والصندل والقرنفل والمر وجوزة الطيب والتمر هندي والقرفة واليانسون والزنجبيل والتوابل في التداوي. وكان العرب يمارسون تخدير المريض أثناء العمليات الجراحية فقد أكد رءوا أن الأطباء المغاربة كانوا يستعملون السكران وهو عشب مخدر، وجوز الطيب في عملية الختان أو تركيبة دواء من السكران والكبريت ويكون البخار المتصاعد من طبخهما بمثابة مخدر يستمر تأثيره 24ساعة .وكثيرا ما كانوا يستعملون أعضاء بعض الحيوانات لمعالجة الأمراض كداء الكلب (السعار) بتناول9 مثقال(جرام) من كلية الكلب العقور بمجرد قتله، أو مرارته التي تحتوي على مادة مضادة لجراثيم داء الكلب. وشعر العرب منذ القرن الثاني للهجرة بأهمية علم الصيدلة في التجارب الطبية، كما اقتنعوا بأن معرفة الكيمياء أساسية في البحوث الصيدلية، وقد أكد «برتيلو» في كتابه «الكيمياء في القرون الوسطى» أن كتب «جابر بن حيان» في الكيمياء هي غاية ما وصل إليه العقل الإنساني من الابتكار، وأن كل المشتغلين بهذا العلم من بعده كانوا عالة عليه. وأول من نظم صناعة الطب وقيدها حرصا على مصلحة الجمهورالخليفة العباسي المعتصم ففرض تأدية امتحان في الطب والصيدلة وأجرى أول امتحان للصيادلة عام 221 هـ. وكان (المحتسب ، يحلف الأطباء والصيادلة السر- المهني . وهو أن لا يعطوا أحداً دواءاً مراً ولا يركبوا له سماً ولا يصنعوا التمائم عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل، والغض عن المحارم وعدم إفشاء الأسرار والتوفر على جميع الآلات). وكان علم الطب والتداوي عند العرب مزدهراً بينما كان الأوروبيون يجهلونه ويحتقرون اصحاب ،حيث كانت الكنيسة قد حرمته عليهم وحصرت التداوي في زيارة الكنائس والاستشفاء بالتبرك بالقديسين والتعاويذ والرقى التي كان يبيعها رجال الدين وكان الأوروبيون يستنكفون من النظافة والإغتسال لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين وكان علماء النبات يسمون في المشرق بالعشابين والشجارين والنباتيين والحشائشيين.وقد ازدهر بالمشرق والأندلس علم النبات في القرن

12فظهر النبطي(أبو العباس أحمد بن مفرج المعروف بابن الرومية ولد في أشبيلية عام 61 5هـ) وتلميذه «ابن البيطار» وهما أندلسيان ورشيد الدين الصوري المتوفي عام 639 هـ.ودرس النبطي أعشاب الأندلس والمغرب . وصنف كتاب (الحشائش) ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم.وقال «لوكلير»عن ابن البيطار: أنه أعظم نباتي العرب.وقد استفاد «ابن البيطار» بانتقاله بجبال الشام وكان يصحبه رسام يصور له الأعشاب. وقد رحل إلى المشرق عام 1217 م ومر بالمغرب وسجل ملاحظات شتى حول الأعشاب وبعض الأسماء وذكر في كتابه ما سمع به وقرأه في تصانيف الأدوية المفردة وضبطه على حروف المعجم، وعينه السلطان الكامل رئيس العشابين ومات بمصرعام 1248 م وكتابه «جامع المفردات» أكمل وأوسع ما صنفه العرب في الطب وقد ترجمة «لوكلير» إلى الفرنسية وهو يتضمن المئات من وصفات العقاقير. وكانت دراسة الصيدلة قد انتعشت أيام الخلافة العباسية منذ عام750 م وحتي عام 1258ولاسيما عند ظهور كتاب «جابر بن حيان» (كامل الصنعة في الكيمياء) الذي يعتبر أقدم كناب في الكيمياء جمع فيه المعارف وأبحاثه ولاسيما حول الذهب والزئبق والزرنيخ والكبريت والأملاح والأحماض وكان يعتقد أن المعادن خليطاً مصنوعاً من الزئبق والكبريت بنسب مختلفة .بعده اكتشفت عناصر جديدة واستحدثت طرق تحضير أخري. ومن العرب وجدت علوم الكيمياء طريقها من الأندلس بأسبانيا لأوربا ،وأصبح علم الصيدلة أيام الخلافة العباسية علما قائما بذاته،مكملاً لمهنة الطب، وكان نشوء علم الصيدلة عند العرب يعود إلى تاريخ القرن الثامن حيث كان يوجد مركّبو أدوية في مستشفى جنديسابور بإيران.وكان علم الصيدلة والأدوية مطبقاً في المستشفيات و في الصيدليات العامة والخاصة.وكان كتاب «الصيدلة في الطب» للبيروني (القرنين العاشر والحادي عشر) مصدراً غنياً بالمعلومات، فهو يعرض تاريخ علم الصيدلة عند العرب· ويضم تعريفات للمصطلحات الخاصة بعلم الصيدلة وتصنيف الأدوية على شكل غذاء ودواء و سموم، وعرف البيروني كلمة صيدنة ومرادفتها صيدلة أو مهنة الصيدلة بأنها (ترتكز على معرفة العقاقير البسيطة بأصنافها وأنواعها ومميزاتها وعلى معرفة صنع الأدوية المركبة وفق وصفتها الثابتة (المدونة) أو وفق رغبة الشخص المكلف بالعلاج المؤتمن المصلح)· وقد تطورت قوانين الصيدلة على مر القرون لا سيما بعد دراسة دستور الصيدلة الذي وضعه القلانيسي Qalânîsî بالقرن13 .

كانت الكيمياء Alchemy في العصور الوسطي تقوم أبحاثها علي محاولة تحويل المعادن الخسيسة لذهب وفضة ومحاولة إيجاد وسيلة لإطالة حياة الإنسان.ففي العصور الوسطي كان العالم الإنجليزي «روجر بيكون» وغيره ما زالوا يعتقدون أن المعادن الخسيسة يمكن تحويلها لذهب.. وحاولوا اكتشاف حجر الفلاسفة philosopher's stone لتحضير الذهب منه والإكسير لإطالة الحياة.ومن خلال تجاربهم اكتشفوا كيفية تحضير روح النبيذ (الكحول) منه وفصله.وفي عام 1817 استطاع الصيدليان الفرنسيان «بيلاتييه» Pelletier و«بينامية» Bienaiméاستخلاص مادة الإمتين emetine من جذور نبات عرق الذهب ipecacuanha والإستركنين strychnine والبروسين brucine من الجوز المقيء nux vomicaعام 1818 في معملهما بالصيدلية .

واستطاع «بيلاتييه» فصل الكينين quinine والسينكونين cinchonine من قشر الكينا cinchona barks لعلاج الملاريا عام1820 .

7 - الصيدلة الحديثة

تطورت الصيدلة الصناعية وأصبحت الأبحاث داخل المعاهد التعليمية والمتشئات الصناعية الدوائية لتخليق المواد الكيميائية الدوائية وتحضير الأدوية من النباتات والحيوانات وتنقيتها وتوليفها.

وأصبحت دراسة الصيدلة الحديثة تعني بعلوم رئيسية وهي :

1 – **علم الصيدلانيات**:Pharmaceutics وهو يعني بتحويل مادة كيميائية لدواء آمن وفعال وتحديد جرعاته.وكيفية تنقيته وتصنيعه لأشكال صيدلانية كالأقراص والمراهم والكبسولات والحقن والكريمات واللبوسات وقطرة ومستنشقات.

2 - **علم الكيمياء الصيدلية** :pharmaceutical chemistry أو الكيمياء الطبية Medicinal chemistry: وهو يعني بربط الكيمياء بالصيدلة وتخليق أدوية جديدة وتطويروتصميم الدواء ليكون مناسبا بيلوجيا للعلاج . وهذا العلم يربط الكيمياء العضوية بالكيمياء الحيوية والطبيعية والبيلوجية الجزيئية والأقرباذين والإحصاء .ليصل للتكوين الكيميائي والبنائي الأمثل للدواء وليصنع بكميات علي نطاق واسع.

3 - **ممارسة الصيدلة** :Pharmacy practice نظام تطوير الصيادلة لممارسة مهنتهم والتعامل مع المرضي في الصيدليات

4 - **الأقرباذين** :pharmacology وهو يعني بالأدوية وتركيبها الكيماوي ومفعول الدواء بالجسم

5 - **علم العقاقيرالطبية** :pharmacognosy يدرس العقاقير من أصل نباتي وحيواني وطرق زراعتها وجمعها وحفظها وغشها ومكوناتها وموادها الفعالة وطرق فصلها ومعايرتها

8 ـ عصر المضادات الحيوية

المضادات الحيوية Antibiotics ليست مستحدثة كما يبدو . فلقد لاحظها الصيدلي الفرنسي «باستير» Pasteur في عام 1877 . وبدأ عصر المضادات الحيوية يزدهر في مكافحة الأمراض المعدية عندما اكتشف العالم الإنجليزي «فليمنج» Fleming البنسلين penicillin علم 1929 . وواكب تطورها نشوب الحرب العالمية الثانية وأخذت المصانع الدوائية تنتجه بكميات مما خفض سعره كثيرا وطورت المعامل إنتاجه واستحداث مضادات جديدة ومهنة الصيدلة بميراثها الذي تعدي عمره 50 قرناً تخدم البشرية حتي أصبحت الآن من المهن المرموقة في المجتمع كالطب وشهدت عدة ثورات من خلال تطور الأدوية وطرق تصنيعها ومن خلال الشركات الدوائية العملاقة للحفاظ علي صحة الإنسان والحيوان وتحررت من العلاجات التقليدية. وأصبح الصيادلة في المجتمع من الصفوة المتعلمة تعليما عاليا يؤهلهم من التعامل مع المرضي والمرض في كافة التخصصات العلاجية . والأبحاث الدوائية وتصنيع الدواء .

وبدأت الدراسة لعلوم الصيدلة لتواكب التطور العلاجي العالمي تدرس الصيدلة العلاجية pharmacotherapeuticsوالصيدلة الإكلينيكية clinical pharmacy والصيدلة النووية nuclear pharmacy والصيدلة الجينية pharmacogeneticsوكيفية السيطرة علي الأمراض .وكانت الصناعة الدوائية قد بدأت عام 1600 في ألمانيا أولاً، ثم إنجلترا وفرنسا.

وأثناء الحرب العالمية الثانية تطورت تطوراً مذهلاً مستعينة بالتطور التكنولوجي السائد في شتي فروع العلم وتنتج المصانع كميات هائلة ليصفها الأطباء ويصنعها الصيادلة من أجل رفاهية الإنسان وصحته وإطالة عمره والقضاء علي الأوبئة التقليدية التي كانت تحصد الملايين ومكافحتها .

ج ـ تطورالصيدلة عند العرب والمسلمين:

كان الصيادلة يستوردون العقاقير النباتية من الهند، فضلاً عن استيرادهم الأدوية ذات الأصل النباتي أو الحيواني من البلدان التي تتوافر فيها.ولكن عقب فصل مهنة الطب عن مهنة الصيدلة توصّل الصيادلة المسلمون إلى صنع هذه العقاقير بأنفسهم، ثم اكتشفوا عقاقير أخرى ذات خصائص علاجيّة لم تكن معروفة من قبل. واهتدوا إلى طريقة غلّفوا بها بعض الأدوية التي تؤخذ عن طريق الفم، وبذا كفوا المرضى معاناة مرارة طعمها ونكهتها غير المستساغة. ثم توصلوا إلى تحضير المبنج الذي يزيل الآلام أو يخففها، كما حضروا الترياق المقاوم للسموم .وبالجملة فقد قدّم الصيادلة العرب للعالم أساسًا متينًا وأصيلاً لعلم الصيدلة.

1 ـ تأصيل الصيدلة العربية:

برع الأطباء في بادئ الأمر في تحضير الدواء حسب نسب ومقادير محددة. ولما اقتصر أمر إعداد الدواء وتركيبه على الصيادلة، حذقوا هذا الفن وارتقوا به كثيرًا. فاستخدموا موازين دقيقة لخلط هذه النسب.ولم يكن هذا الأمر سهلاً في بادئ الأمر خاصة في تحضير الأدوية ذات المصدر الأجنبي؛ إذ أن كل بلد كانت له أوزانه ومكاييله. وكانت أهم مصادر علم الصيدلة عند العرب ـ قبل أن تستقر عندهم علمًا أصيلاً ـ كُتب الهند وفارس؛ فقد عُرف عن الهنود، حتى وقتنا الحاضر، إلمامهم العميق بالأعشاب، وبراعتهم في استخراج خواصها ومعرفة آثارها في الأبدان. ولما كان المبدأ العام في كل الأمور الدنيوية هو **الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها**؛ فقد تلقّف العرب كل ما وصل إلى أيديهم من علم الحشائش والعقاقير. كذلك أخذوا عن اليونان ما استطاعوا، إلا أن ذلك كان في وقت مبكر نسبيًا؛ أي مع بدايات أخذ الدولة الإسلامية بأسباب العلم والحضارة. واعتنوا من بين كل الكتب اليونانية بكتاب **المادة الطبية في الحشائش والأدوية المفردة** الذي وضعه «ديسقوريدس» العين زربي (80م) وكتابه هو «**المادة الطبية** Materia Medica»، وترجموه عدة مرات أشهرها اثنتان: ترجمة حنين بن إسحاق في بغداد، وترجمة أبي عبد الله الصقلّي في قرطبة.

وفي وقت لاحق قام الصيادلة المسلمون ـ بفضل خبرتهم وممارستهم ـ بالزيادة على هذا الكتاب واستدراك ما فات «ديسقوريدس»، ومن ثم بدأ التأليف والتصنيف بغزارة في الصيدلة وعلم النبات، ومن ذلك **معجم النبات** لأبي حنيفة الدينوري (282هـ، 895م)، و**الفلاحة النبطية** لابن وحشية (318هـ، 930م (و**الفلاحة الأندلسية** لابن العوام الأشبيلي، فقد استفاد المصنفون في علم الأدوية كثيرًا من هذه الكتب وأمثالها. وكان لابد ـ تبعًا لهذا التطور الذي شهدته صناعة الدواء ـ أن تطرأ تعديلات تؤصِّل هذه الصناعة، وتمكّن من الاستفادة من العقاقير المحلية باستبدالها بما كان يستورد، وتبسط أعمال الصيدلة، وتضع معيارًا للجودة النوعية تكتشف من خلاله الأدوية المغشوشة، والعمل على توحيد الأوزان والمكاييل لتتماشى مع نظام المقاييس الموجود والاستغناء عن المقاييس المستوردة غير الموحدة. الاستبدال والتبسيط. لما نقل العرب أسماء الأدوية المفردة (النباتية) من كتب اليونان والهند وفارس، لم يستطيعوا التعرف على كثير منها، وحتى تلك التي تعرفوا عليها لم يقفوا على خصائصها، لذا لم يكن هناك بد من الاستعاضة عنها ببديل محلي .فلجأوا منذ وقت مبكر إلى التأليف فيما سموه **أبدال الأدوية**، ووضعوا مصنفات خاصة بتلك التي لم يشر إليها ديسقوريدس وجالينوس وغيرهما، واستفادوا في هذا الشأن من العقاقير الهندية والفارسية. إلا أن الحاجة للبديل المحلي كانت ضرورة اقتصادية وانتمائية، عبّر عنها البيروني في عتابه للصيادلة بقوله : «لو كان منهم ديسقوريدس في نواحينا لصرف جهده على التعرف على ما في جبالنا وبوادينا، ولكانت تصير حشائشها كلها أدوية...». واستجابة لمثل هذه الحميّة جرت بعض محاولات للاستفادة من الأعشاب المحلية؛ كان من بينها في بادئ الأمر تصنيف ما يشبه المعاجم على هيئة جداول تحتوي على أسماء النباتات المختلفة باللغات العربية واليونانية والسريانية والفارسية والبربرية بشرح أسماء الأدوية المفردة. ومن المحاولات التطبيقية في هذا المجال ما قام به رشيد الدين الصوري الذي كان يخرج إلى المواضع التي بها النباتات يرافقه رسام، فيشاهد النبات ويسجله ثم يريه للرسام في المرة الأولى وهو في طور الإنبات أو لا يزال غضًا، ثم يريه إياه في المرة الثانية بعد اكتماله وظهور بذره، وفي الثالثة بعد نضجه ويبسه، ويقوم الرسام بتصويره في جميع هذه الأطوار.

وغني عن القول أن الصيادلة المسلمين بعد أن ترقوا في هذه الصناعة قاموا بالاستغناء عن كثير من العقاقير التي تستخلص من أجزاء حيوانية لاسيما المحرّمة منها أو المكروهة. كانت الوصفات التي حصل عليها أكثر المصنفين المسلمين من البلدان المفتوحة معقدة، إما أصلاً، أو كان واصفوها يتعمدون التفنن في تعقيدها سواء فيما يتعلق بعدد العقاقير التي تتركب منها، أو شروط جنيها أو إعدادها أو الزمن اللازم انقضاؤه قبل استخدام التركيبة الجديدة. من أجل هذا توصل الصيادلة المسلمون إلى وضع صيغ معدلة للأدوية المعقدة الشهيرة، وبذا اختفت مع مرور الزمن الأعداد الكبيرة من الأدوية معقدة التركيب، وازداد عدد الأدوية البسيطة خاصة الأشربة والأدوية الغذائية والمسهلات وأدوية تخفيض الوزن والزينة وما إليها.

2 ـ معايير الجودة:

لما رأى الناس الأرباح الوفيرة التي تدرها الصيدلة (العطارة) على العاملين فيها، دخلها غير المتخصصين. إلا أنه بعد أن نظمت المهنة وصار للصيادلة دستور، استُبِعد المتسللون بقرار من الخليفة العباسي المقتدر. وزاد الأمر إحكامًا بتولي سنان بن ثابت الطبيب أمر الحسبة حيث تحوّل هذا النظام إلى امتحان ومحاسبة ومراقبة دورية للأوزان والمكاييل وتفتيش الصيدليات مرة كل أسبوع. ومن بين الطرق التي طبقوها لمعرفة الأدوية المفردة وفاعليتها، الإحراق بالنار أو السحق، وفحص الرائحة واللون والطعم. وقام بعض الأطباء باختبار مدى فاعلية العقاقير على الحيوانات قبل إعطائها الإنسان؛ ومن ذلك **تجربة الزئبق** على القرد التي قام بها الرازي. كما كان ابن سينا يذكر مع كل عقار خصائصه وأوصافه، ونجد ذلك جليًا في كتاب **منهاج الدكان** لكوهين العطار الذي جمع عمل ابن سينا في هذا الصدد في فصل سماه **امتحان الأدوية المفردة والمركبة وذكر ما يستعمل منها وما لا يستعمل** .وقد أورد كوهين العطار في هذا الفصل الطرق المستعملة في ضبط معايير جودة العقاقير، بالإضافة إلى فصل عن المدة الزمنية التي لا تعود صالحة للاستعمال بعدها. والأوصاف المميزة للأدوية وأنواعها وما تغش به وكيفية كشف هذا الغش عن طريق الأوصاف الحسية والفيزيائية للدواء.

3 ـ الأوزان والمكاييل:

كانت إحدى العقبات التي واجهت الصيدلاني المسلم ـ عقب حركة النقل والترجمة ـ قضية اختلاف المقاييس التي تضبط في ضوئها أوزان المركبات الدوائية؛ فقد كان لليونان أوزانهم وكذلك الفرس والهنود، فكان من الصعب عند تحضير الوصفات الأجنبية معرفة الأوزان والمكاييل المستخدمة فيها، وإن عُرف بعضها فقلّما يُضبط. لذا كان من الضروري توحيد العمل بمقاييس معلومة لديهم. واستطاع الصيادلة بعد تجارب ومران أن يتجاوزوا هذه العقبة بعدة أمور منها، تجاهل بعض الأوزان والمكاييل الدخيلة، وإدخال أوزان ومكاييل محلية بدلاً عنها، وتبسيط النسب الموجودة بين المكاييل والموازين المحلية. ودرجوا على استخدام البذور وبعض الحبوب التي تمثل الواحدة منها وزنًا معلومًا مثل؛ **حبة الحمص** و**الخروبة** و **نواة التمر**، وجعلوا **حبة القمح** الوحدة الصغرى للأوزان.

د ـ العقاقير الطبية وتصنيفها:

العقّار كلمة أصلها سرياني، وأطلقت في بادئ الأمر على كل ما يُتداوى به من النبات والشجر؛ إذ كان أساس الأدوية الأعشاب. وأطلق على من اشتغل بصناعة الأدوية **الشجّارون** و **العشابون** و**العطّارون**، إلا أن مدلول الكلمة اتسع ليشمل كل الأدوية بما فيها الحيوانية والمعدنية. كانت معظم العقاقير التي توصف للمرضى ـ خلال الحقبة الأولى من فترة ازدهار الطب العربي ـ ذات منشأ غير عربي، والقليل منها كان ما توارثته الأجيال من البيئة المحلية أو ما يمكن أن نسميه **الطب البلدي** .ولكن بازدهار صناعة الصيدلة عقب انفصالها عن الطب، وجد الصيادلة المسلمون مجالاً خصبًا للإبداع الذي انتهوا فيه إلى تركيب عقاقير من البيئة المحلية ذات أوزان معلومة مبسطة وقطعوا شوطًا كبيرًا عندما استفادوا من علم الكيمياء في إيجاد أدوية جديدة ذات أثر في شفاء بعض الأمراض؛ كاستخراج الكحول، ومركبات الزئبق، وملح النشادر واختراع الأشربة والمستحلبات والخلاصات الفطرية. بالإضافة إلى ذلك قادهم البحث الجاد إلى تصنيف الأدوية استنادًا إلى منشئها وقوتها، كما قادتهم تجاربهم إلى أدوية نباتية جديدة لم تكن معروفة من قبل كالكافور والحنظل والحناء.

قادت غزارة التصنيف في كتب الصيدلة، والبحث الدؤوب الذي كشف عن عقاقير جديدة، بالإضافة إلى ما هو موجود أصلاً، إلى أهمية تقسيم هذه العقاقير وفق معايير ارتآها المؤلفون أو الصيادلة، ونجد الأمثلة على ذلك واضحة في **الحاوي** للرازي و **الصيدنة في الطب** للبيروني و**كامل الصناعة** لعلي بن عباس المجوسي و **القانون** لابن سينا.

1 ـ **تصنيف الرازي**:

وضع الرازي أسسًا صحيحة لعدة علوم صيدلانية وبيّن أوصافها وطرق تحضيرها وكشف غشها وقواها وبدائلها والمدة الزمنية التي يمكن أن تحفظ خلالها. وصنف العقاقير إلى أربعة أقسام :

1ـ مواد ترابية (معادن).

2 ـ مواد نباتية.

3 ـ مواد حيوانية.

4 ـ عقاقير مولدة (مشتقات).

وذكر تحت الصِّنف الأول سبعة أنواع:

أ ـ **أرواح** :المواد المتطايرة والمتسامية)؛ وهي الزرنيخ، والزئبق، والنشادر، والكبريت.

ب ـ **أحجار**: وهي المرقشيتا (البيريت)؛ وتستخدم في صناعة حمض الكبريتيك وصيغته الجزيئية FeS_2 . والتوتياء (أكسيد الخارصين)، وصيغته الجزيئيةZnO واللازورد (كربونات النحاس القاعدية)، وصيغته الجزيئية$_2$(CO_3 $_2$(OH)) Cu_3 والدهنتج (الملاخيت)، وصيغته الجزيئية CO_3 $Cu_2(OH)_2$ والفيروزج) فوسفات الألومنيوم القاعدية المتحدة بالنحاس) وصيغته الجزيئية$5H_2O$ $_4(OH)_8$ $Cu\ Al_6(PO_4)$. والشاذنج (أكسيد الحديديك المتبلر) وصيغته الجزيئيةFe_2 ؛ واستخدمه لوقف الرّعاف. والشك) بياضO_3 الزرنيخ) وصيغته الجزيئية .As_2O_3 والكحل (كبريتيد الرصاص الأسود) وصيغته الجزيئية .PbS والطلق أي المايكا (سليكات الألومنيوم المتحدة مع فلز آخر).والجبس وصيغته الجزيئية .$Caso_42h_2o$ والزجاج الأسود وهو الزجاج المعروف.

ج ـ **زاجات**: ومنها الزاج الأحمر والأصفر والأخضر والشب.

د ـ **بوارق**؛ وتشمل بورات الصوديوم (البوراكس)، وبيكربونات الصوديوم، والنطرون، وصمغ الأكاسيا.

هـ ـ **أملاح**؛ ومنها ملح الطعام، والملح المر (كبريتات المغنسيوم؛ الملح الإنجليزي)، والقلي (مزيج من أكسيد الصوديوم وهيدروكسيد الصوديوم وكربونات الصوديوم)، والملح الصخري (كبريتات الصوديوم المتبلرة)، والجير المطفأ (هيدروكسيد الكالسيوم).

و ـ **أجساد**؛ وهي: الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص، والخارصين والأسرب (القصدير).

ز ـ **إعناجاصات**؛ وذكر الرازي منها جوهر البول (اليوريا) .

وفي الصنف الثاني؛ أي المواد النباتية يذكر قوى الحبوب كالحنطة والشعير والثمار، ورتب فيه الأدوية حسب حروف المعجم مبتدئًا بالأقحوان ومنتهيًا بالياسمين .

وفي الصنف الثالث، أي المواد الحيوانية يذكر البيض والمخ؛ واللبن والشعر والقحف والدم والمرارة والقرون والصدف.

أما الصنف الرابع: وهو العقاقير المولدة (المشتقات) فقد ذكر منها:

1ـ **المرتك**؛ وهي مادة سوداء تشبه الجرافيت (أول أكسيد الرصاص)، وصيغته الجزيئيةPbO

2ـ **الإسرنج** ،أكسيد الرصاص الأحمر(، وصيغته الجزيئية(Pb_3O_4)

3 – **الزنجار**؛ وهو خلات النحاس القاعدية بها بعض كربونات النحاس

4ـ **الزنجفر** ، كبريتيد الزئبق، وصيغته الجزيئية(HgS)

5 ـ **زعفران** الحديد؛ وهي مادة صفراء تتكون من أكسيد الحديدوز يكون الحديد فيها ثنائي التكافؤ.

2 ـ تصنيف البيروني:

اقتبس البيروني فكرة التأليف في علم الأدوية وتسميتها من الرازي، ويبدو ذلك في كتابه المشهور **الصيدنة في الطب**، ولكن لم تكن له خبرة الرازي وتجربته ولا شهرته في هذا المجال. ومن الأوجه التي أفاد فيها من الرازي إشارته إلى كتابيه **الحاوي** و **سر الأسرار** وذكره أغلب المواد التي ذكرت فيهما. وصنف هذه المواد تصنيفًا مشابهًا لما فعله الرازي بفارق واحد هو أنه رتبها ترتيبًا معجميًا (ألفبائيًا) بينما كان الرازي قد رتبها ترتيبًا أبجديًا (أبجد، هوز... إلخ).

يصنف البيروني العقاقير إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ أدوية.

2ـ أغذية.

3ـ سموم.

ومنها ما هو مفرد ومنها ما هو مركب. وهو أول من أشار إلى عمليتي التبديل والحذف في العقاقير، وجعلهما شرطًا لنجاح الصيدلاني الماهر. فقال: «الصيدلاني أعظم حاجة لأمرين أحدهما الحذف والآخر التبديل. والحذف هو نقصان عقار واحد يدخل في تركيب دواء يتألف من عقاقير كثيرة؛ فإن لم يتوافر أو توافر لكن حالت أسباب دون استخدامه فعلى الصيدلاني الاستغناء عنه وإتمام التركيبة دون ذلك العقار»؛ وعلى هذا النسق استغنى الصيادلة عن عدد كبير من العقاقير الحيوانية الكريهة نظرًا لتحريم الدين الإسلامي لها. أما التبديل فيحدث عندما تكون مكونات المركب كلها أو بعضها غير موجودة، ولكن لها بدائل أقل تأثيرًا من المكونات الأصلية، فعلى الصيدلاني في هذه الحالة أن يقْدم على صنع الدواء مما توافر لديه، على الرغم من تدني نوعية البدائل، مراعيًا في ذلك الحفاظ على مشاكلة الدواء الأصلي.

3 ـ تصنيف المجوسي:

عمل علي بن عباس المجوسي (ت383هـ، 993م) في كتابه **كامل الصناعة** على تصنيف الأدوية وفقًا لمنشئها وقواها. فصنَّفَ الأدوية المفردة بالاستناد إلى منشئها؛ فقسَّم العقاقير ذات المنشأ النباتي إلى: حشائش، وحبوب، وبذور، وأوراق، وأصول، وعصارات، وأصماغ، وأزهار، وأثمار، وأدهان. أما العقاقير ذات المنشأ المعدني فقسمها إلى: زاج، وطين، وأملاح، وأجساد وحجارة. كما قسم العقاقير ذات المنشأ الحيواني إلى: ألبان، ودماء، وبيض، وأنفحات، ومرارات، وأبوال، وأزبال، وشحوم، ولحوم. أما من حيث قواها فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام:

1 -**القُوى الأُول**: وسماها الطبائع أو الأمزجة؛ وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وتقسم كل واحدة من هذه الأمزجة إلى درجات أربع من حيث قوة تأثيرها؛ فيصنف العقار تحت قوة الدرجة الأولى إذا لم يؤثر في البدن تأثيرًا ملموسًا، ويكون من الدرجة الثانية إذا أثر لكنه لم يضر، وإذا أضرّ ولم يبلغ فهو في الدرجة الثالثة، ويكون من قوى الدرجة الرابعة إذا بلغ، وفي هذه الحالة يسمى الدواء سامًا.

2 -**القوى الثاني**: وقد صنف تحتها أنواعًا كثيرة من بينها: القوى الملينة، والفتّاحة للسدد، والمنضجة، والمصلبة، والمخلخلة، والملطفة، والمفتحة لأفواه العروق والمضيقة لها، والجاذبة، والمسكنة للوجع.

3 -**القوى الثالث**: وصنف تحتها: المفتتة للحصى، والمدرَّة للبول، والمدرَّة للطمث، والمولِّدة للمني، والمولِّدة للّبن، والمعينة على نفث ما في الصدر. وللمجوسيّ تصنيف فرعي للعقاقير من حيث طعمها ويقسمها إلى حلو، ومر، وحامض، ودسم، وحريف، ومالح، وعفص (عسر) وقابض، وتفه (لاطعم له). أما الأدوية المركبة فقد صنفها إلى أنواع عدة أهمها: الترياقات، والمعاجين، والجوارشنات) هاضمات) والمطبوخات، والنقوعات، واللعوقات، والأقراص، والأدهان، والمراهم، والأشربة، والمربيات، والأكحال، والذرورات، والغراغر، والمقيئات...إلخ.

4 ـ تصنيف ابن سينا:

لم يختلف ابن سينا في تصنيفه للأدوية كثيرًا عمن سبقه فقد قسمها إلى معدنية، ونباتية، وحيوانية. فأفضل الأدوية المعدنية عنده ما كان من الأماكن المعروفة بها كالقلقند القبرصي والزاج الكرماني؛ وأفضل الأدوية النباتية النوع البري لأنها أقوى تأثيرًا من البستانية، والجبلية تفوق البرية، وأفضل الأدوية الحيوانية ما يؤخذ من الحيوانات الشابة في فصل الربيع.وذكر في هذا التصنيف نحو 600 عقار معظمها ذو أصل نباتي. كما أن له تصنيفًا آخر وهو ما يمكن أن يطلق عليه الآن التصنيف **الفارماكولوجي)** تصنيف علم العقاقير)، فصنف الأدوية حسب الأعضاء التي تعمل فيها، ووضعها في لائحة تتضمن :

1 – الترياقات والمعاجين.

2– الأرايج. (العطريات) .

3– الجوارشنات.

4– السفوفات والوجورات (مايعطى بالفم).

5– اللعوقات.

6– الأشربة.

7 –المربيات.

8– الأقراص.

9ـ السلافات (خلاصات) والحبوب.

10– الأدهان.

11– المراهم والضمادات. وفي دراسته للسموم صنفها إلى نوعين؛ سموم فاعلة بكيفية فيها، وسموم فاعلة بصورتها. كما صنفها إلى سموم معدنية ونباتية وحيوانية.

هـ ـ تحضير العقاقير:

استخدم الصيادلة المسلمون في عمليات تحضير العقاقير وتركيبها طرقًا مبتكرة؛ ظل بعضها معمولاً به حتى الوقت الحاضر من حيث المبدأ. فنجد أن الرازي استخدم كل من:

1 -**التقطير**؛ لفصل السوائل.

2 -**الملغمة**؛ لمزج الزئبق بالمعادن الأخرى.

3 -**التنقية**؛ لإزالة الشوائب.

4 -**التسامي**؛ لتحويل المواد الصلبة إلى بخار ثم إلى حالة الصلابة ثانية دون المرور بحالة السيولة.

5 -**التصعيد**؛ لتكثيف المواد المتصاعدة.

6 -**التشوية**؛ لتحضير بعض المعادن من خاماتها.

7 -**التشميع**؛ لصهر بعض المواد بإضافة مواد أخرى إليها.

8 -**التكليس**؛ لإزالة ماء التبلُّر وتحويل المواد المتبلرة إلى مساحيق غير متبلرة. 9 -**التبلر**؛ لفصل بلورات المواد المذابة.

10 -**الترشيح**؛ لفصل الشوائب والحصول على محلول نقي. وسوف تأتي على هذه العمليات بشيء من التفصيل عند حديثنا عن العمليات الكيميائية التي استخدمها العرب في تحضير المواد.

أما **علي بن عباس المجوسي** فقد أبان القوانين التي ينبغي حذقها للوصول إلى الأوزان الصحيحة للأدوية المفردة الداخلة في تركيب الأدوية المركبة، ووضح أن مقادير هذه الأدوية تكون كالتالي : يُؤخذ منه مقدار كبير إذا كان متعدد المنافع. وتؤخذ منه كميات أقل إذا كان في استعماله بعض الضرر، وكذلك إذا دخلت في الدواء المركب عدة عقاقير لها نفس التأثير. وعلى الصيدلاني قبل سكب الدواء المفرد اتباع الخطوات التالية:

1 – يحسن اختبار الدواء المفرد.

2 – يسحقه وينخله.

3 – يعالج الصموغ.

4 – ينتخب العسل ويفحصه.

5ـ يقوم بحرق ما لابد من حرقه فيما يختص ببعض المركبات المعدنية والحيوانية.

6 – يأخذ مقادير العسل بمقادير متناسبة مع الأدوية المدقوقة لصنع المعاجين الدوائية، ويضيف الصموغ المحلولة ويخفقها حتى تستوي ثم تحفظ التركيبة في إناء من الفضة أو الخزف الصيني دون أن يحكم غلقه، حتى يتمكن الدواء من التنفس.

7ـ لعمل الأقراص يمزج الدواء المسحوق مع الماء أو الشراب في الهون (المدق) ويدق دقًا جيدًا حتى ينعم ويستوي ومن ثم تقرَّص الكتلة التي عجنت ثم تجفف في الظل. ذكر ابن سينا في تحضير الأدوية المفردة أربع طرق:

1 ـ **الطبخ**؛ ويكون على درجات: الطبخ العنيف كأصل الكبر والزرواند والزرنباد. والطبخ المعتدل كالأدوية المدرة للبول. والطبخ الهادئ مثل الأفتيمون الذي إذا زيدت درجة طبخه تحللت قوته.

2 ـ **السحق**؛ وهناك من الأدوية ما يفسد السحق الشديد قوتها كالسقمونيا، وأكثر الصموغ لها هذه الخاصية، وتحليلها بالرطوبة أوفق. ومن هذه الأدوية ما ينقلب تأثيرها الدوائي أو يتغير عند الإفراط في السحق، كالدواء الكموني الذي ينقلب تأثيره من مسهل إلى مدر للبول.

3 ـ **الحرق**؛ وتحضر بعض الأدوية بحرق الدواء لتحقيق واحد من خمسة أهداف: لكسر حدته؛ مثل الزاج أو لإكسابه حدة؛ مثل النورة، أو لتخفيفه؛ مثل قرون الأيل، أو لتهيئته للسحق؛ مثل الإبريسم، أو لإبطال رداءة في جوهره؛ مثل العقرب.

4 ـ **الغسل**؛ والهدف منه إما إزالة الخاصة المحرقة فيه؛ كالنورة، أو تصغير أجزائه وصقلها كالتوتياء، أو استبعاد قوة غير مرغوب فيها كالحجر الأرمني. وقد مزج ابن سينا وصيادلة آخرون الأدوية بالعسل تارة وبالسكر والعصير تارة أخرى ليصبح طعمها مستساغًا، وكثيرًا ما جعلوها على هيئة أقراص وغلّفوها لإخفاء رائحتها. وكان ابن سينا أول من استعمل طريقة تغليف الحبوب بالذهب والفضة. كما أن الزهراوي كان أول من حضر الأقراص بالكبس في قوالب خاصة.

و ـ عقاقير استخدمها العرب:

اعتمد المسلمون في بادئ الأمر على الأدوية المستجلبة من البلدان التي سبقتهم في هذا المجال، إلا أنه بعد أن صارت لهم خبرة في الطب والصيدلة شرعوا في اكتشاف أو استنباط أنواع كثيرة من العقاقير، تدلنا على ذلك أسماؤها التي وضعها العرب ولا يزال بعضها مستخدمًا في لغات أخرى بصورة أو بأخرى. فمن الأدوية النباتية التي اكتشفوها : السنامكة، والصندل، والكرنب مع السكر، والكافور، والروانـد، والمسك، والتمر الهندي، والقرنفل، والحنظل، وحب العروس، والعنبر، وجوز الطيب، والمر، والجوز المقيئ، والقرفة، وخانق الذئب (الألونيت)، والبلسم، والمنّ، والعسل، والصمغ العربي.

كما ركّبوا مستحضرات طبية كثيرة؛ ساعدهم في ذلك نبوغهم في الكيمياء، ومن هذه المستحضرات؛ المعاجين المختلفة، والمراهم، والمساحيق، واللزوق، والدهانات، والكحل والسعوط، والحقن الملينة، والأشربة، والماء المقطر، كما اخترعوا الكحول والمستحلبات وأدوية القيء، واللعوقات، والسفوفات، والذرورات والخلاصات العطرية. واستخدم الرازي الزئبق في تركيب المراهم لأول مرة وجرب مفعوله على القردة. كما أن الأطباء المسلمين أول من وصف بذور شجرة البن دواء للقلب، ووصفوا حبوب البن القهوة المطحونة علاجًا لالتهاب اللوزتين والدوسنتاريا (الزَّحار) والجروح الملتهبة، ووصفوا الكافور لإنعاش القلب. كما خففوا من قوة بعض العقاقير بإضافة عصير الليمون والبرتقال بالإضافة إلى القرفة أو القرنفل. كما توصَّلوا إلى عمل الترياقات التي يتم تركيبها من عشرات أو أحيانًا من مئات العقاقير، وحسنوا تركيب الأفيون والزئبق واستخدموا الحشيش والأفيون وغيرهما في التخدير .

ز ـ قائمة أهم العقاقير التي استخدمها الصيادلة العرب

- الإبريسم التنبول أبو المسك التوتياء .
- الأترج التين الإثمد الثوم.
- الأراك الجوز الزوان الأَرز الجوز الطيب .
- الآس الجوز المقيئ الأقحوان حب الرمان .
- الألبان حب العروس الأهليلج حجر الشريط.
- البابونج حجر القمر بذور شجرة البن الحشيش.
- البصل الحصرم البطيخ الحلبة .
- البقم الحناء البلسم الحنظل .
- البندق الخبازي البنفسج الخرنوب .
- البهمن الأبيض والأحمر الخشخاش البورق الخضابات.
- الترياقات الخطمي التمر الخلنجان.
- التمر الهندي الخل القرفة الصينية مرهم الزفت.
- قرن الأيل مرهم النحاس القرنفل المسك.
- القصب المعاجين القلقند المن.
- الكافور الموز الكحل النارنج.
- الكرفس النبات البري الكركم النبات البستاني .
- الكمّون النبات الجبلي الكبابة النخالة.
- اللبأ النرجس لعوق الكرنب النشادر.

- لعوق اللوز النطرون اللوز النعناع.
- الليمون النورة الماء المقطر الهال/ الهيل .
- ماء الورد الهليون المحلب الهندباء.
- المر اليبروح المخدر مرهم الأسفيذاج الينسون/ الأنيسون.
- القرفة الصينية مرهم الزفت قرن الأيل مرهم النحاس .
- القرنفل المسك القصب المعاجين .
- القلقند المن الكافور الموز .
- الكحل النارنج الكرفس النبات البري.
- الكركم النبات البستاني الكمّون النبات الجبلي.
- الكبابة النخالة اللبأ النرجس .
- لعوق الكرنب النشادر لعوق اللوز النطرون .
- اللوز النعناع الليمون النورة .
- الماء المقطر الهال/ الهيل ماء الورد الهليون.
- المحلب الهندباء المر اليبروح المخدر .
- مرهم الأسفيذاج الينسون- الأنيسون .

ح - رُوَّاد الصيدلة وأهم مؤلفاتهم :

كان أول من أُطْلِق عليه لقب صيدلاني في العصر العباسي أبا قريش عيسى المتطبب، فقد كان صيدلانيًا في الحملة التي بعث بها المنصور لمحاربة سنقار. وقد نال حظوة في بلاد بني العباس. ثم بتطور مهنة الصيدلة ظهر أول طبيب غلبت عليه صفة الصيادلة وهو يوحنا بن ماسويه الخوزي الذي كان أحد معلمي حنين بن إسحاق. ثم ظهر أول كتاب صيدلاني بالعربية اسمه **الأقرباذين الكبير** في أواخر القرن التاسع الميلادي ألفه سابور بن سهل الكوسج (ت 255هـ،869 م). على أن صناعة الصيدلة والطب قفزت قفزة نوعية ليس في العالم الإسلامي فحسب، وإنما في كل العالم خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين؛ بظهور خمس موسوعات طبية صيدلانية كتبت بالعربية هي :**فردوس الحكمة** لعلي بن سهل الطبري، و **الحاوي** للرازي، و **كامل الصناعة** لعلي بن عباس المجوسي، و **القانون** لابن سينا، و**التصريف لمن عجز عن التأليف** للزهراوي. وختمت هذه الطفرة في القرن الثالث عشر الميلادي بكتابي **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، لابن البيطار (ت 646هـ، 1249م)، و **منهاج الدكان** و**دستور الأعيان** لداود العطار (ت بعد 658هـ،1260م). وقد ساهم هؤلاء العلماء وغيرهم بقسط وافر في تقدم الصناعة الطبية والصيدلانية. وفيما يلي وقفة على إسهام بعضهم.

1 - إسهام الطبري:

كان أبو الحسن علي بن سهل الطبري أستاذًا للرازي الذي أثنى على إسهاماته. وكان حقل الطب على عهد الطبري يجمع بين الطب والصيدلة؛ لذا نجد أن كتابه **فردوس الحكمة** صورة صادقة لمزج الطب بالصيدلة. وهذا الكتاب أقدم مُؤَلّف باللغة العربية جامع لفنون الطب والصيدلة. وقد مهّد الطريق لمن جاء بعده واقتفى أثره من أمثال الرازي والمجوسي وابن سينا. واحتوى على سبعة أبواب، تضمّن الباب الواحد 30 مقالة مفصلة إلى 360 فصلاً. أفرد الباب السادس للصيدلة، وبه ست مقالات عن المادة الطبية والسموم؛ تحدث فيها عن الأدوية المفردة والمركبة، والصموغ والأشياء المتجلية من الأرض، والأصداف والمعادن والدخان والرماد والزجاج، وقوى الأرض والطين المختوم، وتحضير الأدوية وحفظها، والسموم والترياقات والأقراص والجوارشنات والربوب والأشربة والأدهان، والمراهم.

2 ـ إسهام الرازي:

عرف الرازي طبيبًا وكيميائيًا أكثر من نسبته إلى أي علم آخر، لكنه نبغ في الصيدلة أيضًا، ساعده في ذلك نبوغه في الطب والكيمياء. وهو أول من نادى باستقلال الصيدلة عن الطب، وكان يقول لأطباء عصره : إن علم الصيدلة هو العلم الوحيد الذي سيكون العامل المشترك بين الطب والكيمياء، ومن هذا المنطلق كان أول من أدخل المركبات الكيميائية في الصيدلة. ومع أن انفصال الصيدلة عن الطب حدث بعده بفترة كبيرة، إلا أن الفضل يعود له أولاً في الإشارة إلى ذلك. وكتابه **الحاوي** أضخم موسوعة في علم الأمراض والمداواة كتبت بالعربية حتى عصرنا الحاضر. وقد خصص الأجزاء الأخيرة من هذا الكتاب للصيدلة؛ وفيها تناول قوى الأدوية المفردة، وأحصى فيها نحو 900 عقار. وكان عنوان الجزء قبل الأخير في هذه الموسوعة **صيدلة الطب** وقدَّم له بقوله: «المعرفة بالأدوية وتمييزها، جيدها ورديها، خالصها ومغشوشها، وإن كان ليس بلازم للطبيب ضرورة ـ كما يحسبه جهال الناس ـ فهو أحرى وأزين به. ولذلك رأيت أن أجمع هذا الفن، وإن لم يكن جزءًا من الطب ضروريًا في كتاب يخصه». وتناول الرازي في **باب صيدلة الطب** الأدوية المفردة والمركبة وطرق تحضيرها وكشف غشها كما تناول الأوزان والمكاييل. وفي آخر أجزاء الكتاب تحدث عن قوانين استعمال الأطعمة والأشربة، وأدوية الزينة. وصنّف الرازي إلى جانب **الحاوي** كتبًا كثيرة بلغت نحو 200 كتاب، إلا أنه في **المنصوري** و **الجامع** تدارك ما فاته ذكره في الطب والصيدلة. ووضع الأسس الصحيحة لعلم العقاقير وبين صفاتها وطرق تحضيرها، وكذلك علم الكيمياء الصيدلية، وهو أول من أدخل الزئبق في المراهم، وابتكر طريقة لتحضير الكحول من المواد النشوية والسكرية المتخمرة، واستخدمه في تطهير الجروح. وهناك قول بأن الفضل في اكتشاف دواء مضاد للجراثيم (مضاد حيوي) يعود للرازي، فقد أضاف عفن الخبز والعشب الفطري في أدويته التي تعالج الجروح المتعفنة. وحضر بعض الأحماض مثل حمض الكبريتيك وسمّاه الزاج الأخضر أو زيت الزاج. كما كان أول من استخدم الفحم الحيواني في قصر الألوان؛ ولا يزال هذا الفحم مستخدمًا لإزالة الألوان والروائح من المواد العضوية. وهو أول من فرّق بين كربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم على الرغم من التشابه الكبير في خصائصهما. وكان أول من قاس الوزن النوعي لعدد من السوائل مستخدمًا ميزانًا أطلق عليه **الميزان الطبيعي**.

3 ـ إسهام المجوسي:

اشتهر علي بن عباس المجوسي بكتابه **كامل الصناعة الطبية**، الذي ظل المرجع الوحيد في الطب والصيدلة فترة طويلة إلى أن ظهر كتاب **القانون** لابن سينا فانصرف إليه الناس وتركوا **كامل الصناعة** جزئيًا. وتذكر بعض التراجم أن **كامل الصناعة** في العمل أبلغ، و**القانون** في العلم أثبت. وهناك من المُحْدَثين ـ ممن قارن بين الكتابين ـ من رجّح **الكامل** على **القانون** .وأخذ هذا الكتاب طريقه إلى أوروبا عندما ترجمه قسطنطين الإفريقي (ت 471هـ، 1078م (عميد مدرسة الطب في جامعة سالرنو ونسبه إلى نفسه. ولم يكتشف هذا السطو إلا بعد أن قام أسطفان الأنطاكي بترجمته ثانية عام 625هـ، 1227م ومن ثم أثبت عليه اسم المؤلِّف. ويحتوي الكتاب على قسمين؛ نظري وعملي يتضمنان 20 مقالة. وما يختص بالصيدلة ورد في القسم العملي في المقالتين الثانية والعاشرة، وعنواناهما **الأدوية المفردة وامتحانها ومنافعها والأدوية المركبة** على التوالي. ويُورد تحت الأدوية المفردة خمسة وخمسين بابًا أهمها :**امتحان الدواء**) اختباره)، وأنواعه مثل الأدوية الملينة والمذيبة، والمسكنة، والمفتتة للحصى،، والمدرّة للبول، وأنواع العقاقير التي تؤخذ من النباتات كالأوراق، والبذور، والثمار، والصموغ، وما يؤخذ من المعادن، وما يؤخذ من الحيوان والأدوية المسهلة والمقيئة...إلخ.

ويورد تحت الأدوية المركبة ثلاثين بابًا أهمها الترياقات والمعجونات والمطبوخات، والمنقوعات، والسفوفات، والأضمدة، واللعوقات، والأكحال، والأدهان، والربوب، والأقراص، والجوارشنات، والذرورات، وأدوية الرعاف والسمنة والكلف والبهق والبرص والجرب ونحوها. وكان مثل الرازي ينصح المريض أولاً بالعلاج بالأغذية متى أمكن ذلك وإلا فبالأدوية المفردة. وكان يلجأ للأدوية المركبة إذا تعذَّر العلاج بالأغذية والأدوية المفردة.

4ـ إسهام ابن سينا:

تأتي أهمية ابن سينا في حقلي الطب والصيدلة من أنه العالم الذي حدّد النظريات والتطبيقات في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية التي تقابل العصور المظلمة في أوروبا. وإذا كان علي بن سهل الطبري طليعة عهد النهضة العلمية الإسلامية، فإن قمة هذه النهضة كانت في عهد الشيخ الرئيس ابن سينا. فقد تناول علم الصيدلة في موسوعة **القانون** ـ التي تتكون من خمسة كتب ـ في الكتابين الثاني والخامس. يحتوي الكتاب الثاني على الأدوية المفردة وذكر فيه عددًا كبيرًا من النباتات الطبية العربية المنشأ وكذلك الهندية والفارسية والصينية واليونانية. أما الكتاب الخامس فقد تناول فيه الأدوية المركَّبة وطرق تحضيرها سواءً كانت ذات مصدر حيواني أو معدني أو نباتي. وحضّر ما يربو على 800 دواء مُركَّب استخدمها المسلمون ثم أهل أوروبا من بعدهم زمنًا طويلاً.

والكتاب الثاني ينقسم إلى قسمين؛ يتناول القسم الأول أبحاثًا في ماهية الدواء واختياره وصفاته ومفعوله وطرق حفظه. وشرح في هذا الكتاب تأثير بعض الأعمال الصيدلانية في عمل الأدوية المفردة التي قد تفسد مفعولها أو تقلله إذا لم تُراع مواصفات كل دواء. وذكر من ذلك **الطبخ** العنيف والمعتدل والخفيف، و**السحق** الشديد والمفرط، و **الإحراق** الذي يكسر الحدّة، أو الذي يكسب الحدّة، أو الذي يلطِّف الحدة، أو الذي يزيل القوة غير المرغوبة. وأضاف إلى هذا الجزء جداول أطلق عليها اسم **الألواح** بيّن فيها أثر كل دواء على كل عضو، وجعلها اثني عشر لوحًا؛ وهو تصنيف يمكن أن نطلق عليه في لغة صيادلة العصر ـ **التصنيف الفارماكولوجي**)تصنيف علم العقاقير). أما القسم الثاني من الكتاب الثاني فيحتوي على الأدوية المفردة ذاتها، وقام بترتيبها ترتيبًا ألفبائيًا وتعرّض بالتفصيل لنحو 600 عقار وذكر أمام كل عقار المعلومات الست التالية:

1 ـ ماهيته .

2 ـ اختياره .

3 ـ طبعه .

4– فعله .

5 ـ بديله.

6 ـ سمّيته.

وقد يضيف إلى بعضها مصدره الجغرافي.

والكتاب الخامس يتناول فيه الأدوية المركبة، ويقسمها تبعًا لخواصها إلى: حارة وباردة، ورطبة ويابسة؛ وذلك لأن نظريته في العلاج مُستمدة من أن تركيب جميع الكائنات يقوم على أربعة إسطقسات (عناصر) وأربع كيفيات متضادة. وأن بلوغ الصحة يتأتى من تعادل الأخلاط الأربعة في جسم الإنسان؛ وهي الدم والبلغم والمرة السوداء والصفراء وأطلق عليها اسم المزاج. وعلى الرغم من أن نظرية القوى والأمزجة والأخلاط التي عوّل عليها ابن سينا ومن سبقه من أطباء في شرح آلية تأثير الأدوية، تعد غير مقبولة علميًا في الوقت الراهن،إلا أنه ذكر وصفًا لعشرين فعلاً دوائياً أكثر مما ذكره المجوسي في **كامل الصناعة**، ولكل منها أهميته في علم الطب الحديث. كما يورد في مقالتي الكتاب الخامس عددًا من المركبات الراتبة في الأقرباذينات، وعددًا من الأدوية المركبة المجربة بالإضافة إلى أصول علم تركيب الأدوية، ولا يفوته ذكر الأوزان والمكاييل المستخدمة في العالم الإسلامي آنذاك بالإضافة إلى ما عند الروم.

5 ـ إسهام الزهراوي:

اشتهر أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي بأنه أبو الجراحة في عصر ازدهار العلم الإسلامي ـ العصور المظلمة في أوروبا. وكان خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة. وأشهر مؤلفاته **التصريف لمن عجز عن التأليف** .

ويعد هذا المؤلف دائرة معارف طبية أفادت منه أوروبا على مدى خمسة قرون، واحتل المكانة التي كان يحتلها كتاب بولس الإيجنطي في الجراحة. وقد خص الزهراوي الصيدلة في هذا الكتاب بنصيب كبير، إذ أفرد لها سبعة وعشرين بابًا من بين الثلاثين مقالة التي ضمها الكتاب. تناول الزهراوي في هذه الأبواب الأشكال الصيدلانية، ودراسات عن أدوية تخص معالجة أمراض معينة؛ مثل أدوية القلب وأدوية السمنة والباءة وأمراض النساء. وأفضل ما كتبه في الكتاب عن الصيدلة المقالتين 28 و29. وقد ترجمت الأولى إلى اللاتينية وطبعت في البندقية عام 876هـ، 1471م. وكانت أشهر مقالة صيدلانية، تناول فيها كيفية تحضير العقاقير المعدنية والنباتية والحيوانية وتنقيتها، وذكر أسماء العقاقير بأربع لغات إلى جانب العربية هي: اليونانية والفارسية والسريانية والبربرية. وهو عمل يمكن أن يطلق عليه الآن معجم مصطلحات الصيدلة المتعدد اللغات. كما أورد أسماء الأدوات والأجهزة الكيميائية والصيدلانية، وأبدال الأدوية المفردة وذكر مصادرها ـ إن وجدت ـ وأعمار الأدوية المركبة والمفردة؛ أي تاريخ صلاحية الدواء. وكما فعل من سبقه أتى في النهاية على ذكر الأوزان والمكاييل ورتبها ترتيبًا ألفبائيًا. وكان الزهراوي أول من استخدم الفحم في ترويق شراب العسل البسيط وأول من استخدم قوالب الكبس لصنع الأقراص الدوائية.

6 ـ إسهام الغافقي:

نال أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت 560هـ، 1165م) شهرة عظيمة بعد أن صنف كتابه **الأدوية المفردة** . وقد جمع فيه نحوًا من 1000 دواء من الأدوية المفردة ووصفها وصفًا دقيقًا وشرح طرق تحضير بعضها واستخدامها، وأورد من بينها النباتات الأسبانية والإفريقية ووضع مقابلاتها العربية واللاتينية والبربرية .كما استقصى في هذا الكتاب كل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس.

وكان يرى أن على الطبيب أن يكون ملمًا تمامًا بالدواء الذي يصفه لمرضاه، لكنه لا ينبغي أن يتدخل في صنع هذا الدواء، بل يترك ذلك للصيدلاني الذي ينبغي أن يكون مطّلعًا على استعمال الأدوية وطرق تحضيرها. وإلى جانب **الأدوية المفردة** له مصنف آخر اسمه **كتاب الأعشاب** يحتوي على 380 صورة ملونة لنباتات وعقاقير رسمت رسمًا دقيقًا.

7 ـ إسهام ابن البيطار:

يُعّد أبو محمد عبدالله بن أحمد بن البيطار (ت 646هـ، 1248م (أكثر علماء النبات المسلمين إنتاجًا وأدقهم في فحص النباتات في مختلف البيئات والبلدان؛ فقد تجوّل في كثير من أقطار العالم المعروف آنذاك رغبة في جمع الحشائش والنباتات، وعني بدراسة كل نبات في زمانه وبيئته. وقد ألّف كتبًا كثيرة أهمها **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، وكان أوسع وأهم كتاب في الصيدلة وعلم النبات طوال الحقبة الممتدة من ديسقوريدس إلى القرن السادس عشر الميلادي. وقد ذكر في هذا الكتاب نحوًا من 1500 صنف من الأدوية الحيوانية والنباتية والمعدنية، من بينها 300 صنف جديد اكتشفها بنفسه. ولعلّ أهم ما يميز هذا الكتاب منهجه العلمي . وكان يرى أن المتقدمين وقعوا في أخطاء «لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل» أما هو فكما يقول عن نفسه: «واعتمادي على التجربة والمشاهدة». عندما وصل إلى مصر عينه صلاح الدين الأيوبي رئيسًا للعشابين ـ ولما وصل إلى دمشق عينه الملك الكامل بن العادل رئيسًا للعشابين أيضًا.

ورتّب ابن البيطار مفردات كتابه ترتيبًا ألفبائيًا، وضع لكل مفردة مقابلها باللغات السائدة آنذاك. وتُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينية والتركية والألمانية والفرنسية. انظر :ابن البيطار. يقع هذا المؤلّف الموسوعي في أربعة أجزاء يذكر فيها ماهيات الأدوية، وقوامها ومنافعها ومضارها، وإصلاح ضررها والمقدار المستعمل منها ومن عصارتها أو طبخها، وبدائلها إذا انعدمت. وذكر أسماء النباتات والحيوانات والمعادن التي يتخذ منها العقار، ويصف أجزاءه وصفًا دقيقًا، ومواطن نموه، وطريقة تحضير الدواء منه، ثم طريقة الاستعمال. وعلى الرغم من أنه ضمّن كتابه بعض معتقدات العامة إلا أن مفرداته بصورة عامة يغلب عليها الطابع العلمي من حيث الجمع والترتيب والتبويب وسلامة العرض وأمانة النقل.

8 ـ إسهام داود العطار:

ختم أبو المنى داود المعروف بكوهين العطار (ت نحو 658هـ،1259 م) قمة حقبة المجد الصيدلاني في الدولة الإسلامية خلال الفترة التي تبدأ بالقرن الثامن الميلادي وتنتهي بنهاية القرن الثالث عشر منه، واهتم بدراسة العقاقير فألف كتابه المشهور **منهاج الدكّان ودستور الأعيان في تركيب الأدوية النافعة للأبدان** .

وقد جمع هذا الكتاب كما يقول في مقدمته: «...مختارًا من عدة أقرباذينات ...**كالإرشاد الملكي**، و**المناهج** و**أقرباذين ابن التلميذ** و**الدستور** ...ومما نقلته عن ثقات العشابين ومما امتحنته وجربته بيدي».

ذكر داود العطار نحوًا من 24 شكلاً صيدلانياً عرف في عصره، وطرق تحضيرها، بالإضافة إلى دراسة وافية مفصلة لأعمار الأدوية. وتناول الأدوية النباتية المفردة وقوتها. ووصف طرق فحص الأدوية المغشوشة من الأصيلة وهو ما كان يسمى آنذاك بامتحان الأدوية ومن أهم الأدوية التي ورد ذكرها في **دستور الدكان** :الأشربة وطبخها، والمربيات، والمعاجين والجوارشنات، والسفوفات، والأقراص، واللعوقات، والحبوب، والمراهم، والأدهان،

والأدوية المسهلة والقابضة، والأكحال. تميز داود العطار عن غيره بالنزاهة التي عرفت لابن البيطار والرازي وغيرهما من علماء العرب والمسلمين؛ فقد اعترف أنه جمع معظم مادته من خبرته وتجربته الشخصية بالإضافة إلى أخذه من عدة مصادر أخرى **كالإرشاد** لابن جميع، و **كامل الصناعة** للمجوسي و **المنهاج** لابن جزلة البغدادي و **أقرباذين ابن التلميذ** و **الدستور البيمارستاني** للشيخ السديد.

ط ـ أشهر النباتات الطبية والأشجار التي عرفها العرب :

– **الأبنوس** : شجر كقطعة الحجر لا يطفو على الماء .

– **الأترج** : طيب الطعم والرائحة استخدم في تسكين العطش ووقف الإسهال .

– **الإذْخر** : نبت طيب الرائحة ينفع من الحكة، ويفتت الحصا، ويدر البول .

– **الأراك (عود السواك)** : طيب النكهة، يشهي الطعام .

– **الأُرز** : استخدم في إيقاف الإسهال .

– **الآس** : يقطع الإسهال .

– **الإسفاناج** : ينفع من السعال وخشونة الصدر وأوجاع الظهر .

– **الأشنان** : هو الحرض الذي يغسل به .

– **البابونج** : ملطِّف مليِّن يدر البول والحيض .

– **البان** : شجر طيب الرائحة ذو لب دهني .

– **البصل** : ماؤه ينفع القروح الوسخة. وهو مع العسل يمنع الخناق ويفتح أفواه البواسير .

– **البطيخ** : استخدم لغسل المثانة وتنظيف البطن .

– **البنفسج** : شرابه يسكن الأوجاع الباطنة ويستخدم في الضمادات للإسهال .

– **التمر** : غذاء فاضل .

– **التمر الهندي** : لوقف القيء وشراب قاطع للعطش وتسهيل الصفراء .

– **التنوب** : يستخلص منه أجود أنواع القطران .

– **التوت** : الحامض منه ينفع القروح،ورُبُّه نافع لبثور الفم .

– **التين** : الفج منه يضمد الثآليل والبهق .

– **الثوم** : استخدم في لسع الحشرات مثل الترياق .

– **الجزر** : ينفع من الاستسقاء، يسكن المغص ويدر الطمث والبول .

– **الحسك** : يفتت حصى الكلى والمثانة، ورشه في المنزل يقتل البراغيث .

– **الحصرم** : ماؤه يقطع الإسهال والقيء وينبه الشهوة وشرابه بإضافة النعناع إليه يقطع الغثيان .

– **الحلبة** : تدر الحيض، وتنفع من القولنج، تسكن السعال والربو .

– **الحلوز** : مبرئ لأوجاع العصب والظهر وعرق النسا، وينفع من القيح والحصاة .

– **الحمص** : دهنه ينفع القوباء، وينفع نقيعه من آلام النقرس وطبيخه نافع للاستسقاء واليرقان .

– **الحنطة** : بخلط دقيقها بالزعفران دواء للكلف .

– **الحنظل** : لإحداث الإسهال الشديد .

– **الخبازى** : للسعال، وحكة المقعدة .

– **الخرنوب** : لإطلاق البطن .

– **الخس** : منوِّم مسكِّن لشهوة الباه، وينفع في اليرقان .

– **الخشخاش** : مخدِّر منوِّم .

– **الخطمي** : تتخذ بذوره في الحقن اللينة .

– **الخوخ** : ملين، يضمد بورقه السرة فيقتل ديدان البطن .

– **الدهمشت** : جيد لاسترخاء العصب والفالج، مسحوقه معطش. ينفع من أورام الكبد والطحال .

– **الذاب** : ينفع أوجاع الرئة والجنب، يغلى بالزيت ويشرب للديدان .

– **الرواند** : لفتح سدد الكبد .

– **الرمان** : الحلو لقطع السعال، والحامض المنعنع يمنع القيء .

– **الريباس** : ينفع من الطاعون والإسهال الصفراوي .

– **الزعفران** : جيد للطحال، مدر للبول، وينفع من صلابة الرحم .

– **الزنجبيل** : يهضم ويوافق برد الكبد والمعدة وينفع من سموم الهوام .

– **الزيتون** : يحفظ الشعر، والأسود منه مع نواه بخور للربو وأمراض الرئة .

– **السرو** : شجر يضرب به المثل في استقامته، تدخن أغصانه لطرد البق .

– **السفرجل** : قابض للمعدة ويفيد من السعال .

– **السلق** : ينفع من القوباء طلاء بالعسل .

– **السماق** : قابض مُشَهٍّ للطعام .

– **السمسم** : يطيل الشعر، جيد لضيق النفس والربو. رديء للمعدة نقيعه شديد في إدرار الحيض حتى إنه يسقط الجنين .

– **السنا** : للإسهال.

– **الشعير** : استخدم ماؤه لإدرار البول وقطع العطش .

– **الشيح** : يسكن الأورام والدمامل، وينفع من عسر النفس وهو ضار بالمعدة، يخرج الديدان، ويدر الطمث والبول .

– **الصبر** : لفتح سدد الكبد ولذهاب اليرقان .

– **الصعتر** : لتسكين وجع الأسنان، وقتل الديدان، ومدر للبول والحيض، وشمه نافع للزكام .

– **الصندل** : يتخذ خشبه بخورًا عطريًا. ينفع من الصداع والخفقان .

– **الطرفاء** : استخدمت قضبانها في الخل النافع لوجع الطحال .

– **العنّاب** : ورقها ينفع من وجع العين، ويتخذ ضمادًا، وشرابه ينفع الجدري والحصبة .الفلفل يحلل الرياح .

– **القرع** : ينفع السعال .

– **القرنفل** : يسكن مسحوقه ألم الأسنان، ويحد البصر ويقوي المعدة .

– **القصب** : ينفع السعال ويجلو المثانة .

– **القطن** : بذرته جيدة للصدر ونافعة للسعال وملينة للبطن .

– **الكافور** : لقطع الرعاف وتقوية الحواس وقطع الباه .

– **الكراث** : ينفع من أورام الرئة، رديء للمعدة، وينفع البواسير مسلوقًا مأكولاً وضمادًا .

– **الكرنب** : ينفع الجرب المتقرح، بذره بماء الترمس يقتل الديدان، وينفع أيضًا من البلغم .

– **الكزبرة** : تقوي المعدة المحرورة، ورطبها ويابسها يكسر من قوة الباه والإنعاظ .

– **الكمون** : يحل القولنج ويطرد الريح .

– **اللاعية** : من النباتات السامة، يدق ورقها لإحداث الإسهال الشديد .

– **اللوبياء** : جيدة للصدر والبلغم .

– **اللوز** : الحلو منه ينفع السعال، ويخصب البدن ويغذيه غذاءً جيدًا، والمر منه يفتت الحصى .

– **الليمون** : شرابه يقطع القيء والغثيان .

– **المشمش** : ماء نقيعه يقطع العطش .

– **المن** : دواء للصدر، ويستخدم للسعال .

– **الموز** : ملين، والإكثار منه يولد السدد ويزيد من الصفراء والبلغم .

– **النارنج** : منعش، يقوي القلب، حماضه ينفع من التهاب المعدة، ومغص البطن .

– **النبق** : يمنع تساقط الشعر ويقويه، وورقه نافع للربو، وينفع من نزف الحيض .

– **النرجس** : لفتح سدد الزكام .

– **الينسون (أنيسون)** : استنشاق بخاره يسكن الصداع والدوار، مدر اللبن، محرك للباه، يفتح سُدد الكلى والمثانة والرحم .

– **النعناع** : لتقوية المعدة وتسكين الفواق ومنع القيء .

– **الهليون** : لفتح سدد الكلية، وينفع لوجه الظهر .

– **الهندباء** : لأمراض الكبد .

– **الياسمين** : يلطف الرطوبات، وينفع دهنه كبار السن.

ى ـ تعليمات للقرّاء :

أخي القارئ....أختي القارئة..... أرجو الأخذ في الاعتبار البنود التالية وهى بمثابة خريطة يهتدي إليها القارئ.

1 ـ ليس الهدف الأساسي من وراء هذا الكتاب هو سرد حياة العلماء وإنما هو إلقاء الضوء على موسوعية العلماء ومدى اتساع أفق ورؤية العالِم من خلال اشتغاله بأكثر من مجال في العلم.

2 ـ قد يكون هناك أكثر من عالم له باع في الطب والشعر والرياضيات والفيزياء والفلك ؛ أي أنه على سبيل الإيضاح عندما يكون هناك قاسم مشترك وفى هذه الحالة نلقى الضوء على سيرته الذاتية بإيجاز في مجال واحد فقط حينما نتعرض له في المرة الأولى وندخل في الموضوع مباشرةً موضع الدراسة والبحث دون الالتفات مرة ثانية إلى حياته أو أعماله، ويمكن ذكر سيرته الذاتية فقط إذا لزم الأمر حتى نربط الماضي بالحاضر لتعزيز وتدعيم الفكرة و المعلومة.

3 ـ قد يكون هناك تفاوت بسيط نسبياً بين ميلاد أو وفات عالم في هذه الموسوعة وبين المراجع الأخرى حيث أن بعض المراجع تشير بكلمة تقريباً والبعض الآخر يشير إلى التاريخ صراحةً وهذا لايخرجنا عن هدف الكتاب.

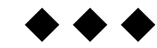
5 ـ عند البحث في كتب التراث وجدنا أن بعض المخطوطات قد فقدت بالرغم من التنويه عنها في مكان آخر ولذا قد نذكر مآثر العالم في الشعر أو الطب مثلاً دون وجود قصيدة لدينا.

6 ـ الإشارة إلى توثيق المعلومات يكون في نهاية كل مبحث حتى لانقطع خط أفكار القارئ.

7 ـ غالبية الصور الشخصية للعلماء حقيقية وموثقة ،وإذا كانت هناك صورة تقريبية فنشير إليها

8 ـ قد نذكر الشعر المرتبط للعالم في مجال الطب والصيدلة ونتجاوز عن شعره في مجال الرياضيات أو الفيزياء أو النبات إذا ما كان هذا العالم من العلماء الموسوعيين الذين يشتغلون في أكثر من مجال من مجالات الشعر .

9 ـ إذا كان العالم نبغ في الطب والصيدلة ولكن نبوغه وإسهاماته في الصيدلة أفضل من الطب فإننا نضعه مع علماء الصيدلة ونشير بالقليل إلى إسهاماته الطبية مثل ابن طفيل مثلاً نجد أن معلوماته الطبية تقوم على الطب المجرب والذي يتصل أكثر بجانب العلاج من النباتات والعقاقير الطبية فقد آثرنا أن نضعه في علماء الصيدلة.



الفصل الثاني



سيرة وارجوازات وأشعار علماء الصيدلة والنبات



1 - ابن زقاعة

الاسم : إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن زقاعة .

تاريخ الميلاد :غرة ربيع الأول 724 هـ ـ 1323 م.

مكان الميلاد : غزة.

تاريخ الوفاة : 12 من ذي الحجة سنة 816 هـ ـ 1414م .

مكان الوفاة : القاهرة.

سبب الوفاة : قتل.

الجنسية : غزي.

المهنة : عالم فلك ـ نبات ـ صيدلة ـ خيّاط.

موجز السيرة

هو برهان الدين أبو إسحق بن محمد بن بهادر بن أحمد الشافعي الغزي القرشي النوفلي، الشهير بابن زقاعة. ولد بمدينة غزة أول ربيع الأول سنة خمسة وأربعين وسبعمائة من الهجرة، وأبعد ما قيل عن سنة ولادته سنة أربع وعشرين وسبعمائة[1] الموافق لعام 1323م وتوفي في عام 816 للهجرة الموافق لعام 1414 م.

مارس منذ نعومة أظفاره مهنة الحياكة، وعندما بلغ سن النضج تميز ببراعته في عدة علوم منها معرفته بالأعشاب والنباتات وعلم التصوف، كما تميز بعلم الفلك واشتهر به وساح في الأرض[2]، مؤكداً بذلك أن الزهد والتصوف لا يعني الانغلاق والتقوقع، وقد بدا ذلك جلياً في قصيدته التائية في «وصف الأرض» وما احتوت عليه من جبال ووديان وأنهار وبحار وأعشاب وأزهار، حاكها جميعاً بأبيات شعرية بلغت في بداية كتابتها خمسمائة بيت ثم زادها حتى تجاوزت خمسة آلاف[3].

وعليه لا نغالي إذا قلنا بأن ابن زقاعة كتب أطول قصيدة في الجغرافيا الطبيعية، مستخدماً مفردات جغرافية بإتساع فلسطين ، وكأنه بالتالي شاعر بلا حدود جغرافية محددة، وأبدع في وصف جبال فلسطين الشامخة وأنهارها المعطاءة وأزهارها الفواحة وأعشابها الشافية ومدنها وقراها المقدسة بأسلوب وأداء لم يسبقه منذ عصره حتى اليوم شاعراً أو أديباً.

لذا كان الاهتمام بديوانه هذا تحقيقاً ودراسة من وجهة النظر الجغرافية الفلسطينية المحضة أمراً لابد منه، مما يدفعنا بالتالي لأن نجتزئ من ديوانه المحيط في جغرافيا العالم تلك القطرات الفياضة عن جغرافية فلسطين مؤكداً على عروبتها وبأن الجغرافيا كائن حيّ فعلاً. وقبل الخوض في الملامح الجغرافية لفلسطين في ديوان ابن زقاعة، لابد لنا من إطلالة سريعة على المناخ السياسي والاجتماعي وكذا الاقتصادي الذي عاش في كنفه وأثر في تكوينه داخل غزة وفلسطين ومصر .

---

(1) السخاوي شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – الجزء الأول – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – بدون – ص130 .

(2) الحنبلي – أبي الفلاح عبد الحي بن العماد – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – الجزء السابع – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون – ص115 –116 .

(3) السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المرجع السابق ص131.

ولد بن زقاعة بمدينة غزة والدولة المملوكة في قمة شموخها السياسي وازدهارها الاقتصادي وعظمتها الفنية والعمرانية وانسجامها الاجتماعي، وقد انعكس ذلك جليا على مدينة غزة، حلقة الوصل الجغرافي بين عاصمة المماليك في القاهرة وامتدادها في بلاد الشام ومن خلفها آسيا وأوروبا، فاستفادت من هذا الموقع كمحطة تجارية – حتى بلغت معه شأوا أصبح يطلق عليها «المملكة الغزية» و «غزة المحروسة»،. في هذا المناخ ولد بن زقاعة ليرى ما صنعه أميرها علم الدين سنجر الجاولي الذي حكمها بين عامي 711–720 هـ أي قبيل ميلاد ابن زقاعة بأربع سنوات. حيث بني بها جامعاً ضخماً «جامع الجاولي » وعمَّر حماماً هائلاً ، ومدرسة للشافعية ، كما بني خانا للسبيل ، ومارستانا أوقف عليه أوقافاً جليلة»[4]، ليفي بذلك بكل احتياجات أبناء المدينة الدينية والتعليمية والترويحية والصحية كضرورة من ضروريات الحياة. حتى إذا ما بلغ ابن زقاعة سن الشباب، وجد غزة المحروسة كما هي محافظة على مجدها كما وصفها ابن بطوطة عند زيارته لها في خمسينات القرن الثامن الهجري بقوله «متسعة الأقطار كثيرة العمارة ، وحسنة الأسواق»[5]. وبعد ذلك بأعوام، وبالتحديد عام 782 هـ حين بلغ ابن زقاعة الثلاثينيات الأخيرة من عمره زاره أحد أصدقائه ويدعى «البرهان» في منزله بغزة واصفاً إياه بقوله «وجدت رجلاً صالحاً ،كثير المعروف وقت جلوسي عنده دق عليه الباب مرات يخرج ويجيء وهو مسترزق من العقاقير، يصف أشياءً للأوجاع. كما يطلب منه الدعاء[6]»أملاً في الشفاء.

(4) د. احمد عيسى بك – تاريخ البيمارستانات في الإسلام – دمشق – 1939 ص247.

(5) ابن بطوطة – مهذب رحلة ابن بطوطة – تهذيب وضبط احمد العوامري وزميلة – المجلد الأول – القاهرة 1945 .44–43

(6) السخاوي – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – المرجع السابق ص134.

وبعد هذه الزيارة بعامين، وبالتحديد عام 784 هـ تولى الحكم الملك الظاهر برقوق أول سلاطين الدولة المملوكية البرجيه الذي «أبطل المكوس في عصره وانتعشت التجارة وانخفضت أسعار السلع المستوردة، مما شجع العديد من التجار الأجانب للاتجار مع أقطار المملكة»(7).

الأمر الذي استوجب تكثيف عنصر الأمن للتجار خاصة في المنطقة الصحراوية (صحراء سيناء) وبوابتها «غزة» فأقيمت الخانات المزودة بالقلاع على طول امتداد فلسطين ومنها «خان يونس»: الذي أنشأه يونس النوروزي في عهد السلطان برقوق عام 789 هـ وهو نواة مدينة خان يونس اليوم(8).

ففي كنف هذه الحياة الرغدة الآمنة استطاع «ابن زقاعة» أن يتجول في ربوع فلسطين قاطبة يبحث عن ملامح هويتها راهباً وراغباً في تسجيلها والاستفادة من كل ما تنبته أرضها حتى لمع نجمه في التصوف والطب والفلك لتصل، بالتالي شهرته لرأس الدولة المملوكية الظاهر برقوق فيستدعيه إلى القاهرة لحضور المولد النبوي الشريف فنال منه الوجاهة التي لم يحظ بها أي فرد آخر حتى اعتلى أعلى المناصب وأصبح يجلس فوق «قضاء القضاء»(9).

وأصبحت له نفس المكانة في عهد الملك الناصر فرج ابن برقوق الذي لم يكن ليخرج في أسفاره حتى يأخذ الطالع من ابن زقاعة لياتي بعد ذلك السلطان المؤيد مُعرضاً عنه، مما أدى إلى تقوقعه في منزله بالقاهرة حتى مات ابن زقاعة في ذي الحجة من عام ستة عشر وثمانمائة ودفن في مقبرة تقع على يمين الخارج من باب النصر بالقاهرة»(10). هكذا عاش «ابن زقاعة» زمانه في جو من الهدوء والاستقرار والعيشة الهانئة مكنتَّه من أن يجوب العديد من الأقطار مبتدأً بوطنه المقدس فلسطين. وجاء فى كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك القاهرة(11):

(7) د. سعاد ماهر – القاهرة القديمة وأحياءها – المكتبة الثقافية – العدد 70 – القاهرة 1926 ص83.

(8) للمزيد انظر سليم المبيض – البنايات الأثرية الإسلامية في غزة وقطاعها – الهيئة المصرية العامة–القاهرة–1995 ص 376–379.

(9) الحنبلي – المرجع السابق.

(10) النابلسي – الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ص121.

(11) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للمؤلف : ابن حَجَر العسقلاني ، تحقيق محمد علي النجار – مراجعة علي محمد البجاوي .المكتبة العلمية (بيروت – لبنان).

وتوفي الشيخ الإمام المفنن العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد القرشي الغزي النوفلي الشافعي المعروف بابن زقاعة في ثاني عشر ذي الحجة بالقاهرة عن اثنتين وتسعين سنة.

وزقاعه: بضم الزاي المعجمة وفتح القاف وتشديدها وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء ساكنة. وكان إمامًا عارفًا بفنون كثيرة لا سيما علم النجوم والأعشاب وله نظم كثير. وكانت له وجاهة عند الملوك بحيث إنه كان يجلس فوق القضاة. ترجم له المقريزي فقال: « ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة -745 ، وعانى الخياطة . وأخذ القراءات عن شمس الدين الحكري ، والفقه عن بدر الدين القونوي ،والتصوف عن الشيخ عمر حفيد عبد القادر الجيلي . وسمع الحديث من نور الدين الفوي ، وغيره.ونظر في النجوم وعلم الحرف،وقال الشعر وعرف الأعشاب وتجرد وساح في الأرض زماناً واشتهر بفقره ، ونفقت له بها سوق ، حتى طلبه الظاهر برقوق فطار ذكره وبعد صيته مدة سنتين. ثم انحل عنه قليلاً. فلما استبد الناصر فرج بن برقوق تخصص به حتى قتل . فمقته المؤيد شيخ وأهانه،فمات في خموله بالقاهرة في ثاني عشرين ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة . وله كتاب « دوحة الورد في معرفة النرد » وتقريب التعجيم في حرف الجيم.وله قصيدة عدتها على ما أخبرني- [المقريزي] - سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعون بيتاً ، تشتمل على صفة الأرض ، وما احتوت عليه . وكان مكثاراً ... تؤثر عنه مخاريق ... ولآخرين فيه اعتقاد ويحكون عنه كرامات(12) .

(12) « المقفى الكبير » لتقي الدين المقريزي (ت845) = (1441م) ج1 : (ص 294- 295) تحقيق : محمد البجلاوي .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1990م .

وتـرجم لـه السـخاوي بعـد أن ذكـر نسـبه وشـيوخه الـذين أخـذ عـنهم ثـم أردف قـائلاً : « ... وتولع بالأدب فقال الشعر نظر في النجوم وعلم الحرف ومعرفة منافع النبات والأعشاب . وساح في الأرض لتطلبه والوقوف على حقائقه وتجرد زماناً وتزهد فعظم قدره وطار ذكره وبعد صيته خصوصاً في أول دولة الظاهر برقوق فإنه استقدم من بلده مراراً عديدة لحضور المولد النبوي ، وتطارح الناس على اختلافهم عليه ثم انحل عنه قليلاً فلما استبد ابنه الناصر فرج تخصص به وتحول للقاهرة بعد الكائنة العظمى بدمشق فقطنها وسكن مصر على شاطئ النيل وتقدم عند الناصر جداً ، حتى كان لا يخرج إلى الأسفار إلا بعد أن يأخذ له الطالع ولا يتعدى الوقت الذي يعينه له ، فنقم عليه المؤيد ذلك ونالته منه محنة في أوائل دولته ثم أعرض عنه واستمر في خموله خارج باب النصر وأرخه بعضهم في سنة ثماني عشرة وهو غلط . وقد ذكره شيخنا في معجمه[13] وقال إنه جمع أشياء منها « دوحة الورد في معرفة النرد و « تعريب التعجيم في حرف الجيم » و غير ذلك . قال : وقرأت بخط صاحبنا خليل بن محمد المحدث يعني الأقفهسي سمعت صاحبنا خليل بن هارون الجزائري يقول : سمعت الشيخ محمد القرمي ببيت المقدس يقول : كنت يوماً في خلوة فسألت الله تعالى أن يبعث لي قميصاً على يد ولي من أوليائه فإذا الشيخ إبراهيم ومعه القميص للشيخ وانصرف من ساعته قال : وأول ما اجتمعت به بغزة قبل تحوله إلى القاهرة ، وسمعت كذلك من نظمه وفوائده ثم اجتمعت به في سنة تسع وتسعين فسمعت من نظمه وفوائده ثم كثر اجتماعنا بعد سكناه القاهرة ، وسمعت كذلك من نظمه وفوائده ، ثم كثر اجتماعنا بعد سكناه القاهرة ، وقد حج وجاور وأجاز لي رواية نظمه وتصانيفه منها:القصيدة التائية في صفة الأرض وما احتوت عليه وكانت أولاً خمسمائة بيت ثم زاد فيها إلى أن تجاوزت خمسة آلاف . وكان ماهراً في استحضار الحكايات والماجريات في الحال وفي النظم والنثر عارفاً بالأوفاق وكان يخضب بالسواد ثم أطلق قبل موته بثلاث سنين ....

(13) « المجمع المؤسس للمعجم المفهرس » [ج3: ص 18] مشيخة الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره / شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير ب «ابن حجر العسقلاني » [733- 852 هـ] . تحقيق : الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي .- بيروت : دار المعرفة ، 1994 م .

وقال في أنبائه أنه كان أعجوبة زمانه في معرفة الأعشاب واستحضار الحكايات والماجريات مقتدراً على النظم عارفاً بالأوفاق وما يتعلق بعلم الحرف مشاركا في القراءات والنجوم وطرق من الكيمياء ، وعظمه الظاهر جداً ، حتى كان لا يسافر إلا في الوقت الذي يجده له ومن ثم نقم عليه المؤيد ونالته منه محنة يسيرة في أول دولته . وقال التقي المقريزي : « اجتمع بي بعد طول امتناعي من ذلك وأنشدني كثيراً من شعره .... ومن الصوفية من كان يزعم أنه يعلم الحرف والاسم الأعظم ،بل وصفه الجمال بن ظهيرة وناهيك به بشيخنا الإمام العلامة شيخ الطريقة والحقيقة ، .... وقال عنه البرهان في مشيخته:اجتمعت به في مدينة غزة في قدمتي إليها في ربيع الآخر سنة إثنين وثمانين وسبعمائة فوجدته رجلاً كثير المعروف ووقت جلوسي عنده دق الباب عليه مرات ويخرج ويجيئ وهو مسترزق من العقاقير،وبعض الناس من أهل غزة يقولون إنه ينفق من الغيب ، وهو رجل فاضل يعرف قراءات القرآن ويصف أشياء للأوجاع كالأطباء ، ويطلب منه الدعاء وقد طلب مني أحاديث من كتاب العلم لأبي خيثمة زهير بن حرب وسمعها على في القدمة الثالثة وسمعت أنا عليه وقرأت أيضاً بعض شيئ من شعره وأجاز لي ماله من نظم ونثر »[14]. ويقول عنه ابن تغري بردي في موضع آخر حيث ينقل وصف قاضي القضاة جمال الدين بن ظهيرة المكي الشافعي حيث قال : « أنشدنا شيخنا الإمام العلامة شيخ الحقيقة والطريقة أبو إسحاق إبراهيم بن زقاعة الغزي لنفسه من لفظ »[15].

(14) « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » تأليف : المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي .- الجزء الأول :(ص 130- 134) [يتصرف] .

(15) « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » / تأليف : يوسف بن تغري بردي الأتابكي المتوفى سنة 874هـ = 1470 م .(الجزء الأول : ص167) حققه : ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور.- القاهرة : الهيئة المصرية العاة للكتاب ، 1984 م.

ووصفه وبين مكانته فقال : « كانت رئاسته في علوم كثيرة ، وحظ زائد عند ملوك مصر ـ الظاهر برقوق ، وولده الناصر فرج ، ونال من الحرمة والوجاهة ما لم ينله غيره من أبناء جنسه ، بحيث أنه كان يجلس فوق قضاة القضاة ، وقد سألت عنه قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين بن حجر فقال : كان قد اشتمل على عقل الملك الظاهر برقوق ، وحظي عنده ولده الناصر فرج ، وكان يعرف الأعشاب ، ولم يزد على ذلك[16] ، وكان إماماً بارعاً مفنناً في علوم كثيرة لا سيما في معرفة الأعشاب والرياضة وعلم التصوف .

مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وقال المقريزي : مولده سنة خمس وأربعين ، والأصح ما قلناه ، فإنه ما مات حتى بلغ الشيخوخة .

---

(16) للأسف هنا النقل غير صحيح فقد زاد ابن حجر ونقل السخاوي غير دقيق بل غير صحيح : حيث أن ابن حجر ترجم له ترجمة كاملة فقال عن ابن زقاعة : « ... ذكر لي أنه ولد سنة خمس وأربعين ، وتعانى الخياطة في مبدأ أمره وأخذ القراءات عن شمس الدين الحكري ، والفقه عن بدر الدين القونوي ، والتصوف عن الشيخ عمر حفيد عبد القادر . وسمع الحديث من نور الدين الفوي وغيره . =

= ثم بلغني أنه كان يذكر أنه سمع « البخاري » من قاضي بلدهم علاء الدين ابن خلف . وكان يدعى أنه قرشي من بني نوفل . واشتغل بالآداب ، وقال الشعر ، ونظر في النجوم ، وعلم الحرف ، ومعرفة منافع النبات ، وفاق في ذلك ، وساح في الأرض لتطلب ذلك والوقوف على حقائقه وتجرد وتزهد وعظم قدره خصوصاً في دولة الظاهر برقوق ، وشاع ذكره ...... ويورد ابن حجر كراماته نقلاً عما حصل له مع الشيخ محمداً القرمي –حينما سأل الله تعالى أن يبعث له قميصاً على يد ولي من أوليائه ، فإذا بالشيخ إبراهيم ومعه قميص فقال أعطو القميص للشيخ وانصرف من ساعته . ويواصل ابن حجرفي ترجمته فيقول : ثم إن الشيخ تحول من غزة إلى القاهرة بعد الكائنة العظمى بدمشق فسكنها ، وسكن بمصر على شاطئ النيل ، وتقدم عند الناصر حتى كان لا يخرج إلى الأسفار إلا بعد أن يأخذ له الطالع ، فنقم عليه الملك المؤيد ذلك ، فنالته محنة في أوائل دولته ، ثم أعرض عنه إلى أن مات في ثاني عشري ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة . وأول ما اجتمعت به سنة تسع وتسعين فسمعت من نظمه وفوائده . ثم اجتمعت به بغزة قبل تحوله إلى القاهرة ، وسمعت من نظمه أيضاً وفوائده . ثم كثر اجتماعنا بعد سكناه في القاهرة . وقد حج وجاور . وأجاز لي رواية نظمه وتصانيفه منها : « القصيدة التائية في صفة الأرض وما احتوت » كانت أولاً خمس مائة بيت ثم زاد فيها إلى أن جاوزت خمسة آلاف . وكان ماهراً في استحضار الحكايات والماجريات في الحال ، ماهراً في النظم والنثر ، عالماً بالأوفاق ، وكان يخضب بالسواد ، ثم أطلق قبل موته بثلاث سنين .

وكان الناس فيه على أقسام : فمنهم من كان يعتقد صلاحه ، ومنهم من كان يطنب في غزير علمه وفضله ، ومن الصوفية من كان يزعم أنه يعرف الحرف ويدري الاسم الأعظم »[17].

وأرّخ له ابن العماد الحنبلي فقال : « مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة على الصحيح .. وتوفى بالقاهرة في ثامن عشر ذي الحجة ودفن خارج باب النصر»[18] . وأدرجه النبهاني من ضمن الأولياء الذين ترجم لهم إلا أنه نسبه إلى بلاد المغرب[19] وهو الوحيد الذي أورد هذا النسبة لابن زقاعة ، فقد أجمعت كتب التراجم على نسبته « بالغزي » نسبة إلى مدينة غزة هاشم[20] والكرامة التي أوردها النبهاني لابن زقاعة هي « ... ما حكاه الحافظ ابن حجر عن خليل الأقفهسي المحدث عن المقري الشيخ محمد القرمي أنه كان في خلوة ، فسأل الله أن يبعث إليه بقميص من يد ولي من أوليائه ، فإذا بابن زقاعة ومعه قميص ، فأعطاه إياه ثم انصرف فوراً . ويقال إنه كان يعرف الاسم الأعظم ومنافع النبات . ... وكان يسكن القدس وغزة ، وله ديوان شعر فيه من المدائح النبوية والقصائد الصوفية »[21].

---

(17) «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » ج1 :(ص 167- 168)(مصدر سبق ذكره) .

(18) « شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج7 : (ص115- 116) » للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح : عبد الحي بن بن العماد الحنبلي المتوفى 1089 هـ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، (د.ت. ن) .

(19) « جامع كرامات الأولياء » (ج1 :ص 403) تأليف : يوسف بن إسماعيل النبهاني (1265- 1350) تحقيق ومراجعة : إبراهيم عطوة عوض.- القاهرة : مكتبة البابي الحلبي (د. ت. ن) .

(20) « من أعلام خليل الرحمن » (إبراهيم بن زقاعة) [دراسة تراثية أعدها] الدكتور : يونس عمرو عميد البحث العلمي في جامعة الخليل .- منشورات : مركز البحث العلمي في جامعة الخليل (1407هـ = 1987م).

(21) « جامع كرامات الأولياء » (ج1 :ص 403) تأليف : يوسف بن إسماعيل النبهاني (1265- 1350) تحقيق ومراجعة : إبراهيم عطوة عوض.- القاهرة : مكتبة البابي الحلبي (د. ت. ن) مصدر سبق ذكره .

واعتبره الشيخ عثمان الطباع من النبغاء الذين أنجبتهم غزة هاشم[22] . فقال : « ... ونبغ منها – [أي غزة] – وتصدر فيها للتدريس في القرن الثامن وما بعده جماعة من أعاظم العلماء وأجلاء الفضلاء منهم : إمام المحققين وقطب العارفين أبو اسحق إبراهيم الغزي المعروف بابن زقاعة الغزي وكان آية في الطب والتشريح والفلك والأدب وله ديوان شعر وتآليف . »[23] وترجم لم له في الجزء الثاني من كتابه إتحاف الأعزة في تاريخ غزة – ترجمة مختصرة ومتمثلة لمعظم ما جاء في كتب التراجم التي ترجمت له . ونقل عن العبدلي في كتاب المزارات حيث تكلم فيه عن المكان الذي دفن فيه ابن زقاعة وهي مقبرة الصوفية خارج باب النصر فقال : « ... وكان بهذه المقبرة قديماً قبور كثير من أهل العلم معظمها مقصود بالزيارة فاندرس غالبها وبقي منها بهذا العهد قبر الإمام برهان الدين بن زقاعة أحد العلماء الأعلام وشيخ السادة القادرية في القرن التاسع . قلت : [الطباع] ويوجد بجبل المنطار بغزة فسقية تعرف بمغارة صقاعة بتحريف الزاي والصاد ، كأنه كان يختلي بها وتعبد فيها ولايعرف من عائلته أحد بغزة ، وقد اطلعت على ديوان شعره بخط اليد فرأيت في أوله أن الشيخ الإمام القطب العارف برهان الدين أبو أسحق إبراهيم محمد بن بهادر بن أحمد القرشي النوفلي القادري الشافعي المقري الغزي الشهير بابن زقاعة» [24]. وترجم له الزركلي فقال : « ابن زقاعة ويقال ابن سقاعة ، إنسان عجيب من أهل غزة ، بدأ خياطاً ، وقرأ على شيوخ بلده ، ونظم كثيراً مما يسميه الناس شعراً . وتفرد في معرفة الأعشاب ومنافع النبات فكان يصف أشياء منها للأوجاع كالأطباء ، ويسترزق بالعقاقير ،

---

(22) بصدد الحديث عن أدباء غزة يقول الدكتور إسحق موسى الحسيني – رحمه الله – في كتابه هل الأدباء بشر ؟ – تحت عنوان هل ظهر في فلسطين أدب وأدباء ؟ : « ... وظهر في غزة شاعر من طبقة المتنبي هو أبو إسحق الغزي المتوفى سنة 524هـ ، وقد جاب بلاد الشام والعراق في طلب العلم ، ودرس في= =المدرسة النظامية في بغداد» . ثم قصد المشرق وأقام فيه متنقلاً مابين خراسان وكرمان إلى أن أدركته المنية في بلخ وتوفى بها . ولأبي إسحق ديوان مخطوط منه نسخ في المكاتب الأوروبية ومصر والقسطنطينية . وأطلعني فضيلة الشيخ راغب الطباخ في مدينة حلب على نسخة منه والعجيب أن يسرق شعره وينسب للشاعر الأبيوردي في ديوانه المطبوع .) انظر : في الأدب العربي الحديث ، تأليف : د. إسحق موسى الحسيني (مجموعة من كتبه ومقالاته) إعداد : د. محمد إبراهيم جبور 1985م . طبع في دبي .

(23) « كتاب إتحاف الأعزة في تاريخ غزة » للشيخ عثمان أبو المحاسن الطباع الغزي (1882 – 1950م) (مخطوط قيد النشر) تحقيق ودراسة : عبد اللطيف زكي أبو هاشم .– (الجزء الأول ورقة 233) .

(24) « إتحاف الأعزة » للطباع (مخطوط) الجزء الثاني :(ص 262– 263) مصدر سبق ذكره .

وتزهد وساح في طلب الأعشاب ، وكان يستحضر الحكايات «**الماجريات** » كما يقول السخاوي .، ومما نظم قصيدة تائية في « صفة الأرض وما احتوت عليه » - 7770 بيتاً ، وشاعت عنه مخاريق وشعبذة . وفي الصوفية من قال إنه يعرف الحرف والاسم الأعظم وينفق من الغيب ، وألف رسائل منها :

1 - « دوحة الورد في معرفة النرد » .

2 - «تعريب التعجيم في حرف الجيم»

3 - « لوامع الأنوار في سيرة الأبرار »

4 - « كتاب الوجود - خ » بخطه في معهد المخطوطات وهو منظومات له في الفلك والجبال والأنهار . الخ ولعله ديوان شعره .

وفي جامعة الرياض:(ديوان ابن زقاعة - خ) فيلم رقم 48 من مكتبة عارف حكمت (الرقم 232 أدب) وكان له حظ وافر عند ملوك مصر يجلسونه فوق قاضي القضاة . وتوفي بالقاهرة[25] . وترجم له كحالة في معجم المؤلفين ولم يزد على ما ورد في كتب التراجم إلا في إيراده مصدرين آخرين تزيد في معرفتنا بهذا الرجل . وهما تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ومعجم المصنفين للتونكي» [26] .

(25) الأعلام : تأليف : خير الدين الزركلي [ج1ص64- 65]، ط9 .- بيروت : دار العلم للملايين ، 1990م .

(26) « معجم المؤلفين » ، ج1 :(ص 59- 60) تأليف : عمر رضا كحالة (اعتنى به وجمعه وأخرجه : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ط1 .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1993 م .

ذكر ابن تغري بردي وفاته في ثاني عشر من ذي الحجة من سنة 816 هـ بالقاهرة عن اثنين وتسعين سنة ، ووصفه بالعلامة المفنن « برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد القرشي الغزي النوفلي الشافعي » ، المعروف « بابن زقاعة » . وزقاعة – بضم الزاي المعجمة وفتح القاف وتشديدها وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وبعد الألف عين مفتوحة وهاء ساكنة – وكان إماماً عارفاً بفنون كثيرة ، ولاسيما علم النجوم[27]، والأعشاب ، وله نظم كثير ، وكانت له وجاهة عند الملوك ، بحيث إنه كان يجلس فوق قاضي القضاة[28] ، ومن شعره أنشدني الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن زقاعة من لفظه لنفسه :

---

(27)يذكر ابن تغري بردي في كتبه النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ج13 ص أن « السلطان رحل من تربة أبيه قبيل الغروب من يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة من سنة أربع عشرة وثمانمائة لطالع اختاره له الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن زقاعة ، وقد حزر ابن زقاعة وقت ركوبة ، وعوق السلطان عن الركوب – والعساكر واقفة – حتى دخل الوقت الذي اختاره له ، فأمره بالركوب ، فركب السلطان وسار يريد البلاد الشامية ، ونزل بخيمة من الريدانية ، وفي ظنه أنه منصور على أعدائه ، لعظم عساكره ، ولطالع اختاره له ابن زقاعة ، فكانت عليه أيشم السفرات ، فلعمري هل رجع الشيخ برهان الدين بن زقاعة المذكور بعد ذلك عن معرفته هذا العلم أم استمر على دعواه ؟ » .

وأنا أتعجب من وقاحة أرباب هذا الشأن حيث يقع لهم مثل هذا الغلط الفاحش وأمثاله ، ثم يعودون إلى الكلام فيه والعمل به – . [انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج3 : ص97 . تأليف : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر 1390 هـ – 1970 م ، وقد ذكر المقريزي نفس الحادثة في كتابه السلوك فقال : « ورحل السلطان من الرتبة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ثاني عشرة ، بطالع اختاره له الشيخ برهان الدين بن زقاعة . وبات بخيمة من الريدانية ، تجاه مسجد تبر . واستقل بالمسير سحر يوم السبت » « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (808 هـ –824 هـ) [الجزء الرابع – القسم الأول (ص 198) . حققه وقدم له ووضع حواشيه : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.– القاهرة : مطبعة دار الكتب ، 1972 م .

(28) « وفي يوم الخميس عمل السلطان المولد النبوي ليلاً ، بعمارته التي أنشأها في الحوش من قلعة الجبل على عادته ، وحضر قاضي القضاة ، فجلسوا صفاً عن يساره ، وجلس عن يمينه الشيخ إبراهيم بن زقاعة ، والشيخ نصر الله الجلالي ، ومشايخ العلم . ومدت الأسمطة ، وفرقت الخلع» . انظر: «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (808 هـ –824 هـ) [الجزء الرابع – القسم الأول (ص 134) . حققه وقدم له ووضع حواشيه : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.– القاهرة : مطبعة دار الكتب ، 1972 م .

شعره

وصف لديوان ابن زقاعة الغزي :

- الرقم العام 1858ر7– ديوان ابن زقاعة / إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله.

- وزارة الأوقاف : المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية.

- مكان الأصل : الأحمدى.

- رقم الأصل : 475.

- ضمن مجموعة .

- رقم الرسالة داخل المجموعة 7.

- التجليد : قديم .

- المادة : كرتون .

- زخرفة التجليد : ملونة .

- الحاجة إلى التجليد : ماسة.

- اسم الناسخ : أبو بكر العصفور .

– المؤلف من صفحة العنوان : إبراهيم بن زقاعة.

– المؤلف من المقدمة : أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن هادر بن أحمد القرشى النوفلى الشافعى القادرى الغزى المقرى بن زعاقة.

– عنوان صفحة العنوان : ديوان إبراهيم بن زقاعة فى ثبات عقايد أهل السنة.

– عنوان الغلاف : رسالة أبيات فى عقائد أهل السنة ويليها التآئية.

– العنوان فى المقدمة : آبيات فى عقائد أهل السنة.

– اللغة : عـربـى.

– القياس : 21 × 15 سم .

– عدد الأوراق .38

– المسطرة : 21.

– الشكل : كتاب.

– المادة : ورق .

– النسخة تحتوى على علامات مائية ، تعليقات .

– الفواصل : ملونة .

– لون المداد فى العنوان الرئيسى : أسود .

– لون المداد فى النص : أسود ، أحمر.

– نوع الخط : معتاد ، مضبوط.

– النسخة بها أكل أرضة ، رطوبة ، تفكك.

– الحاجة إلى الترميم : متوسطة .

– فاتحة المخطوط : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

ذو الكبرياء باسمه والعز والصمد بدأت حل عن تشبيه والولد

لم تتحد ذاته العظما بمحدثه ولم تحل على الأباد فى أحد .... .

– خاتمة المخطوط : ... ووجنته الحمرا تلوح كحمرة عليها قلوب العاشقين قد اكتووا .

وودى له باق ولست بسامع كلام حسودى والعواذ لأن عووا

وو الله لا اسلو ولو صرف فكيف ... على حبه أنطووا .... .

– الموضوعات :

1 – الشعر العربى – دواوين وقصائد .

2 – العقائد الإسلامية

– الملاحظات: ورد فى خاتمة الرسالة الثانية من هذا المخطوط أنه « تم ديوان العارف بالله إبراهيم بن زقاعة » وهذا العنوان يعود على الرسالة التى بين أيدينا العنوان الموثق : ديوان ابن زقاعة

– مراجع تحقيق العنوان :ـ إيضاح المكنون للبغدادى ج3 ص485

– اسم المؤلف : إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله

– الكنية : أبو إسحاق

اللقب : ابن زقاعة ، ابن سقاعة ، برهان الدين

النسبة : القرشى ، النوفلى ، الغزى ، الشافعى

تاريخ الوفاة : 816 هـ

مراجع تحقيق المؤلف :ـ الأعلام للزركلى ج1 ص64

معجم المؤلفين لكحالة ج1 ص89

هدية العارفين للبغدادى ج5 ص19

بداية المخطوط : (بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، قال الشيخ الإمام والعالم العامل قطب العارفين ومربي المريدين ، ومفيد الطالبين أبو إسحق إبراهيم بن الفقير إلى الله تعالى محمد بن بهادر بن أحمد القرشي النوفلي الشافعي مذهباً ، القادري طريقة الغزي بلدةً المقري الشهير بابن زقاعة – قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه أمين .

بداية المخطوط:

ذو الكبرياء باسمه والعزة والصمد ... بدأت جل عن التشبيه والولد

لم تتحد ذاته العظمى بمحثة ... ولم تحل على الآباد في أحد

تنزه الله تنزيهاً يليق به ... عن كل منقصة تجري مع الأبد

بظاهر النص آمنا وباطنه ... والكل من عنده يدعو إلى الرشد

وكل ما احتمل التأويل مذهبنا ... فيه التوقف لم ينقص ولم يزد

وهكذا مذهب الأسلاف قدوتنا ... يا صاحبي لم نزغ عنه ولم نحد

....

....

ووردي خد نرجسي لواحظ ... مشايخ علم السحر عن لحظه روو

وواوين صدغيه حكيت عقارباً ... من المسك فوق الجلنار قد التوو

ووجنة الحمر تلوح كجمرة ... عليها قلوب العاشقين قد إنشوو

وودي له باق ولست بسامع ... لقول عذولي وحواسد إذ عوو

ووالله لا أسلوه ولو صرت رمة ... وكيف وأحشاي على حبه إنطو



الصفحة الأولى من مخطوط ديوان بن رفاعة من المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية رقم 1858.

المخطوطة الثانية فى صفة الأرض: وبيانات المخطوط كاتالي :

– الرقم العام : 1858ر8– القصيدة التائية فى صفة الأرض وما احتوت عليه / إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله.

– وزارة الأوقاف : المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية .

– مكان الأصل : الأحمدى.

– رقم الأصل : 475.

ضمن مجموعة .

– رقم الرسالة داخل المجموعة8 :

– التجليد : قديم .

– المادة : كرتون .

– زخرفة التجليد : ملونة.

– الحاجة إلى التجليد : ماسة.

– اسم الناسخ : أبو بكر العصفور المؤلف من صفحة العنوان : إبراهيم بن زقاعة.

– المؤلف من المقدمة : إبراهيم بن زقاعة .

– عنوان صفحة العنوان : القصيدة التائية.

– عنوان الغلاف : التائية.

– اللـغـة : عـربـى.

– القياس 15 × 21 : سم .

– عدد الأوراق : 30.

– المسطرة : 21.

– الشكل : كتاب .

– المادة : ورق .

– النسخة تحتوى على علامات مائية ، تعليقات.

– الفواصل : ملونة.

– لون المداد فى العنوان الرئيسى : أحمر.

– لون المداد فى العنوان الفرعى : أحمر.

– لون المداد فى النص : أسود ، أحمر.

– نوع الخط : معتاد.

– النسخة بها أكل أرضة ، رطوبة ، تفكك.

– الحاجة إلى الترميم : متوسطة .

– فاتحة المخطوط : الحمد لله الذى رفع السماء ودحا بساط الأرض فوق ... ذو الكبرياء من الجلاله البقا رحمان معناه العظيم الرحمة ما مثله شئ وليس كمثله شئ فجعل الله عن .

– خاتمة المخطوط : ... وأحفص بأفضل رحمة من معدن من جدول الأسماء نبى الرحمة مع آله وأصحابه ويمدحهم يا سادتى أختم بيوت قصيدتى.

ما ... ريح الصبا ... وترنم القمرى يا حسن نعمة ....

– الموضوعات : 1– الشعر العربى – دواوين وقصائد ، 2– الأرض ، 3– العقائد الإسلامية ، 4– الفلك.

– الملاحظات : جاء فى كل من معجم الأعلام مج1 ، ص64 ، ومعجم المؤلفين مج1 ، ص89 وهدية العارفين مج5 ، ص19 أنه ضمن تصانيف « ابن زعاقة » [قصيدة تائية فى صفة الأرض ما احتوت عليه] وتقع فى أكثر من 5000 بيت.

ـ ورد فى خاتمة هذه الرسالة أنه « تم ديوان العارف بالله إبراهيم بن زقاعة » ويقع هذا الديوان فى الرسالة الأولى من هذا المخطوط الذى بين أيدينا العنوان الموثق : القصيدة التائية فى صفة الأرض وما احتوت عليه.

– مراجع تحقيق العنوان :الأعلام للزركلى ج1 ص64.

– معجم المؤلفين لكحالة ج1 ص89.

– هدية العارفين للبغدادى ج5 ص19.

– اسم المؤلف : إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله.

– اللقب : ابن زقاعة ، برهان الدين.

– النسبة : القرشى ، النوفلى ، الغزى ، الشافعى.

– تاريخ الوفاة : 816 هـ.

– مراجع تحقيق المؤلف :ـ الأعلام للزركلى ج1 ص64.

– معجم المؤلفين لكحالة ج1 ص89.

– هدية العارفين للبغدادى ج5 ص19.



الصفحة الأولى من مخطوط القصيدة التائية في صفة الأرض

لابن زقاعة مخطوطة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصرية رقم 1858.8.



الصفحة الثانية من مخطوط ديوان بن زقاعة

من المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية رقم 1858.



الصفحة الثانية من مخطوط القصيدة التائية في صفة الأرض لابن زقاعة



الصفحة الثالثة من مخطوط القصيدة التائية في صفة الأرض

لابن زقاعة مخطوطة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصرية رقم 8.1858.



الصفحة الأخيرة من مخطوط القصيدة التائية في صفة الأرض لابن زقاعة

مقتطفات أخرى من شعره

ملامح من جغرافية فلسطين في ديوانه: ها هو ابن زقاعة يلتقط صورة بانورامية من علو وبعين الصقر ـ ممتطياً سنام طور سيناء عند بزوغ الفجر لمجمل الأرض الفلسطينية من بحرها وحتى غورها منشداً :

وآخــر الليــل عَّرســنا بمنزلــة تلــوح منهــا روابي طــور ســينا
وطــاف محبوبنــا بالكــأس في غسق على الندامى يسقيهم ويسقينا
تشعشـع الكـأس في الظلـمات مـن يده فأشرف الغور والبحر الفلسطيني

ومن جنوب سيناء استمر في رحلته متجهاً نحو الساحل إلى رفح، العتبة الأولى للدخول إلى فلسطين، فأنشد يمتدح شيخها عمر السنهودي وقد رآه في منامه مازجاً بشعره تضاريس الأرض بتضاريس الروح حيث يقول :

بــذات الشــيخ مــن رفــح تلاقينــا فــوا فرحتــي
وقــد رقــدت حــواشي الليــل والعصــفور لم يصــح

ومن رفح يتجه شمالاً لكي يصل الي «تل العجول» المدنية العربية الكنعانية القديمة[29]، المطلة على «وادي غزة» أكبر أودية فلسطين الفصلية طولاً وأغزرها ماءً في فصل الشتاء واصفا منابعه بدقة الشاعر الجغرافي قائلاً :

تـل العجـول ونهـره هـو في الشـتاء يجري شـديدا والصيف بقلـه[30]
والنهــر مــن تــل يســمى أخضرـ من تـل يـونس نبعـه مـن يطـه[31]

ولم ينس «ابن زقاعة» مواقع رموز أهل التصوف من أولياء الله الصالحين على ضفاف وادي غزة من أمثال «الشيخ نوران» و«المنطار» شرق غزة الذي التجأ كثيراً لإحدى مغاراته عاكفاً ومتصوفاً فقال:

(29) للمزيد عن هذه التل انظر/ سليم المبيض مفرق الشهداء ذاتية المكان وكفاح السكان - مجلة مركز التخطيط الفلسطيني العددان الأول والثاني – يناير–مارس2000 وابريل–يونيه2001.

(30) وادي غزة تجري مياهه في فصل الشتاء فقط، ووصفه هنا بالنهر من الشاعر مجازا.

(31) يطه، ورد في المخطوط «بصة» والأصح هي قرية يطة.

قل بل عنصر عند «نوران[32]» كذا　　ولذاك منطاراً قام بغزة

حتى يصل لمدينة غزة مسقط رأسه التي يصف بشعره العديد من أطلال موانئها القديمة قائلاً:

إن هو يعتقني أقوم من ذي الزاوية[33]　　أصلي الصبح فيها والعصر في ميماس[37]
وأمشي على صور[34] تيداً[35] محاريب النقا[36]　　وعسقلان والمشهد[38] نعم وعجز الراس.

وبهذه الأبيات الشعرية استطاع ابن زقاعة إزالة الشك من تعدد أسماء ميناء غزة (أنيثدون- تيدا-ميماس....الخ) هل هي لميناء واحد أم عدة موانئ أنشئت على شاطئ غزة نظراً لتعدد الإمبراطوريات الغازية ذاكرة هنا «ميماس» أولاً، ثم السير بعدها على «سور تيدا» يؤكد وجود آثارا لميناءين قديمين أحدهما في الجنوب والآخر إلى الشمال منه (منطقة البلاخية) يتابع وصفه حتى يصل إلى قرية بيت لاهيا صاحبه «محاريب النقا» أي «النقية» والتي يطلق عليها شعبياً «اللقية» ليواصل سيره بشعره واصفاً ما بعد مدينة عسقلان فيقول:

وبعسقلان ثم يافا بعدها　　أرسوف عتليت وبلدة حيفة
ويمر من عكا وصور بعدها　　حتى يحل بقرية المعشوقة

هكذا عدد ابن زقاعة مواقع مدن وموانئ فلسطين وفق موقعها الجغرافي من الجنوب حتى الشمال وبخاصة أن جميعها كانت عامرة ومزدهرة في العصر المملوكي. كما لم يغيب عن بال «ابن زقاعة» أهم ملامح السهل الساحلي الفلسطيني ممثلا في أنهاره فنختار منها «نهر العوجا» حين وصفه بدقة من منبعه حتى مصبه:

---

(32) يقع ضريح الشيخ نوران على ضفاف وادي غزة داخل الأرض المحتلة. وللمزيد انظر سليم البيض غزة وقطاعها- المرجع السابق .

(33) إحدى زوايا غزة التي كانت تعج بها المدينة في العصر المملوكي.

(34) صور: هكذا في المخطوط والأصح «سور».

(35) تيدا: ميناء غزة القديم في العصر اليوناني والروماني وكان يطلق عليها «انثيدون Anthedon » ويخففونها باسم «تيدا».

(36) محاريب النقا: أي محاريب منطقة «النقية» الواقعة غرب قرية بيت لاهيا، وقد اكتشف بعضها في أواخر ثمانينات القرن الماضي. وللمزيد انظر سليم المبيض-البنايات الاثرية الاسلامية في غزة- المرجع السابق ص293 صورة رقم 335.

(37) ميماس: هي ميناء غزة الشهير في العصر الروماني والبيزنطي.

(38) المشهد: أي مشهد عسقلان لرأس الحسين الذي نقل منها للقاهرة.

والنهـر مـن عوجـا[39] ومنبـع مايـه — مـن مجـدل اليـاب[42] الفلسـطينية
يمشي ـ إلى العوجا يمين جريشـا[40] — مع تل السلطان[43] على طاحونـة[44]
مـن عنـد بوليـه[41] يـدور ويرتمـي — مفجـر مـن[45] قـرب بلـده

انتقل بعد ذلك للقسم الثاني من ملامح فلسطين الجغرافية المتمثلة في سلسلة عمودها الفقري الجبلية واصفا مدنها وقراها نختار منها للإيجاز ـ مدينتي القدس والخليل حيث أفاض بحسه الديني المرهف وصفا دقيقا لأبواب القدس وأوديتها ومكانتها في قلبه ووجدانه:

(39) نهر العوجا: هكذا يُسمى الآن وقد أطلق عليه أجدادنا العرب الكنعانيون باسم «اليركون» أي «المياه الصفراء» وفي العصر الروماني أطلق عليه اسم «انيتباترس» وحرفه العرب فأسموه نهر «ابي فطرس» ومنابعه ومصادر مياه عدة أبرزها تلك التي تتساقط من ينابيع محيطة بمدينة نابلس للتجمع مياهها عند «رأس العين» على بعد 20 كم شمال شرق مدينة يافا وهو من أطول انهار فلسطين إذ يبلغ 26 كم. بعد نهر الأردن قسطنطين خمار، ص33-34.

(40) عين جريشة: هي عين جريشا وتتميز بميزاتها الجميلة على مجرى نهر العوجا-وكان يسكنها حتى العشرينات الأولى سبعة وخمسون نسمة.

(41) يوليه: اسم قرية قديمة.

(42) مجدل للباب: هي قرية مجدل يابا وتقع على السهل الأوسط جنوب شرق رأس العين حتى تسيل مياهها إلى رأس العين (انظر قسطينطين خمار موسوعة فلسطين الجغرافية 16- م.ت.ف - بيروت 1969- ص33-34).

(43) تل السلطان: تل يقع على ضفاف النهر.

(44) الطاحونة: تميز هذا النهر خاصة بالقرب من مصبه بإدارة عدة طواحين هوائية كانت تستخدم لنزح المياه وأحيانا لإدارة بعض المطاحن سواء للحبوب أو زيت الزيتون.

(45) مفجر: مكان تدفق المياه بكمية غزيرة.

إن كان أقصى مرادي جائعٌ على حبي لكم أقسم بمعراج حبي ... فالقلب بيت المقدس بذكركم معمور

لكم ونيران الوفا ... وما تلي في الصخرة أنتم لعيني نور

نعم وفي باب حطّه[46] حطت فيه سلوتي بالله ... افتحوا باب الرحمة[48] للمدنف المهجور

إن جا بشير التهاني من باب أسباط[47] ... اللقا فتحت باب الناظر[49] ليقرا المنشور

وبقوة الفيض الغامر من حبه للقدس اتجه نحو «الخليل» وحرمها الإبراهيمي محاولا المزج بين جبالها وما تنبته من أعشاب طبيعية وأزهار برية قائلاً:

وجبال الخليل والشيخ[50] مرعاً ... والفُليّا وحضرة القُضّاب

الخزاما وعنطريز وزوفا[51] ... وزهور القندول واللبلاب[52]

كما لم ينس وبعملية تقويمية جغرافية أن يعدد قرى مدينة الخليل على الرغم من تناثر مواقعها فوق ذرى الجبال وأسفل أوديتها:

(46) باب حطّه: من أحد أبواب مدينة القدس القديمة نسبة إلى أحد أحيائها.

(47) باب أسباط: يقع في الحائط الشرقي ويطلق عليه الأمويون أحياناً باب اسطفان.

(48) باب الرحمة: تقع في الحائط الشرقي جنوب باب الأسباط بنحو 200 متر متميزا بجماله ورونقه ويعود للعصر الأموي وهو مغلق الآن.

(49) باب الناظر. من أحد أبواب الحرم القدسي الشريف داخل مدينة القدس القديمة.

(50) الشيح: من النباتات البرية التي ترعاها الحيوانات وفي الوقت نفسه يستخدمها الشعب الفلسطيني لعلاج الاضطرابات المعوية.

(51) أما الفُليا والقضاب والخزاما وغطريز وزوفا فهي أيضاً من النباتات البرية الفصلية التي تنمو على سفوح المرتفعات.

(52) القندول واللبلاب: من الزهور البرية.

ولم أنس الطلول ودير بحا[53] واعلا ما بدت من عين سارا[54]

وحسكا[55] ثم رامتها ويطة[56] وكانار[57] وكرزا[58] والمغارا[59]

ويواصل ابن زقاعة مسيرته بالاتجاه شرقاً نحو القسم الثالث من أقسام فلسطين الطبوغرافية الهامة، ألا وهي منطقة الأغوار بأنهارها ومميزاتها وبحرها فيبدأ من شماله قائلاً:

قدس بحيرتها[60] يصب ماؤها من بانياس[61] من قرب الحولة

يسري إلى مستنقع من أرضها وقريب منها بحيرة الطبرية

حمّامها ما فيه وقاد ولا نار وتنبع من عيون سخنة

هكذا بأسلوب جغرافي يتتبع مصدر مياه «بحيرة قدس» من نهر بانياس القادم من الأراضي السورية ليتجه لهذه البحيرة التي أطلق عليها فيما بعد «بحيرة الحولة»، والتي قام الصهاينة بتجفيفها محدثين خللاً بيئياً كما ارتكبوا خللاً سياسياً وإنسانياً. ويواصل ابن زقاعة وصفه لمجرى النهر بعد خروجه من «بحيرة قدس» أي بحيرة الحولة، متجها جنوباً ليصب في بحيرة طبرية واصفا عيونها ذات المياه الساخنة «العين السُخنة» الطبيعية، والتي ما زال العديد يستحمون بمائها حتى اليوم طلبا للعلاج فقال:

(53) دير بحا: تقع هذه القرية بالقرب من قرية تفوح غرب مدينة الخليل بنحو ستة كيلو مترات وبها عين بأمها «عين دير بحا» يصب ماؤها في واد يسمى «شعب المليح».

(54) عين سارا: إحدى عيون مدينة الخليل الهامة وتقع في واد سارة وسط الخليل.

(55) حسكا: تقع بين الخليل ومدينة حلحول في الشمال وبها عين ماء مشهورة.

(56) يطة: إحدى قرى مدينة الخليل الهامة وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي من هضبة الخليل.

(57) كانار: تقع هذه البلدة الصغيرة بين مدينة الخليل ودورا وبها عين ماء.

(58) كرزا: وهي من إحدى خرب مدينة الخليل تقع في الجنوب الغربي منها وهي من أعمال دوراً.

(59) المغارا: يقصد بها مغارة الحرم الإبراهيمي الشريف والتي كان يعتقد بأن أبونا إبراهيم الخليل مدفون بها.

(60) بحيرة قدس: نسبة للقرية الفلسطينية «قدس» تقع للطرف الشمالي الغربي من البحيرة التي تسمى «بحيرة الحولة» و«بحيرة بانياس» وقد قام الصهانية بردمها.

(61) نهر بانياس: ينبع هذا النهر من السفوح الجنوبية الغربية لجبل الشيخ قرب بلدة بانياس السورية.

والأردن نهر الذي يجري في غورها ومياهه من بحيرة الطبرية
يمشي على الأغوار يسقي أرضها ويمد حتى ينتهي لشريعة[62]
تحت الجسور الظاهرية ينتهي ويمد حتى يلتقي ببحيرة
تسمى بحيرة لوط[63] قد سميتها من قبل ذا زغر وبحرة سومة

ليتابع بعد ذلك شرح خصائص البحر الميت المعدنية، مبيناً كثافة مائه الشديدة وشدة ملوحته وأسمائه العديدة بفطنة الجغرافي التاريخي إذ يقول:

إذا رمى رجل فيها مكتفاً يطفو ويأمن من شرور الغرقه
فالماء فيها لم يعش حيوانه[64] فيه لأجل سواده[65] والنتنة[66]

تلك هي أمثلة يسيرة في كمها، عظيمة في قدرها، من ملامح جغرافية فلسطين الطبيعية بدلالاتها التاريخية اقتبستاها باختزال شديد من ديوان ابن زقاعة الغزي، الغزير مؤملين بأن يتسع المقام لدراسته دراسة معمقة من الزاوية الجغرافية التاريخية لما يعج به ديوانه من تسميات لقرى وأماكن وأنهار وبحيرات قد اندثرت، وحان الوقت لبحثها من جديد تأصيلا لهوية وطننا العربي.

ومن شعره[67]:

(62) الشريعة: هو الاسم القديم لنهر الأردن.

(63) بحيرة لوط: أطلق على البحر الميت عدة تسميات وفقاً لما تتميز به كيميائيا وجغرافيا وأحيانا لأسماء تاريخية مثل (البحر الميت- بحيرة الزفت-البحيرة النتنة-البحيرة المقلوبة- بحيرة لوط- بحيرة زغر- بحر العربة- بحر سدوم...الخ).

(64) لم يعش حيوانه: لشدة ملوحة البحر الميت حيث لا يعش فيه كائنات حية.

(65) سواده: لانتشار مادة «القار» أو «الزفت» السوداء على سواحله لذا كان يطلق عليه أحياناً «بحيرة الزفت».

(66) النتنة: نظراً لاحتواء البحر الميت على عدة أملاح معدنية ونتيجة تفاعلها مع بعضها كيميائياً ينبعث منها رائحة كرائحة البيض الفاسد خاصة في فصل الصيف، لذا أطق عليه «البحيرة النتنة».

(67) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

رأى عقـــلي ولبـــي فيـــه حـــارا ... فـــأضرم في صـــميم القلـــب نـــارا
وخـــلاني أبيـــت الليـــل ملقـــى ... عـــلى الأعتـــاب أحســـبه نهـــارا
إذا لام العـــواذل فيـــه جهـــلًا ... أصـــفه لهـــم فينقلبـــوا حيـــارى
ومـــا علـــم العـــواذل أن صـــبري ... وســـلواني قـــد ارتحـــلا وســـارا
فيـــا لله مـــن وجـــد تـــولى ... عـــلى قلبـــي فأعدمـــه القـــرارا
ومـــن خـــب تقـــادم فيـــه عهـــدي ... فـــأورثني عنـــاءً وانكســـارا
قضـــيت هواكمـــو عشرـــين عامًـــا ... وعشرـــينا ترادفهـــا اســـتتارا
فـــنم الـــدمع مـــن عينـــي فأبـــدى ... سرائـــر سر مـــا أخفـــي جهـــارا
إذا مـــا نســـمة البانـــات مـــرت ... عـــلى نجـــد وصـــافحت العـــرارا
وصـــافحت الخـــزام وعنظوانًـــا ... وشـــيحًا ثـــم قبلـــت الجـــدارا
جـــدار ديـــار مـــن أهـــوى قـــديمًا ... رعـــى الـــرحمن هاتيـــك الـــديارا
ألا يـــا لائمـــي دعنـــي فـــإني ... رأيـــت المـــوت حجًـــا واعـــتمارا
فأهـــل الحـــب قـــد ســـكروا ولكـــن ... صـــحا كـــل وفرقتنـــا ســـكارى

ومن شعره أيضًا في فن التصوف:

ســـألتك بـــالحواميم العظيمـــة ... وبالســـبع المطولـــة القديمـــة
وبالمســـــطور في رق المعـــــاني ... وبالمنشـــور فـــي يـــوم الوليمـــة
بـــالكهف الـــذي قـــد حـــل فيـــه ... أبـــو فتيانهـــا ورأى رقيمـــه
وبـــالمعمور مـــن زمـــن النصـــارى ... بأحجـــار بحجرتهـــا مقيمـــه ففجـــر
في فـــــؤادي عـــــين حـــــب ... تـــروي مـــن مشـــاربها صـــميمه

ومن شعره فى مدح الرسول ﷺ :

غصـــن بـــان بطيبــــة   في حشيـــ الصـــب راســـخ
مــــن صـــباي هويتـــه   وأنــــا الآن شــــائخ
قمــــر لاح نـــوره   فاستضــــاءت فراســــخ
عجبـــاً كيـــف لـــم يكـــن   كاتبـــاً وهــــو ناســـخ
ذللـــت حـــين بعثـــه   مـــن قـــريش شــــوامخ
أســـد ســـيف دينـــه   ذابـــح الشرــــك شــــالح
فــــاتح مطلـــب الهـــدى   وعـــلى الشرـــك صــــارخ
ومســــبح بحقــــه   طــــائر القلـــب نــــافخ
أحمـــد ســـيد الـــورى   وبــــه ســــاد شــــالخ
مثــــل ماســــاد فــــالغ   مـــن قـــديم وفـــالخ
عقـــد إكســـير وده   لـــيس لي عنـــه فاســـخ
يــــانخيلات وجــــده   إن دمعــــي شـــــامخ
حرقـــي دســـت مهجتـــي   فــــالهوى فيـــه طـــابخ



2 ـ ابن غزال

الاسم : أبو الحسن بن غزال.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : دمشق.

تاريخ الوفاة : 648 هـ.

مكان الوفاة : مصر

سبب الوفاة : شنق

الجنسية : شامي.

المهنة: طبيب ـ وزير ـ صيدلاني ـ مؤرخ علم الطب.

موجز السيرة

أمين الدولة، وزير الصالح إسماعيل، أبو الحسن بن غزال الطبيب، كان سامرياً ثم أسلم. قال أبو المظفر: «ما كان لا سامريا ولا مسلما، بل كان يتستر بالإسلام، ويبالغ في هدم الدين، ولقد بلغني عن الشيخ إسماعيل الكوراني، أنه قال له: لو بقيت على دينك كان أصلح لك لأنك تتمسك بدين في الجملة، أما الآن فأنت مذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء »[68].

وآخرقال: شنق بمصر، وظهر له من الأموال والجواهر ما لا يوصف، وبلغني أن قيمة ما ظهر له ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلدة من الكتب النفيسة. قال الشيخ شمس الدين: وإليه تنسب المدرسة الأمينية ببعلبك حبس بقلعة مصر مدة، ولما جاء الخبر الذي لم يتم، بأخذ الملك الناصر صاحب الشام الديار المصرية، كان السامري في الجب هو وناصر الدين بن يغمور، وسيف الدين القيمري، والخوارزمي صهر الناصر، فخرجوا من الجب وعصوا في القلعة، ولم يوافقهم القيمري، بل جاء وقعد على باب الدار التي فيها حرم عز الدين أيبك التركماني وحماها، وأما أولئك، فصاحوا بشعار الناصر، ثم كانت الكرة للترك الصالحية، فجاءوا، وفتحوا القلعة وشنقوا أمين الدولة وابن يغمور .وكان المهذب السامري وزير الأمجد عمه. وكان ذكيا فطنا داهية شيطانا ماهرا في الطب، عالج الأمجد واحتشم في أيامه، ولما ملك الصالح إسماعيل بعلبك وزر له ودبر ملكه. فلما غلب على دمشق، استقل بتدبير المملكة وحصل لمخدومه أموالا عظيمة، وعسف وظلم، ولما عجز الصالح عن دمشق وتسلمها الصالح أيوب، احتاطوا على أمين الدولة واستصفوا أمواله، وبعثوه إلى قلعة مصر وحبسوه، فبقي محبوسا خمس سنين، ثم شنق سنة ثمان وأربعين وستمائة .

(68) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء.

*** مؤلفاته:**

– كتاب النهج الواضح في الطب، وهو أجل كتاب صنف في الصناعة الطبية، وأجمع لقوانينها الكلية والجزئية.

– كتاب في الأدوية المفردة وقواها.

– كتاب في الأدوية المركبة ومنافعها.

– كتاب في تدبير الأصحاء، وعلاج الأمراض وأسبابها وعلائمها وعلاجها، وما يحتاج إليه من عمل اليد فيها.

وكانت له نفس فاضلة وهمة عالية في جمع الكتب وتحصيلها، واقتنى كتبا كثيرة فاخرة في سائر العلوم. وكانت النساخ أبدا يكتبون له، وأنه فرق تاريخ دمشق على عشرة نساخ، فكتب له في نحو سنتين . وقال: حكى لي الأمير ناصر الدين زكري المعروف بابن عليمة؛ وكان من جماعة الملك الصالح نجم الدين أيوب، قال: لما حبس الصاحب أمين الدولة، أرسل إلى منجم بمصر، له خبرة في علم النجوم، وإصابات لا تكاد تخرم في أحكامه، وسأله: ما يكون من حاله، وهل يتخلص من الحبس، فلما وصلت الرسالة إليه، أخذ ارتفاع الشمس للوقت، وحقق درجة الطالع والبيوت الاثنى عشر، ومراكز الكواكب، ورسم ذلك كله في تخت الحساب وحكم بمقتضاه، فقال: يخلص هذا من الحبس، ويخرج منه وهو فرحان مسرور تلحظه السعادة، إلى أن يبقى له أمر مطاع في الدولة بمصر ويمتثل أمره ونهيه جماعة من الخلق .فلما وصل الجواب إليه بذلك، وعندما وصله مجيء الملوك وأن النصرة لهم، خرج وأيقن أنه يبقى وزيرا بمصر. وتم له ما ذكره المنجم من الخروج من الحبس، والفرح والأمر والنهي، وصار له أمر مطاع في ذلك اليوم، ولم يعلم أمين الدولة بما يجري عليه بعد ذلك وأن الله عز وجل قد أنفذ ما جعله عليه مقدرا .

شعره

ومن شعره كتب به أمين الدولة إلى برهان الدين، وزير الأمير عز الدين المعظمي، يعزيه في والده الخطيب شرف الدين عمر: من السريع

قولا لهذا السيد الماجد	قول حزين مثله فاقد
لا بد من فقد ومن فاقد	هيهات ما في الناس من خالد
كن المعزي لا المعزى به	إن كان لا بد من الواحد

3 ـ تقى الدين الكحال

الاسم : أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن شبيب بن محمود

تاريخ الميلاد : 631هـ

مكان الميلاد : حران.

تاريخ الوفاة : 695هـ .

مكان الوفاة : القاهرة ـ مصر

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية :شامي .

المهنة : فقيه ـ أديب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

تقي الدين الطبيب أحمد بن حمدان بن شبيب حمدان بن شبيب بن محمود الحراني ثم المصري[69]، الأديب الفاضل الطبيب الكحال تقي الدين أبو عبد الرحمن الشاعر نزيل القاهرة، أخو الشيخ نجم الدين شيخ الحنابلة؛ ولد بعد العشرين بيسير، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة؛ سمع من ابن روزبه وكتب عنه الدمياطي والقدماء، وكان فيه شهامة وقوة نفس، وله أدب وفضائل، وعارض بانت سعاد، ووفاته بالقاهرة. و قد كان الأول يطبب الناس و يدور عليهم في بيوتهم[70]؛ و هو الطبيب الحنبلي الوحيد الذي ذكره المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء[71]. كما أن الباحث شوكت الشطي قد عدّ الفقيه الموفق بن قدامة من بين الأطباء ، و ترجم له في معجمه عن الأطباء المسلمين ، و أورد له كتاب : ذم الموسوسين و التحذير من الوسوسة[72] و هو كتاب في طب النفوس لا في طب الأبدان .

---

(69) المقريزي : المصدر السابق، ج 3 ص 770 .

– الذهبي : معرفة القراء الكبار، ج 2 ص 546 .

– ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات، ج 1 ص 238 .

– أبو المحاسن الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ

– ابن فهد : الرسالة الثالثة، ص 91 .

(70) ابن النجار : المصدر السابق، ج 17 ص 67 .

– الذهبي : سيّر أعلام النبلاء ،ج 21 ص398 .

– المختصر المحتاج إليه: ص 230 .

– ابن رجب : المصدر السابق ،ج 1 ص443 .

(71) ابن أبي أصيبعة : طبقلات الأطباء ،ج 2 ص333 .

(72) شوكت الشطي : المرجع السابق ص 687.

شعره

ومن شعره من القصيدة:

أباد بي وخذها البيدا فقر بها طرفي وقربها وجناء شمليل
إلى النبي رسول الله إن له مجدا تسامى فلا عرض ولا طول
مجد كبا الوهم عن إدراك غايته ورد عقل البرايا وهو معقول
مطهر شرف الله العباد به وساد فخرا به الأملاك جبري طوبى
لطيبة بل طوبى لكل فتى له بطيب ثراها الجعد تقبيل

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان: عرض على ديوانه فاستحسنت منه ما قرأته عليه، فمن ذلك قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا مقام محمد والمنبر فاستجل أنوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجناب عفرا في سك تربته خدودك وافخر
واحلل على حرم النبوة واستجر بحماه من جور الزمان المنكر
واغنم بطيبة طيب وقت ساعة منه كدهر في التنعم واشكر
فهناك من نور الإله سريرة كشفت غطاء الحق للمتبصر
وجلت دجى ظلم الضلال فأشرقت أفق الهداية بالصباح المسفر
نور تجشم فارتقى متجاوزا شرفا على الفلك الأثير الأكبر

وقوله أيضا:

انهض فزند الصباح قد قدحا　　وامزج لنا من رضابك القدحا

فالزهر كالزهر في حدائقه　　والطير فوق الغصون قد صدحا

في روضة نقطت عرائسها　　بدر قطر نظمنه سبحا

وصفق الماء في جداوله　　ورقص الغصن طيره فرحا

والزق بين السقاة تحسبه　　أسود مستسقيا وقد ذبحا

فعاطني قهوة معتقة　　تذهب كاسي وتذهب الترحا

بكرا إذا عرس النديم بها　　وافتضها الماء تنتج الفرحا

من كف رخص البنان معتدل　　لو لامس الماء خده انجرحا

يسعى بخمر الدلال مغتبقا　　ومن سلاف الشباب مصطبحا

يسعى بخمر الدلال من سوالفه　　وجدا إذا جد بالهوى مزحا

كم لي بسفح العقيق من كلفي　　عقيق دمع عليه قد سفحا

4 ـ الدرعي

الاسم : أحمد بن صالح بن ابراهيم الدرعي

تاريخ الميلاد :1121هـ.

مكان الميلاد : زاوية «أكتاوة» بدرعة في المغرب الأقصى.

تاريخ الوفاة :1147هـ.

مكان الوفاة : درعة

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : مغربي .

المهنة : صيدلاني ـ أديب.

موجز السيرة

أحمد بن صالح بن إبراهيم الدرعي وهو أديب، عالم بالطب. ولد سنة 1121 هـ (1709م) في زاوية «أكتاوة» بدرعة في المغرب الأقصى. له نظم كثير في ديوان سماه «شفاء المريض في بساط القريض» وله كتاب «الهدية المقبولة»، وهو أرجوزة في الطب؛ قام برحلة إلى الديار الحجازية وكتب عنها كتاباً سماه «الرحلة الشافية»؛ وله مؤلفات أخرى أكثرها لا زال مخطوطاً، توفي في درعة سنة 1147هـ (1734م)؛ ولابنه العباس بن أحمد، تصنيف في أخباره سماه «الدرر اللامعة في السيرة الحسنة الجامعة»[73].

(73) خير الدين الزركلي، الأعلام، 1/ 138، الطبعة السادسة، ثمانية أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت 1984؛ دليل مؤرخ المغرب 1/ 195.

شعره

هذه مقتطفات من أرجوزة « الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة » ... والمعروفة بالهدية في الطب ، ألفها : أبو العباس أحمد بن صالح [بن إبراهيم] الدرعي [الأكتاوي] ، المتوفى عام 1147هـ / 1734 ـ 35 م ... و هي أرجوزة من ألف بيت مزدوج [1021] ، مطلعها :

حمــــداً لمــــن بيــــده الشفـــــاء بعـــد البلـــــاء كـــيفما يشـــاء

و مما جاء فيها عن الزعتر :

1 ـ في علاج مرض الأسنان،وأوله:

ووجـــع الأســـنان إن تبـــــدّا مـاء طبـيخ العفـص صـفه رشـدا

إلى أن قال :

أو مضــغ نحــو الــزعتر المعــروف كـــذلك النعنـــاع في الموصـــوف

2 ـ في تحسين هضم الطعام :

و يهضـــم الطعـــام بعـــد الأكـــل خمســـة أشـــياء بــــكل فصـــل

كزبــــرة خضرـــ قرنفـــل جليـــل كرويــــة أو زعـــتر أو زنجبيـــل

3ـ في جلب الحيض :

فصـلٌ و قـد يُطْلـب جلـب الحـيض بشرـــع أو طبـــع بُعَيْـــدَ الغـــيض

إلى أن قال :

والساق من «ثومنا» معْه الورق يطبخ و الجلوس فيه أليق
وحرمل وشونز وزعتر وكرفس و الفرد فيه أظهر

4 ـ في إسهال البطن :

وإن أخذت فزن حَيٍّ من قراط من سعتر أسهَلَ جوْدَ الاختلاط

وفي علاج الإسهال :

وإن يكن بطن المريض قد جرى أو غيره داؤه إذا ترى
في سنبل وقشرة الرمان أعني به الحلو يا ذا الشان
كروية وحبة الحلاوة والسعتر المعروف بالذكاوة
إسحق بُعَيْد الجمع و استعمِل بها فُطورَ من له الرجا في طبها

5 ـ في علاج الربو :

فصل للربو دواء يرتضى عند حصول ضرر كما مضى

إلى أن قال :

وخـــير مـــا ينفـــع فيـــه الســـعتر　　　أو جـــوزة الطيـــب و كـــل أجـــدر

6 ـ في علاج الكبد :

فصـــل و للكبـــد عنـــد الحكـــما　　　أدويـــــــــة نصرـــــدها تفهـــما

ورمهـــا مهـــما بـــدا ينفعـــــه　　　بـــــول البعـــير قـــل لمـــن يتبعـــه

وجـــوزة الطيـــب لهـــا عجيبـــة　　　مصـــلحة فـــــي طبهـــا قريبـــة

وسعتـــــــر وفـــــوة وســـــنبل　　　كـــل علـــــى حـــديث فيهـــا تعمـــل

◆◆◆

5 ـ ابن مندويه الطبيب

الاسم : أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه

تاريخ الميلاد :غير محدد.

مكان الميلاد :أصبهان.

تاريخ الوفاة :410هـ.

مكان الوفاة : بغداد

سبب الوفاة :غير محدد

الجنسية : فارسي.

المهنة :طبيب ـ صيدلاني ـ أديب.

موجز السيرة

أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه أبوعلي،الأصفهاني، طبيب وصيدلي وشاعر(74) عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .ولد بأصفهان ،ولم تحدد الموسوعات أو كتب تاريخ العلوم عام ميلاده. وكان من أجلاء بيوت أصفهان. وسافر إلى بغداد وصار من أطباء البيمارستان العضدي ، وقد اشتهر بالكرم وحبه للعلم . كان من الأطباء المذكورين في بلاد العجم، وخدم هنالك جماعة من ملوكها ورؤسائها، وكانت له أعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب، وكان من البيوتات الأجلة بأصبهان وكان أبو عبد الرحمن فاضلا في علم الأدب وافر الدين وله أشعار، ولأحمد ولده في الطب رسائل عدة، من ذلك: أربعون رسالة مشهورة إلى جماعة من أصحابه في الطب وهي:

- رسالة إلى أحمد بن سعد في تدبير الجسد .
- رسالة إلى عياد بن عباس في تدبير الجسد .
- رسالة إلى أبي القاسم أحمد بن علي بن بحر في تدبير المسافر .
- رسالة إلى حمزة بن الحسن في تركيب طبقات العين .
- رسالة إلى أبي الحسين الوارد في علاج انتشار العين .
- رسالة إلى أحمد بن سعد في وصف المعدة والقصد لعلاجها .
- رسالة إلى مستسق في تدبير جسده وعلاج دائه .
- رسالة إلى أبي جعفر أحمد بن محمد بن الحسن في القولنج .
- رسالة أخرى إليه في تدبير أصحاب القولنج وتدبير صاحب القولنج.
- رسالة إلى أبي محمد بن أبي جعفر في تدبير ضعف الكلى .

(74) الإمام الحافظ أبو نعيم بن مهران الأصبهاني: تاريخ أصفهان، الجزء الثاني

- ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء

- رسالة إلى أبي الفضل في علاج المثانة .

- رسالة إلى الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير .

- رسالة في أسباب الباه .

- رسالة في الابانة عن السبب الذي يولد في الأدرة القرقرة عند إيقاد النار في خشب التين .

- رسالة في علاج وجع الركبة .

- رسالة في علاج الحكة العارضة للمشيخة .

- رسالة في فعل الأشربة في الجسد .

- رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره .

- رسالة في أن الماء لا يغذو .

- رسالة إلى ابنه في علاج بثور خرجت في جسده بماء الجبن وهو صغير . رسالة في منافع الفقاع ومضاره .

- رسالة إلى أحمد بن سعيد في الحنديقون والفقاع وجوابه إليه .

- رسالة في التمر الهندي .

- رسالة في الكافور .

- رسالة في النفس والروح على أري اليونانيين .

- رسالة في الاعتذار عن اعتلال الأطباء .

- رسالة في الرد على الجاحظ في نقض الطب

- رسالة في الرد على من أنكر حاجة الطبيب إلى علم اللغة .

- رسالة إلى المتقلدين علاج المرضى ببيمارستان أصبهان

- رسالة في البحث عما ورد من إسحاق بن يوحنا الطبيب في شأن علته .

- رسالة إلى يوسف بن يزداد المتطبب في إنكاره دخول لعاب بزر الكتان في أدوية الحقنة

- رسالة إلى أبي محمد عبد الله بن إسحاق ينكر عليه ضروبا من العلاج .

- رسالة إلى أبي محمد المتطبب في علة الأمير المتوفى شيرزيل بن ركن الدولة . رسالة في التكميد بالجاورس .

- رسالة إلى أبي مسلم محمد بن بحر عن لسان أبي محمد الطبيب المديني .

- رسالة في علة الأهزل أحمد بن إسحاق البرجي وذكر الغلط الجاري من يوسف بن اصطفن .

- رسالة كناش في أوجاع الأطفال .

- كتاب المدخل إلى الطب .

- كتاب الجامع المختصر من علم الطب .

- أنشأ عشر مقالات.

- كتاب المغيث في الطب .

- كتاب الشراب .

- كتاب الأطعمة والأشربة .

- كتاب نهاية الاختصار في الطب .

- كتاب الكافي في الطب . ويعرف بالقانون الصغير .

*** وترك آثاراً في الطب أورد بعضها ابن أبي أصيبعة، منها:**

- (المدخل في الطب).

- (الجامع المختصر في علم الطب).

- (المغيث في الطب) الذي يعرف أيضاً باسم (القانون الصغير).

- (الأطعمة والأشربة) .

وقد اهتم ابن مندويه بالمعارف الصحية العامة ووضح الظروف الصحية الملائمة للجسم السليم من مناخ، وأطعمة، وأشربة وغيرها من مستلزمات الصحة العامة في كتاب له بعنوان (تدبير الجسد) . وقد اهتم ابن مندويه بالصيدلة، وبخاصة تركيب الأدوية و العطور وذلك في كتاب له بعنوان:(أصول الطب والمركبات العطرية). واهتم بتأثير بعض المشروبات والأعشاب على الحالة الصحية وباستخداماتها الطبية، وكان ذلك في رسائل منها: التمرهندي ، والكافور، و في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره، وغيرها من الرسائل وقد توفي في بغداد، وهناك روايتان ذكرتهما الموسوعات لتحديد تاريخ وفاته، الرواية الأولى وهي الأقل شيوعا، ويعتقد الكثير من الباحثين أنها ليست صحيحة وهي عام 372هـ / 982 م، وذلك بعد التحقيق في مسيرة حياته، إذ أنه عين بالبيمارستان العضدي بأمر من عضد الدولة (ت 372هـ / 982 م) وعمل به عدة سنوات. أما الرواية الثانية فتذكر أنه توفي عام 410هـ / 1019 م وهي الرواية السائدة في الكتب والموسوعات.

شعره

ويمسي المرء ذا أجل قريب ... وفي الدنيا له أمل طويل
ويعجل بالرحيل وليس يري ... إلى ماذا يقربه الرحيل

وأورد له أيضا :

ويحرز أموالا رجال أشحة ... وتشغل عما خلفهن وتذهل
لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى ... بشيء وما الإنسان إلا معلل



6- أحمد الدمنهوري

الاسم : أحمد بن عبد المنعم بن صيام

تاريخ الميلاد : 1101هـ.

مكان الميلاد: دمنهور ـ محافظة الغربية ـ مصر .

تاريخ الوفاة :1192هـ.

مكان الوفاة : بولاق ـ القاهرة .

سبب الوفاة :غير محدد

الجنسية : مصري.

المهنة: طبيب ـ صيدلاني ـ فلك ـ رياضيات ـ شيخ الجامع الأزهر.

موجز السيرة

شيخ الأزهر الجيولوجي[75] كان الشيخ أحمد الدمنهوري واحدًا من علماء الأزهر الذين عُرفوا بالثقافة الواسعة التي شملت إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية الرياضيات والهندسة والفلك والطب، وأسهم بالتأليف في بعضها، وهذه العلوم وإن كانت تدرس على استحياء في ذلك الوقت، فإنها تعني أن هناك من كان يعلمها ويدرسها، وأن جذور هذه العلوم لم تنطفئ منذ أن ازدهرت الحضارة الإسلامية، لكنها ظلت خافتة تنتظر من يبعث فيها الحركة والنشاط .

المولد والنشأة :

وُلد أحمد بن عبد المنعم بن صيام سنة (1101هـ= 1689م) بدمنهور، وإليها نُسب فعرف بأحمد الدمنهوري، ودرس في بلدته فحفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم رحل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر صغيرًا، وتلقى فيه العلوم الشرعية واللغوية وغيرها على عدد من مشايخ الأزهر وعلمائه،من أمثال الشيخ عبد الوهاب الشنواني،وعبد الرءوف البشبيشي،وعبد الجواد المرحومي، وعبد الدائم الأجهوري، وغيرهم وقد أورد الجبرتي أسماء شيوخ الدمنهوري، والكتب التي درسها عليهم وأجازوه بها، وهي تشمل الفقه على المذاهب الأربعة، وقد جد في تحصيله على هذه المذاهب، حتى أطلق عليه المذاهبي، ودرس التفسير والحديث والمواريث والقراءات والتصوف والنحو والبلاغة، والهندسة والفلك والفلسفة والمنطق .

إجازاته:

وقد حفظ لنا الشيخ الدمنهوري في رسالة له مخطوطة بعنوان «اللطائف النورية في المنح الدمنهورية» ما أخذه عن شيوخه وما درسه واستفاد بجهوده الذاتية، وسأنقل طرفًا منها؛ حتى يتبين لك الحركة العلمية في مصر زمن الدمنهوري، وأن ما يصوره بعض الباحثين من ظلام تلك الفترة إنما هو محض افتراء وابتعاد عن الحقيقة.

(75) عبد الرحمن الجبرتي ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ دار الجيل ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

– علي عبد العظيم ـ مشيخة الأزهر منذ إنشائها حتى الآن ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة ـ (1398هـ= 1978م).

– محمد عبد المنعم خفاجي ـ الأزهر في ألف عام ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ (1408هـ = 1988م). =

= – عبد العزيز محمد الشناوي ـ الأزهر جامعًا وجامعة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ 1983م.

يقول الدمنهوري:«قرأت على أستاذنا الشيخ علي الزعتري الحساب، واستخراج المجهولات، وما توقف عليها كالفرائض والمواريث، والميقات.. وأخذت عن سيدي أحمد القرافي الحكيم بدار الشفاء بالقراءة عليه كتاب الموجز، واللمحة العفيفة في أسباب الأمراض وعلاماتها، وبعضًا من قانون ابن سينا، وبعضًا من منظومة ابن سينا الكبرى..

وقرأت على أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس في الهندسة.. وقرأت على الشيخ محمد الشهير بالشحيمي منظومة في علم الأعمال الرصدية (الفلك)..

ورسالة في علم المواليد أعني الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات والمعادن» كان من المنافسين للشيخ الدمنهوري المؤرخ المعروف عبد الرحمن الجبرتي، وكان فقيهًا حنفيًا، عالمًا باللغة، وتصدر للإمامة والإفتاء وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، ثم ولَّى وجهه شطر العلوم التي كانت تراثًا مستغلقًا، فجمع كتبها، وفك رموزها وأحسن قراءتها والتعامل معها، وظل يتعلم ويدرس، حتى استقام له الأمر، وتمكن في علوم الهندسة والكيمياء والفلك، وصنع الآلات، ولجأ إليه مهرة الصناع يستفيدون من علمه، ودرس عليه كبار المستشرقين الذين كانوا يفدون عليه .

ملجأ الأمراء:

تبوأ الدمنهوري المكانة التي يستحقها من التقدير والإجلال، فقدمه علماء الأزهر لعلمه وفضله، وأنزلوه قدره؛ فتولى مشيخة الجامع الأزهر سنة1183هـ خلفًا للشيخ «عبد الرءوف محمد السجيني» وكان الخليفة العثماني «مصطفى بن أحمد خان» له عناية ومعرفة بالعلوم الرياضية والفلك، فكان يراسل الشيخ الدمنهوري ويهاديه ويبعث له بالكتب، وكان الدمنهوري يفعل ذلك ويتحدث الجبرتي عن مكانة الدمنهوري بقوله: «للحق ، أمَّارًا بالمعروف، سمحًا بما عنده من الدنيا، وقصدته الملوك من الأطراف وهادته بهدايا فاخرة، وسائر ولاة مصر كانوا يحترمونه، وكان شهير الصيت عظيم الهيبة ، وبلغ من تقدير الأمراء له وتعظيمهم لحرمته أنه لما نشبت فتنة بين طائفة من المماليك وأتباعهم، قصده أحد أمراء الطائفتين مستنجدًا به؛ إذ لم يجد بيتًا آمنا يحتمي به غير بيت الشيخ الدمنهوري في بولاق، فلما طلب خصومه من الشيخ تسليمهم له رفض، ولم يجرؤ واحد منهم على اقتحام بيت الشيخ مراعاة لحقه ومنزلته.

مؤلفاته:

(1) «حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون»، في البلاغة.

(2) «نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف»،في مصطلح الحديث.

(3) «سبيل الرشاد إلى نفع العباد»، في الأخلاق.

(4) «رسالة عن الحياة في استنباط المياه» في الجولوجيا.

(5) «القول الصريح في علم التشريح»،في الطب.

(6) «منهج السلوك في نصيحة الملوك»،في السياسة.

(7) «الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة» في الكيمياء.

(8) «الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني»،في الفقه الحنبلي.

(9) «فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان»،في الفقه الحنبلي.

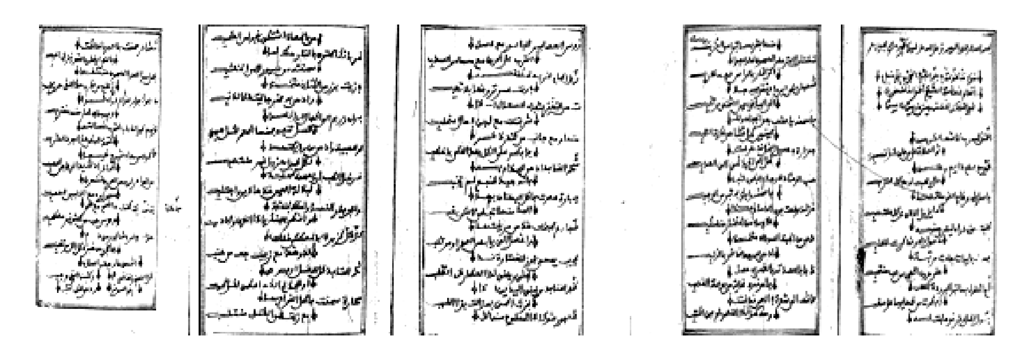
(10) «الكلام السديد في تحرير علم التوحيد.

وفاته:

طالت حياة الشيخ حتى تجاوز التسعين من عمره، لكنها كانت حياة حافلة بطلب العلم وتحصيله وتدريسه والتأليف فيه، وظل على هذا النحو حتى لبى نداء ربه في يوم الأحد الموافق (10 من رجب 1192هـ= 4 من أغسطس 1778م)

شعره

منظومة[76] في الطب المجرب للدمنهوري بالخزانة العامة بالرباط ـ المغرب وهذه صور المخطوطة:



الحمـــد لله رب كاشـــف الكـــرب ... ثـم الصـلاة على مـن جـاه كـل نسـبي

محمــدُ مــع صـــلاة دايــم عــلى ... آلــه وصــحبه مــع كــل محتــزب

ياسـائلي عـن عـلاج أو ضر مجتمعـة ... لمـا يزيـل الأذى عـن كـل ملتهـب

طلبـــت منــــه دواء ليعرفــــه ... أصـول داه وقــد كــررت الطلــب

هــــذه أبيــــات جــاءت مرتبــة ... عـــلى حــــروف المعجـــم معربـــة

منتخب بول الجمال وقد علمت ... منــــه بشرـــب تـــبرأ مـــن الأزب

تتناول الترمس المعجون وقـد وضعوا ... الزنجـار بـالراس صـبغة فـلا ريـب

....

كمـــــل النســـــخ وانقضى ـــــ ... وكتبنــــــا الـــــذي وجـــــب

رحمــــــة الله وفيــــــــــراً ... وادْعُ للــــــــــذي كتــــــــب

◆◆◆

(76) منظومة في الطب المجرب للدمنهوري: الخزانة العامة بالرباط ـ المغرب.

7 ـ ابن الرومية

الاسم : أحمد بن محمد بن أبي الخليل

تاريخ الميلاد : 561هـ.

مكان الميلاد : أشبيلية.

تاريخ الوفاة : 637هـ.

مكان الوفاة : أشبيلية

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : أندلسي.

المهنة : صيدلاني ـ فقيه ـ عالم نبات.

موجز السيرة

ابن الرومية :أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي[77]. مولاهم من أهل إشبيلية، يكنى أبا العباس، وكناه ابن فرتون أبا جعفر وتفرد بذلك، يعرف بالعشّاب، وابن الرومية، وهي أشهرهما وألصقهما به. قال القاضي أبو عبد الله، كان والد جده أطباء قرطبة، وكان قد تبناه، وعن مولاه أخذ علم النبات. كان نسيج وحده، وفريد دهره، وغرة جنسه، إماماً في الحديث، حافظاً ناقداً، ذاكراً تواريخ المحدثين، وأنسابهم ومواليدهم ووفاتهم، وتعديلهم، وتجريحهم، عجيبة نوع الإنسان في عصره، وما قبله، وما بعده، في معرفة علم النبات، وتمييز العشب، وتحليتها، وإثبات أعيانها، على اختلاف أطوار منابتها، بمشرق أو مغرب حساً، ومشاهدةً وتحقيقاً، لا مدافع له في ذلك، ولا منازع، حجةٌ لا ترد ولا تدفع، إليه يسلم في ذلك ويرجع. قام على الصنعتين، لوجود القدر المشترك بينهما، وهما الحديث والنبات، إذ موادهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك.

وكان زاهداً في الدنيا، مؤثراً بما في يديه منها، موسعاً عليه في معيشته، كثير الكتب، جماعاً لها، في كل فن من فنون العلم، سمحاً لطلبه العلم، ربما وهب منها لمتلمسه الأصل النفيس، الذي يعز وجوده احتساباً وإعانةً على التعليم، له في ذلك أخبار منبئة عن فضله، وكرم صنعه، وكان كثير الشغف بالعلم، والدؤوب على تقييده، ومداومته سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، وحاجات الناس إليه، إذ كان حسن العلاج في طبه المورود، الموضوع، لثقته ودينه.

(77) لسان الدين ابن الخطيب :الإحاطة في أخبارغرناطة .

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي : السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ بيروت – لبنان ، سنة : 1965 .

قال ابن عبد الملك: إمام المغرب قاطبة فيما كان سبيله، جال الأندلس، ومغرب العدوة، ورحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقية، ومصره، وشامه، وعراقه، وحجازه، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب، وعارض كثيراً فيها، كل ما أمكنه، بمن يشهد له الفضل في معرفته، ولم يزل باحثاً على حقائقه، كاشفاً عن غوامضه، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره، ممن تقدم في الملة الإسلامية، فصار واحد عصره فرداً، لا يجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن.

مذهبه: كان سنياً ظاهري المذهب، منحياً على أهل الرأي، شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، على دين متين، وصلاح تام، وورع شديد، انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم، واستنسخها، وأظهرها، واعتنى بها، وأنفق عليها أموالاً جمة، حتى استوعبها جملة، حتى لم يشذ له منها إلا ما لا خطر، متقدماً ومقتدراً على ذلك بجدته ويساره، بعد أن تفقه طويلاً على أبي الحسن محمد بن أحمد بن زرقون في مذهب مالك

مشيخته: البحر الذي لا نهاية له: روي بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي، وأبي عبد الله اليابري، وأبي البركات بن داود، وأبي بكر بن طلحة، وأبي عبد الله ابن الحر، وابن العربي، وأبي علي الحافظ، وأبي زكريا بن مرزوق، وابن يوسف، وابن ميمون الشريشي، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي ذر مصعب، وأبي العباس ابن سيد الناس، وأبي القاسم البراق، وابن جمهور، وأبي محمد بن محمد بن الجنان، وعبد المنعم بن فرس، وأبي الوليد بن عفير، قرأ عليهم وسمع. وكتب إليه مجيزاً من أهل الأندلس والمغرب، أبو البقاء بن قديم، وأبو جعفر حكم الجفار، وأبو الحسن الشقوري، وأبو سليمان بن حوط الله، وأبو زكريا الدمشقي، وأبو عبد الله الأندرشي، وأبو القاسم بن سمجون، وأبو محمد الحجري. ومن أهل المشرق جملةٌ، منهم أبو عبد الله الحمداني بن إسماعيل بن أبي صيف، وأبو الحسن الحويكر نزيل مكة .وتأدي إليه أذن طائفة من البغداديين والعراقيين له في الرواية، منهم ظفر بن محمد، وعبد الرحمن بن المبارك، وعلي بن محمد اليزيدي، وفناخسرو فيروز بن سعيد، وابن سنية، ومحمد بن نصر الصيدلاني، وابن تيمية.

وابن عبد الرحمن الفارسي، وابن الفضل المؤذن، وابن عمر بن الفخار، ومسعود بن محمد بن حسان المنيغي، ومنصور بن عبد المنعم الصاعدي، وابن هوازن القشيري، وأبو الحسن النيسابوري .

وحج سنة اثني عشر وستمائة، فأدى الفريضة ثلاثة عشر، ولقب بالمشرق بحب الدين. وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام، لقي فيها من الأعلام العلماء، أكابر جملة، فمنهم ببجاية أبو الحسن بن نصر، وأبو محمد بن مكي، وبتونس أبو محمد المرجاني، وبالإسكندرية أبو الأصبغ بن عبد العزيز، وأبو الحسن بن جبير الأندلس، وأبو الفضل بن جعفر بن أبي الحسن بن أبي البركات، وأبو محمد عبد الكريم الربعي، وأبو محمد العثماني أجاز له ولم يلقه، وبمصر أبو محمد بن سحنون الغماري ولم يلقه، وأبو الميمون بن هبة الله القرشي، وبمكة أبو علي الحسن ابن محمد بن الحسين، وأبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري، وببغداد أحمد ابن أبي السعادات، وأحمد بن أبي بكر، وابن أبي خط طلحة، وأبو نصر القرشي، وإبراهيم بن أبي ياسر القطيعي، ورسلان المسدي، والأسعد بن بقاقا، وإسماعيل بن باركش الجوهري، وإسماعيل بن أبي البركات.

وبرنامج مروياته وأشياخه، مشتملٌ على مئين عديدة، مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية وغيرها، لو تتبعتها، لاستبعدت الأوراق، وخرجت عما قصدت.

قال القاضي أبو عبد الله المراكشي بعد الإتيان على ذلك، منتهى الثقاة أبو العباس النباتي، من التقييد الذي قيد، وعلى ما ذكره في فهارس له منوعة، بين بسط، وتوسط، واقتضاب، وقفت منها بخطه، وبخط بعض أصحابه، والآخذين عنه من أخذ عنه حدث ببغداد، برواية واسعة، فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد اللوشي وبمصر الحافظ أبو بكر القط. وبغيرها من البلاد أمة وقفل برواية واسعة، وجلب كتباً غريبة.

تصانيفه: له فيما ينتحله من هذين الفنين تصانيف مفيدة، وتنبيهات نافعة، واستدراكات نبيلة بديعة، منها في الحديث رجالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم، واختصار غريب حديث مالك للدار قطني، ونظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري، وتوهين طرق حديث الأربعين، وحكم الدعاء في إدبار الصلوات، وكيفية الأذان يوم الجمعة، واختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لأبي محمد بن عدي، والحافل في تذييل الكامل، وأخبار محمد بن إسحاق ومنها في النبات، شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس، والتنبيه على أوهام ترجمتها، والتنبيه على أغلاط الغافقي، والرحلة النباتية والمستدركه، وهو الغريب الذي اختص به، إلا أنه عدم عينه بعده، وكان معجزة في فنه، إلى غير ذلك من المصنفات الجامعة، والمقالات المفيدة المفردة، والتعاليق المنوعة

دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرة لسماع الحديث، وتحقيق النبات، ونقر عن عيون النبات بجبالها، أحد خزاين الأدوية، ومظان الفوايد الغريبة، يجري ذلك في تواليفه بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولده:في محرم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وفاته: توفي بأشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكان مما رثي، قال ابن الزبير، ورثاه جماعة من تلامذته كأبي محمد الحرار، وأبي أمية إسماعيل بن عفير، وأبي الأصبغ عبد العزيز الكبتوري وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي، وأبي العباس بن سليمان، ذكر جميعهم الحرار المذكور في كتاب ألفه في فضايل الشيخ أبي العباس، رحمه الله.

شعره

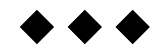
ذكره أبو الحسن بن سعيد في القدح المعلى، وقال: جوالٌ بالبلاد المشرقية، والمغربية، جالسته بأشبيلية بعد عوده من رحلته، فرأيته متعلقاً بالأدب مرتاحاً إليه ارتياح البحتري لحلب، وكان غير متظاهر بقول الشعر، إلا أن أصحابه يسمعون منه، ويروون عنه، وحملت عنه في بعض الأوقات، فقيدت عنه هذه الأبيات:

خيمٌ تخلق بين الكأس والوتر ... في جنة هي ملء السمع والبصر.

ومتع الطرف في مرأى محاسنها ... بروض فكرك بين الروض والزهر

وانظر إلى ذهبيات الأصيل بها ... واسمع إلى نغمات الطير في السحر

وقل لمن لام في لذاته بشراً ... دعني فإنك عندي من سوى البشر



8 ـ إسحاق بن حنين

الاسم : إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادى.

تاريخ الميلاد : 215هـ .

مكان الميلاد : بغداد.

تاريخ الوفاة : شهر ربيع الآخر سنة 298 هـ ـ الموافق909 م.

مكان الوفاة : بغداد.

سبب الوفاة : الفالج (الشلل).

الجنسية : عراقى.

المهنة : عالم رياضيات ـ عالم فلك ـ طبيب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

هو أبو يعقوب «إسحاق بن حنين بن إسحاق»[78] العبادى كان يلحق بأبيه فى النقل ، وفى معرفته باللغات وفصاحته فيها ، إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة إلى ما يوجد من كثرة نقله من كتب «أرسطو طاليس» فى الحكمة وشروحها إلى لغة العرب وكان إسحاق قد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء ، وكان منقطعا إلى القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) .وإسحاق بن حنين ينتمي لقبيلة عباد العربية النصرانية. اعتنق الإسلام في آخر حياته. وقد قال عنه البيهقي: «كان إسحاق بن حنين من ندماء المكتفي (289 ـ 295)، وقد حسن إسلامه، وأشركه المكتفي في أخذ البيعة لابنه مع وزيره العباس بن الحسن». أصيب آخر أيامه بالشلل (الفالج) وتوفي في أيام الخليفة المقتدر بالله. قال ابن العبري في تاريخ الدول (وكان لحنين ولدان داود واسحق فأما اسحق فخدم على الترجمة وتولاها وأتقنها وأحسن فيها وكانت نفسه أميل إلى الفلسفة وأما داوود فكان طبيباً للعامة. وقال ابن أبي أصيبعة:(كان لحنين ولدان داود واسحق وصنف لهما كتباً طبية في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينيوس. فأما داود فإني لم أجد له شهرةً بنفسه بين الأطباء ولا يوجد له من الكتب ما يدل على براعته وعلمه وإن كان الذي يوجد له إنما هو كناش واحد. وأما إسحق فإنه اشتهر وتميز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانية إلى العربية كتباً كثيرة إلا أن جل عنايته كانت مصروفة إلى نقل كتب الحكمة مثل كتب أرسطو طاليس وغير من الحكماء) .

(78) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : ج1 ص 188 .

– وفيات الأعيان لابن خلكان.

– تاريخ الدول لابن العبري : ص 352 .

مؤلفاته :

1 ـ كتاب الأدوية المفردة.

2 ـ كتاب كناش الخف.

3 ـ كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب وأسماء جماعة من الحكماء والأطباء.

4 ـ كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان.

5 ـ كتاب إصلاح الأدوية المسهلة.

6 ـ كتاب اختصار إقليدس.

7 ـ كتاب المقولات.

8 ـ كتاب إيساغوجى ، وهو المدخل إلى صناعة المنطق.

9 ـ كتاب إصلاح جوامع الإسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط.

10 ـ كتاب في النبض.

11 ـ كتاب صنعة العلاج بالحديد.

12 ـ مقالة في الأشياء التى تفيد الصحة والحفظ وتمنع من النسيان.

13 ـ كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم.

14 ـ مقالة فى التوحيد.

شعره

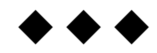
أنا ابن الذين استودع الطب فيهم ... وسمى بن طفل وكهل ويافع
يبصرنى فيه أرسطو طاليس بارعا ... يقوم منى منطق لا بدافع
وبقراط فى تفصيل ما أثبت الأولى ... لنا النصر ـ والأسقام طب مضارع
ويحى ابن ماسويه وأهرن قلبه ... لهم كتب للناس فيها منافع
رأى أنه فى الطب نيلت فلم تكن ... لنا راحة من حفظها وأصابع

ونقلت من كتاب عيون الأنباء أن «ابن بطلان» فى رسالته المعروفة بدعوة الأطباء أن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بالله بلغه أن أبا يعقوب إسحاق قد شرب دواءًا مسهلاً فأحب مداعبته ، وكان صديقاً له ، فكتب إليه:

ابن لى كيف أمسيت ... وما كان من الحال
وكم سارت بك الناقة ... نحو المنزل الخالي

فكتب إليه إسحاق بن حنين:

بخير كنت مسرورا ... رضى الحال والبال
أما السير والناقة ... والمربع الخالي
فأجلا لك إنسانية ... ياغاية آمالى



9 ـ جابر بن حيان



الاسم : جابر بن حيان بن عبد الله.

تاريخ الميلاد : 102هـ ـ 720 م.

مكان الميلاد : قيل أنه من مواليد الكوفة ،

وقيل أنه من مواليد حرّان.

تاريخ الوفاة : 198 هـ ـ 831 م.

اسم الزوجة : ذهب.

موطن الزوجة : الكوفة.

عدد الأولاد : ثلاثة.

أسماء الأولاد : عبد الله ـ موسى ـ إسماعيل.

مكان الوفاة : الكوفة.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : عراقي.

المهنة: عالم كيمياء ـ رياضيات ـ فلك ـ طب .

موجز السيرة

هو أبو عبد الله جابر بن حيان عبد الله الكوفي[79] ولد في حران في العراق ينسبه بعض المؤرخين إلى الصوفية ، وينسبه الفلاسفة أنهم واحد من أعيانهم. وأهل صناعة الذهب والفضة وأن الرئاسة إنتهت إليه،ويعتبره الشيعة أنه من كبارهم، وأنه كان صاحب جعفر الصادق رضي الله عنه وهكذا اختلف المؤرخون في نسبة الرجل العلمية والعقدية، لكنه واحداً من الأعيان الذين برعوا في علم الكيمياء واعتمد منهج النظر في الأشياء والتدقيق فيها حتى يصل إلى حقيقتها. فهو أول من بشر بالمنهج التجريبي، واعتبر أن التجربة من أهم مراحل العمل، العلمي ويقول : «من عرف التجربة عرف كل ما فيها

---

(79) جابر. بهزاد – الكافي من تاريخ العلوم عند العرب – **بيروت**. دار مصباح الفكر 1986م ، ص6.

– فروح. عمر _ تاريخ العلوم عند العرب – دار العلم للملايين – **بيروت** ، 1970 ، ص79.

– الهاشمي. د. محمد يحيى – الإمام الصادق ملهم الكيمياء – دار الأضواء ، **بيروت**. الغبيرة ، طبعة 1986 ، ص 435.

– ابن النديم – الفهرست – تعليق الشيخ إبراهيم رمضان ، (دار الفتوى) **بيروت**. دار المعرفة ، طبعة أولى 1994 ، ص435.

– الأمين ، الإمام السيد محمد – أعيان الشيعة – المجلد الرابع ، حققه حسن الأمين .

– دار التعارف للمطبوعات ، **بيروت**. 1986 ، ص32.

– عبد الرحمن. حكمت نجيب – دراسات في تاريخ العلوم عند العرب – ص261.

– تاتون. رينيه – تاريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط من البدايات حتى سنة1450م) ، ترجمة د. على مقلد. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،طبعة أولى 1988 ص439.

– عبد الرحمن. حكمت نجيب – دراسات في تاريخ العلوم عند العرب – ص263.

– دائرة المعارف الإسلامية. إصدار أئمة من المستشرقين ، النسخة العربية: د. إبراهيم خورشيد ، أحمد الشنتاوي ، د. عبد الحميد يونس. دار البعث ، المجلد العاشر ،ص205.

– عبد الرحمن. حكمت نجيب – دراسات في تاريخ العلوم عند العرب – ص266.

– سيزكين. فؤاد – تاريخ التراث العربي ج4 – ترجمة د. عبد الله حجازي ،السعودية ، طبعة أولى 1986 ، ص365.

– سيزكين. فؤاد – محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية – منشورات العلوم العربية والإسلامية – سلسلة أ ، مجلد (1) 1984 ، ص62.

– الزركلي. خير الدين – الأعلام – ج2 ، ص90 – 91.

ولا يمكن للعالم أن يصل إلى حقيقة الأشياء إلا إذا بنى علمه على تجربة توصلّ الى الحقيقة»، أورد في كتابه «الخواص الكبير»:«ليس يمكن كل يوم العمل والتجربة لترى الرشد فيها نقوله لك»، فميزان الأشياء خير أداة للتجربة ومعرفة الطبيعة وعلم الميزان عند جابر هو ما اعتبره علماء العصر الحديث بقانون الأوزان المتكاملة .. فليس لأحد أن يعمل ويجرب دون أن يعلم أصول الصنعة ، ومجالات العلم بصورة كاملة. وخطوات جابر بن حيان في مجال البحث العلمي تنطبق وما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمي اليوم.

إن جابر بن حيان بمنهجه الاستقرائي. اعتمدت عليه النهضة الأوروبية منذ القرن السادس عشر والسابع عشر فهو من أئمة المنهج العلمي بالإضافة إلى منزلته العالية في العلوم التي اكتسبها من تجاربه ومشاهداته.

جابر بن حيان، عالم كيميائي، توصل من خلال منهجه التجريبي والاستقرائي إلى حقائق كيميائية .استقرت عليها كل علوم الكيمياء. ونورد هنا بعضاً من بحوثه الكثيرة التي توصل إليها بالتجربة والربط بين الملاحظات العلمية في مختبره فقد توصل إلى أنه عند تعريض مختلف مركبات النحاس إلى اللهب تكسبه اللون الأزرق، وقد أثبتت صحة نظريته. النظرية الذرية الحديثة حيث أن الالكترونات التي تعود إلى عناصر ما تملك من خواص مستويات معينة من الطاقة يتميز بها العنصر وعندما يأخذ العنصر أو احد مركباته طاقة فإن الإلكترونيات الخارجية ترتفع إلى مستويات أعلي من الطاقة، وأن هذه المستويات غير مستقرة، فعندما نضع مركبات عنصر ما في اللهب، يأخذ هذا العنصر طاقة على شكل حرارة منه ، وإن اللهب يتلون بلون معين خاص بالعنصر الموجود في اللهب، فأملاح النحاس مثلاً تلون اللهب باللون الأزرق، وهكذا كل عنصر له لون معين إذا تعرض للنار.

ومن البحوث التي توصل إليها جابر بن حيان، أن الشب يساعد على تثبيت الأصباغ على الأقمشة، فمن المعلوم في العلم الحديث أن الألمونيوم، له قابلية في الإلتصاق على الألياف التي تصنع منها أنسجة القماش، فالشب وهو من أملاح الألمونيوم يلتصق على الألياف من ناحية .ومن ناحية أخرى يكون مع الأصباغ أملاح معقدة، وبذلك يكون واسطة لربط جزيئات الألوان على القماش.

تقول الموسوعة عن جابر: أنه طبيب عربي، وأوَّل من اشتغل بالكيمياء القديمة، عاش بالكوفة وبغداد في آخر القرن الثامن وأوائل التاسع، ترجمت كتبه التي زاد عددها على الثمانين إلى اللاتينية، وتعتبر من أهم ما كتب في الكيمياء في ذلك العصر. تناولت كتاباته الفلزات وأكاسيدها وأملاحها وأحماض النتريك والكبريتيك والخليك، كما عالجت القلويات تحضيرا وتنقية بالبلورة والتقطير والترشيح التصعيد، وكان أثرها ملموسا في تنمية الكيمياء القديمة وإدخال عنصري التجربة والمعمل. وأوصى جابر بدقة البحث والاعتماد على التجربة، والصبر على إجرائها. وكان من المعتقدين بنظرية تحويل المعادن إلى ذهب، وبأن الزئبق والكبريت هما العنصران الأوليان. ترجمت بعض كتبه من اللاتينية إلى الإنجليزية عام 1678 وأعاد هولميارد تحريرها وكتب تقديمها عام 1928. عني «بول كراوس» بنشر رسائله[80].

(80) الموسوعة العربية الميسرة (ط مصورة 1407 هـ/ 1987م)، مج 1، ص 590.

* مؤلفاته:

- **أسرار الكيمياء.**
- **أصول الكيمياء.**
- **علم الهيئة.**
- **الرحمة.**
- **المكتسب.**
- **الخمائر الصغيرة.**
- **ومجموع رسائل وكتب أخرى تم ترجمة العديد منها للاتينية .**

*** وفاته:**

- توفي في عام 815 م في الكوفة بالعراق وهو في الخامسة والتسعين من عمره .

شعره

وعلى الرغم من أن الموسوعة العربية الميسرة لم تتحدث عن جابر باعتباره شاعرًا، ولم تشر إلى ذلك إلا أن فؤاد سزكين يذكر أن لجابر قصائد صنعوية منها: «لامية في خواص أكسير الذهب» تتكون من 17 بيتا مع شرح، وله دالية، وأبيات أخرى في الكيمياء[81] .

أما«جلال شوقي» فيشير إلى أن لأبي موسى «جابر بن حيان» الصوفي الكوفي المتوفي حوالي سنة 200 هـ قصيدة دالية في وصف الحكمة مطلعها[82] .

ألا أيها المهدي إلينا الأوائلا ... يُسَائِلُنَا عنها ابتداءً وعائدا

فلو كنتَ في فضل الفلاسفة هُرْمُسَا ... وفي علم بُقْرَاط الحكيمِ كما عدا

....

....

فصلِّ إلهي والملائكةُ العُلا ... على أحمد الهادي نبيا وقائدا

وعنه جزاه الله أفضل ما جزى ... نبيا وصدِّيقا شفيعا وشاهدا

فبلِّغْهُ يا ربِّ عنَّا تحية ... يُنال بها الحور الحسان الخوالدا

كما أن له قصيدة عن خواص الإكسير الذهب تشتمل على 17 بيتا، ونظما في الحجر المكرم .



(81) تاريخ التراث العربي. مصدر سابق ، مج 4 ، ص 186 .

(82) العلوم العقلية. مصدر سابق ، ص 542 .

10 ـ الهمداني

الاسم : الحسن بن أحمد الهمداني .

تاريخ الميلاد : يوم الأربعاء 19صفر سنة 280 هـ

الموافق 10مايو 893م.

مكان الميلاد : مدينة (صنعاء) ـ اليمن .

تاريخ الوفاة : 352هـ ـ 963م. تقريباً.

مكان الوفاة : ريدة (على بُعد سبعين كيلو متراً شمالى صنعاء.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية: يمنى.

المهنة : عالم فلك ـ كيمياء ـ رياضيات ـ أديب وشاعر.

موجز السيرة

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني[83: 7]، ويستدل من (المقالة العاشرة) من كتابه (سرائر الحكمة) أنه ولد بصنعاء يوم الأربعاء 19 صفر سنة 280هـ الموافق 10 مايو 893م. ولا نعرف شيئاً عن نشأته سوى أنه بدأ يُحادث النفس بالأسفار منذ بلغ السابعة من عمره وكان أبوه رحالة دخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر .ويبدو أن الهمداني شارك أهله في عملهم وهو نقل الحجيج والتجار إلى مكة من صعدة، ثم انتقل إلى صعدة واستقر بها، وهو آنذاك في الخامسة عشرة من عمره، وبعد زمن ارتحل إلى مكة طالباً للعلم، وهو في الخامسة والعشرين من عمره وجاورها أكثر من ست سنوات. وكانت فترة إقامته في مكة من أخصب سني التحصيل لديه، حيث تفتحت له آفاق المعرفة، واتسعت بسطته في العلم، فتصدر للتدريس وعلم شيئاً من علم الأخبار، وكتب صدراً من الحديث والفقه ورواه. وكانت مكة في ذلك العهد من مراكز العلم يفد إليها كثير من علماء البلدان الإسلامية لأداء فريضة الحج أو للمجاورة، فتسنى للهمداني أن يتلقى العلم عن بعضهم، ويظهر أنه اقتنى خلال هذه الفترة بعض الكتب كدواوين الشعر ومؤلفات ابن الكلبي في الأنساب وغيرها. وفي نحو (311 هـ/ 923 م) رجع إلى اليمن ونزل صعدة مرة أخرى، وهي إذ ذاك كورة بلاد خولان، وقاعدة أئمة الزيدية،

---

(83) قطوف من سير العلماء : مرجع سابق ص 73 : 78 .

– الوافي بالوفيات : مرجع سابق ص

– معجم الأدباء : مصدر سابق ج2 ص 809 .

– القفطى : أخبار الحكماء ، تحقيق جوليوس ليبرن ، ليبسك 1903 م . ص113 .

– مجلة المجمع العلمي العربي : 25 : 62 . =

= – السيوطي: بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة 1946 ـ 1965م 1 : 498 ، 1: 531 .

– صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، تحقيق لويس شيخو ، بيروت 1912، ص 58 .

ومحطة مهمة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية، وكان قد توافر لصعدة استقرار نسي. خلال فترات الهادي وابنيه المرتضى والناصر. وقد أدى ذلك إلى استقطاب كثير من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم، وكذلك التجار من داخل اليمن وخارجه، فقامت فيها حركة أدبية وفكرية وانتعشت فيها التجارة فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها، كما أسهم فيها بنصيب وافر، لاسيما علوم الأخبار والأنساب والشعر. واشتهر الهمداني بالعلم بين أهلها، فعرض جاهه، ورفع قدره، واكتسب رضا رجال القبائل من خولان وما جاورها من همدان وحمير. وكانت صعدة من المراكز التي ورثت الخلاف السياسي والفكري. واتخذ ذلك الصراع في صعدة صوراً متعددة منها: عودة ذلك الخلاف القديم والخطير بين قبائل عرب الشمال وقبائل عرب الجنوب. وكان خلافاً معلوماً يدور حول مسألة الخلافة وأحقيتها، وقد تنازع فيه الناس بالسنان، وتجادلوا بالحجة واللسان، فأدى ذلك إلى بروز موروث تاريخي ملحمي عن حياة العرب قبل الإسلام، خاصة عن حياة عرب اليمن، فكان أن انعكس ذلك الصراع، وما نتج عنه على الحركة الأدبية والفكرية في صعدة. ولم يكن بوسع الهمداني أن يتجنب مثل ذلك الصراع إذ كان صميم الأمر، فهو شخصية أدبية مرموقة، وعالم شغوف باستقصاء أخبار وطنه، له صلات عديدة برجال خولان في صعدة وهمدان في أرضها، وقد جمع كثيراً من أخبارها ووقائعها ومفاخرها فخاض ذلك الصراع المحتدم الذي كان قائماً في صعدة منذ أن وطد الإمام الهادي مركزه فيها وانتقل الصراع من السياسة والفكر إلى الأدب فتبارى الشعراء في نظم الأشعار التي تذكي الحمية وتوقظ العصبية بنوع من المفاخرة الشعرية، كان الكميت بن زيد الأسدي قد بدأها قبل نحو قرنين في قصيدته الموسومة بالمُذهبة، حيث يحرص كل جانب على تبيان مناقبه ومثالب معارضه. ويبدو أن الأمر قد تفاقم بين الهمداني وغيره من الشعراء، فنظم قصيدته التي ينحو فيها منحى الكميت، وسماها (الدامغة) فاستغلها خصمه، فكان أن فتحت عليه أبواب الطعن، وسبل الاتهام وأثار عليه السلطان والناس كما قال الهمداني نفسه في المقالة العاشرة. وسجن الهمداني على إثر ذلك، وكانت نكبة عظيمة ومشهورة رغم أنها لم تَعْدُ عشرة أيام، سنة(315 هـ/ 927 م).

وقد عمل على فك الهمداني من سجن الإمام الناصر بصعدة بعض كبار رجال القبائل من خولان إلا أن الإمام الناصر توعد الهمداني إن عاد إلى مثلها، فخرج على إثر ذلك من صعدة إلى صنعاء مسقط رأسه طامعاً في أن ينعم بحمى أميرها بالجاه العريض، والقدر الرفيع. ومن الجائز أن اتصاله الوثيق بأبي نصر محمد بن عبد الله اليهري قد تم بصنعاء في هذه الفترة، وهو عالم ونسابة كما وصفه الهمداني بقوله: «شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكنون علمها وقارئ مسندها والمحيط بلغاتها».

ويستدل من بعض الإشارات على أن الهمداني لم يأبه إلى توعد الناصر فانطلق يكتب الأشعار ويجمع مفاخر قحطان، وألف (شرح الدامغة) في صنعاء، وظن أنه في حمى آل يعفر الحميريين، وأنهم لا ريب مانعوه. ولما بلغ الناصر أن الهمداني لم يكف وقيل: إنه تنقصه أيضاً في بعض أشعاره، كتب إلى أسعد بن أبي يعفر يعرفه بما بلغه من ثلب الهمداني له، وكان بين الناصر وأسعد مودة شديدة ووفاق عريض فورد كتاب أسعد إلى أبي الفتوح الخطاب ابن أخيه أمير صنعاء يأمره فيه أن يأمر بحبس الهمداني وتقييده فقيد وضُمِّن الحبس.

وقد اختلط الأمر على الرواة في أمر سجن الهمداني حيث مزجوا بين سجنه لمدة قصيرة في صعدة على يد الناصر، وبين سجنه الطويل في صنعاء على يد آل يعفر، أي بين سجنه عام (315هـ/ 927م) وسجنه عام(319 هـ/ 931م). وقد بادر إلى نجدته بعض رجال القبائل، فطالبوا به متوعدين فأذن بإطلاق سراحه في نحو 17 ذي القعدة من عام 321 هـ/ 8 نوفمبر 933 م)، فانتقل بعد ذلك إلى ريدة من بلاد قاع البون حيث قضى الهمداني بقية عمره.

وقد يكون أهم سبب دعاه للاستقرار فيها هو وجود سند عائلي وقبلي، فقد كان سكان ريدة من العلويين الذي نعتهم الهمداني برهطة. إلى جانب وقوعها على مقربة من كثير من مواقع الآثار اليمنية القديمة التي عُنِي الهمداني بزيارتها واستقراء مساندها. وهناك انصرف كلية إلى التأليف الغزير، فكتب (الإكليل) بأجزائه العشرة ليكون موسوعة الحضارة اليمنية القديمة، وقد أشار غير مرة إلى فترة اشتغاله بتأليفه نحو عام (330هـ/ 941م).

ويستفاد من كتاب (صفة جزيرة العرب) أنه كتبه بعد كتاب (الإكليل)، أما مصنفاته الأخرى مثل (اليعسوب، والأيام، والقوى، والزيج) فتدل الإحالات إليها في كتبه أنها ألفت قبل عام (330 هـ/ 941 م). ورغم أن بعض كتب الهمداني قد رويت عنه مختصرة أو منقحة، وبعضها ما زال مفقوداً إلا أنه من الثابت أنه كان غزير التأليف، وأن إقامته في ريدة كانت أغنى فترات الإنتاج عنده، بعد أن شغل قبل ذلك في مكة وصنعاء بالجمع والتحصيل. توفي الهمداني في ريدة، وبها قبره وبقية أهله، وقبره اليوم مجهول، وتاريخ وفاته غير ثابت وفيه خلاف، ويرجح أنه عاش إلى ما بعد (336هـ/ 947م). وكان أهله يقطنون في الأصل خراب المراشي من قضاء برط في الجزء الأعلى من مساقط جوف معين. يجمع سكانها بين عيشة التبدي والتحضر. وقد انتقل جده داود وابنه يوسف إلى الرحبة شمال صنعاء ثم سكن يوسف صنعاء، وسكن فيها أولاده من بعده.

ويوافق مولد الحسن الهمداني سنة خروج الإمام الهادي إلى الحق «يحيى بن الحسين» من الرس في أرض الحجاز إلى اليمن في خرجته الأولى بدعوة من بني فطيمة من خولان صعدة، وذلك إبَّان خلافة المعتضد العباسي الذي كان عامله على صنعاء «علي بن حسين» المعروف «بجفتم». ويذكر الحسن الهمداني في المقالة العاشرة المذكور، أنه منذ بلغ السابعة من عمره، بدأ يحادث النفس بالأسفار، وكان أبوه رحالة، كما كان لأجداده بصر بالإبل منذ أن كانوا في شرق اليمن.

ولما تركوا البداوة، واستقروا بصنعاء اشتغلوا بالجمالة، والبعض منهم عني بالصناعات كالتعدين. وقد كان لذلك أثره في صقل شخصيته. وفي الخامسة عشرة من عمره استقر مع أهله في صعده، وشارك أهله في الجمالة؛ ولما بلغ سن الخامسة والعشرين، ارتحل إلى مكة المكرمة طلباً للعلم، فقد كانت إذ ذاك من مراكز العلم، ويؤمها كثير من علماء البلدان الإسلامية لأداء فريضة الحج أو للمجاورة، فتسنى للحسن الهمداني أن يجاورها أكثر من ست سنوات، وأنْ يجلس إلى العلماء ويروي عنهم، وتفتحت له آفاق المعرفة، وانفتح له باب نفيس من المنطق فازداد منه، وانكشط عنه كثير من الجهل، واتسعت بسطته في العلم، فعلم شيئاً من علم الأخبار، وكتب صدراً من الحديث والفقه ورواه، ومال إلى مذهب الجماعة كما قال ذلك بنفسه في المقالة العاشرة، وتصدر للتدريس. وكانت له صلة بعلماء العراق،

فقد صحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم، وممن عاشرهم من العلماء أبو بكر «محمد بن القاسم بن بشار الأنباري»، وهو أحد عيون العلماء باللغة وأشعار العرب، وأيامها، والذي كان يختلف بين صنعاء وبغداد. وكاتب الهمداني «أبا عمرو النحوي» صاحب ثعلب وأبا عبد الله «الحسين بن خالويه».وكان الهمداني يعتد بأقوال شيخه أبي نصر ـ «محمد بن عبد الله اليهري الحميري» في كل ما يورده من أخبار اليمن وأنساب أهله. وكان الهمداني يتلقى معارفه عن رواة وعلماء وأناس من أهل قطره، وعن من يتوسم فيه المعرفة من الأقطار الأخرى. وقد أكثر النقل عن «بطليموس»، بل لخص كتابه في مقدمة «صفة جزيرة العرب»، وتأثر كثيراً ببعض الآراء الواردة في تلك الكتب المترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية التي وصلت إلى صنعاء حين كان وزراء الدولة العباسية في صنعاء من البرامكة وغيرهم ممن كانت لهم صلة بالأبناء، وهم بقايا الفرس. ولدى عودته من مكة المكرمة في حوالي سنة 311هـ اقتنى الكثير من الكتب، كدواوين الشعر ومؤلفات ابن الكلبي في الأنساب وغيرها... ونزل بمدينة صعدة مرة أخرى وكانت إذْ ذاك كورة بلاد خولان وقاعدة أئمة الزيدية، ومحطة هامة على طريق التجارة الممتدة من أقصى ـ جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، ونقطة تجمع الحج من مختلف الجهات اليمنية .. وكان قد توفر لمدينة صعدة استقرار نسبي خلال فترات الهادي وأبنية من بعده؛ المرتضى ـ، والناصر. وأدى ذلك إلى استقطاب كثير من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم والتجار من داخل اليمن وخارجها، ونجم عن ذلك قيام حركة أدبية وفكرية، ونشاط تجاري... وقد أفاد الحسن الهمداني من فنون العلم، وأسهم من جانبه بنصيب وافر ولاسيما في علوم الأخبار، والأنساب والشعر، إذْ لم تكن صعدة قبل ذلك من المدن التي رحل إليها أصحاب الحديث كصنعاء، وبالتالي لم تنتشر ـ أخبارها، وقلَّ وقوف النسابة على أنسابها، وقبائلها وبطونها من خولان، فكان للهمداني باع طويل في هذا الحقل، مما زاد من مكانته العلمية بين أهل صعدة، واستحوذ على رضا القبائل من خولان وما جاورها من همدان وحمير، الأمر الذي أوغر صدور شانئيه

، وجرِّه إلى حلبة الصراع السياسي الذي صُدِّر إلى صعدة انعكاساً لما ابتليت به حاضرتا دولتي الخلافة الأموية والعباسية، فما كان له من بد إلاَّ أن ينظم قصيدته الدامغة تحت وطأة الخطأ المتبادل، ودفع الثمن سجوناً ومطاردات لجزئية دُفع إليها دفعاً، وظلت تلاحقه مدى حياته وبعد مماته، ولم تشفع له علومه وغزارة معارفه بقدر ما زادت من أوار الحقد عليه، لكنه كان أقوى من كل التحديات واستطاع أن يتجاوزها حين آثر اعتزال مدينتي صعدة وصنعاء، وما سادهما آنذاك من أسباب الفتن القائمة على التمذهب السياسي الذي كان كل واحد من دعاته يريد أن يفرضه على الناس ولو بشفار السيوف. ولازم مدينة ريدة التي قضى فيها بقية حياته وسط رهط من اللغويين، منصرفاً انصرافاً كلياً إلى التأليف الغزير، حيث كتب فيها كتاب الإكليل بأجزائه العشرة، والذي يعتبر موسوعة الحضارة اليمنية القديمة. وصنَّف من بعده كتابه صفة جزيرة العرب، وغيره من المؤلفات.

من هذه التوطئة يمكننا أن نوجز الحضور الإبداعي والموسوعي للحسن الهمداني في النقاط التالية:

كروية الأرض

كان الهمداني في طليعة القائلين بكروية الأرض، ذكر ذلك في كتابه صفة جزيرة العرب بقوله:«اعلم أنّ الأرض ليست بمسطحة، ولا ببساط مستوى الوسط والأطراف، ولكنها مقببة، وذلك التقبب لا يبين مع السّعة، إنما يبين تقبيبها بقياساتها إلى أجزاء الفلك، فيقطع منها أفق كل قوم على خلاف ما يقطع عليه أفق الآخرين طولاً وعرضاً فى جميع العمران،ولذلك يظهر على أهل الجنوب كواكب لا يراها أهل الشمال، ويظهر على أهل الشمال ما لا يراه أهل الجنوب، ويكون عند هؤلاء نجوم أبدية الظهور والمسير حول القطب، وهي عند أولئك تظهر وتغيب، وسأضع لك في ذلك مقياساً بيّناً للعامة، من ذلك أن ارتفاع سهيل بصنعاء، وما سامتها إذا حلّق زيادة على عشرين درجة، وارتفاعه بالحجاز قرب العشر، وهو بالعراق لا يُرى إلاَّ على خط الأفق، ولا يُرى بأرض الشمال، وهناك لا تغيب بنات نعش، وهي تغيب على المواضع التي يُرى فيها سهيل، فهذه شهادة العرض، وأمَّا شهادة الطول فتفاوت أوقات بدء الكسوفات،ووسطها وانجلائها على خط فيما بين المشرق والمغرب، فمن كان بلده أقرب إلى المشرق كانت ساعات هذه الأوقات من أول الليل والنهار أكثر. ومن كان بلده أقرب إلى المغرب كانت ساعات هذه الأوقات من آخر الليل، وآخر النهار منكوساً إلى أولها أكثر، فذلك دليل على تدوير موضع المساكن والأرض، وأنَّ دوائر الأفق متخالفة في جميع بقاع العامر، ولو كان سطح الأرض صفيحة، لكان منظر سهيل وبنات نعش واحداً».

الجاذبية الأرضية

جاء في كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » للهمداني في سياق حديثه عن الأرض، وما يرتبط بها من أركان ومياه وهواء، قوله: « فمن كان تحتها – تحت الأرض – فهو في الثبات في قامته كمن فوقها، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى، وكثبات قدمه عليها. فهي بمنزلة حجر المغناطيس الذي تجذب قواه الحديد إلى كل جانب، فأما ما كان فوقه، فإَّن قوته وقوة الأرض تجتمعان على جذبه، وما دار به، فالأرض أغلب عليه وما كان بينه وبين الأرض فإنه أغلب عليه إذا كان الحديد مثلاً يسُر ـ أجزاء الحجر، والأرض أغلب عليه بالجذب، لأن القهر من هذه الحجارة لا يرفع العلاة ولا سفلة الحدَّاد». ويتضح من هذا النص اكتشاف الهمداني لحقيقة أنَّ الكرة الأرضية تجذب الأجسام في كل جهاتها، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركزة في الأرض، وتترك حول الأرض مجالاً فعالاً أشبه بذلك المجال الذي تتمتع به القطعة المغناطيسية. ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين في طيران ما على سطح الأرض من كائنات ومحيطات، وأشياء غير ملتصقة بها طبيعياً. لقد ربط الهمداني الخاصية بالأرض، ولم يقل بالنص أنَّ الأجسام تجذب بعضها البعض، وهو المفهوم الذي يشكل أساس قانون نيوتن، للجاذبية الأرضية. لقد كانت محاولة الهمداني في فيزياء آلية سقوط الأجسام إلى الأرض محاولة مبكرة نجحت في طرق التقنين الذي أنجزه لاحقاً .

سرعة الصوت والضوء

لقد كان الهمداني أول من فرق بين سرعتي الصوت والضوء، ويتضح ذلك من ملاحظته الدقيقة وتطبيقه العملي الذي وصف به الظاهرة على جبل تُخلي (جبل مسور حجه)، قال بعد ذكر ارتفاع الجبل، وتكاثف السحاب: « .. فإذا وقع فيه لامعة البرق، وتبعها صوت الرعد عجلاً على قدر بُعد العين من البرق، ومثال ذلك إذا كنت في بعض السهول، وكان منك على مدى البصر من يضرب بصادور (فاس كبير) في حجر، أو بفأس في شجر، فنظرت إلى وقفة الفأس، لم يتأد إليك صوتها إلاَّ عند وقوع الضربة الثانية، وصوت الضربة الثانية إلاَّ عند وقوع الضربة الثالثة».

غاز الأكسجين وظاهرة الإحتراق

لقد كان للهمداني فضل كبير في اكتشاف غاز الأكسجين الذي أطلق عليه إسم النسيم، وأنه ضروري للتنفس والإحتراق، وقدَّم لذلك ملاحظات وأجرى عدداً من التجارب، وعززها بالأدلة والشواهد العملية، بأسلوب علمي سبق ما توصل إليه «لافوازيه» بثمانية قرون. ففي الجزء الثامن من كتاب «الإكليل»، وفي باب القبوريات اعترض الهمداني على خبر مفاده أنَّ رجلين دخلا مغارة، وأمضيا فيها وقتاً طويلاً، وهما يحملان شمعة يستدلان بها على رؤية الطريق المتعرجة العميقة... وأخذ يسرد تفاصيل الخبر في خمس صفحات، أنهاها باعتراض علمي قال فيه: « ... هذا الحديث فيه زيادة لا تمكن، لأنهم ذكروا المسلك في المغارة، ثم دخولهم منها إلى هوة، وأبيات، فقَّل بها النسيم، ويعجز بها التنفس، ويموت فيها السراج.. ومن طباع النَّفس، وطباع السراج أن يحيا ما اتصل بالنسيم، فإذا ما انقطع في مثل هذه المغارات العميقة، والخروق المستطيلة لا يثبت فيها روح ولا سراج».

ودعَّم اعتراضه السابق بسوق أمثلة تجريبية معاشة، فقال: « ... ومن ذلك خرق قلعة ضهر، وهو مستطيل جداً، ويقول الناس فيه مال عظيم، وقد دخله جماعة بالمصابيح والشمع، أحدهم «أبو محجن بن طريف» غلام آل يعفر، وكان أميراً يطلب ما فيه ضنين، فلما تغلغلوا حصرت السُرُج في موضع انقطاع النسيم ثم طفئت، وأخذ حاملها بالكظم فنكصوا».

هم يرون أنَّ الجنَّ أطفأت السرج وليس كذلك، ولعل هذا الخرق لا شيء فيه، وإذا بلغت السرج موضع انقطاع النسيم نشص التهاب النار اللاحقة للهواء،إذ هو مجانس لعنصرها. ويقدم الهمداني الدليل الثاني بقوله: « والدليل على ذلك أنك لو أخذت سراجاً، وملأته زيتاً صافياً أو سليطاً وصيَّرت فيه ذبالة جديدة، وألقيته على ظهر مستوى السطح، ثمَّ قلبت على السراج مكباً لا خلل فيه، وطينت على ما يتخلل من النسيم من بين خروقها، ووجه السطح لمات السراج مكباً إذا انقطع عنه النسيم». وقدم دليلاً ثالثاً من الشواهد اليومية في حياة الناس بقوله: « ومن ذلك أنَّ التنور تسجر للهريس، والفرني، والمشوي من الحملان والجواذب، ويكثر جمرها، فإذا ختم عليها طفئت النار، ورجع الجمر فحماً، ولم يبق النضج إلاَّ بالتهر (البخر)، فإذا فتحت لم تجد ناراً ، ولم تجد إلا حرارة التَّهر الواصلة من الجدار وأسفل التنور». وإلى أبعد من ظاهرة الاحتراق، تحدث الهمداني كذلك عن ظاهرة القابلية المرتبطة بها، وقد أورد نصاً في هذا الاتجاه في كتاب الجوهرتين العتيقتين جاء فيه: « وأما ما يقبل النار، فإنه متفاضل في القبول على قدر ما فيه من أجزاء النار، كالحراق يقبل القادحة التي لا يقبلها غيره، والكرة التي تقبل داخل الزند، ثم الكرسفة التي تقبل شعلة السراج عن بعد من محاذاته، والكبريت والنفط، ثم بعد ذلك الحلفاء، واليراع، والسخت من الحطب، ثم الجزل حتى يبلغ الدوح، وكذلك أشياء أخرى لا تقبل النار قبول الحطب، إذْ ليس فيها من أجزاء النار ما فيه، ولكن قبول صدقه كالحجر الذي يصير نورة، والحجر الذي يصير حديداً، والحجر الذي يصير أسرباً ومرتكاً وفضة، والطين الذي يصير فخاراً، وآخر يصير حجراً مثل الآجر المحترق» ويقول كذلك: « ويقبل الماء النار عن حاجز، وتقبل النار الهواء وتقوى به لاتصالهما، ولا تبقى في موضع لا هواء فيه» ولقد كرس الهمداني لعلاقة قابلية ،ولقابلية المادة بالاحتراق إحدى عشرة لفظة في مقطع صغير، فضلاً عن إيراده لفظة التصيير الملتصقة بالقابلية خمس مرات. وهكذا تظهر لنا النصوص المذكورة آنفاً ظفر الهمداني بالاستقصاء والبرهان بشكل حاسم على علاقة الهواء بالاحتراق، وبالتنفس قبل ظهور أي نظرية مماثلة في أوروبا بنحو ثمانية قرون.

الأراضة والتعدين

والأراضة يقصد بها علوم الأرض المعنية بدارسة طبقاتها من حيث مراحلها التاريخية أو ترسبات موادها المختلفة، ودراسة المناجم، وأنواع المعادن والأحجار، والحركات الأرضية والتضاريس، وعلم البحار. ويبلغ عدد هذه الفروع نحواً من 24 فرعاً، ويرى بعض الباحثين أنَّ ما صنعه العرب في العصر الوسيط يمكن اعتباره البداية العلمية لأثنين وعشرين فرعاً من علوم الأرض، وأما الجيولوجيا التصويرية والهندسية فهما من منجزات العصر الحديث. فبالعلم «جابر بن حيان» يبدأ تاريخ الكيمياء التجريبية، وتاريخ المعادن والتعدين، والأحجار الكريمة، وتتالى من بعده الرواد في حقل الأراضة، ومنهم الكندي والرازي والطرسوسي والجلدكي، والحسن الهمداني موضوع البحث، والذي صور ما تكتنز به أرض اليمن من المعادن الثمينة ببيت الشعر في قصيدته الدامغة.

وأنفس جوهر للأرض فينا معادنه غنائم غانيمينا

وقال في شرح هذا البيت: إنَّ باليمن من المعادن ما افترق في غيرها فمن ذلك الذهب، والفضة والحديد والجزع والبَقّرَانْ والبلّور. وقد خص المعادن والتعدين بشيء من التفصيل في مؤلفه المتميز الجوهرتين العتيقتين . وجعله في 57 باباً، ويُعد الأول من نوعه ككتاب مفصل، يصل إلينا من العصور الوسطى، وهو بمثابة كتاب علمي في المعادن والكيمياء ودليل عملي في صنعة سك النقود، ويعنى بصفة رئيسية بصنعة الذهب والفضة، ابتدءا من استخراجها من مناجمها، ومروراً بتنقيتها وضبط عيارهما، والطلاء والتلحيم بهما، وانتهاء بسك النقود منهما. ومما يتميز به ويخالف به علماء عصره، جزمُه بأنَّ الذهب لا يأتي إلاَّ من معدنه. ولا تأتي الفضة إلاَّ من معدنها، وليس من معدن آخر، ولا يستعمل الإكسير في سبيل تحويل المادة، وإنما تستخلص المعادن من خاماتها بالتنقية؟.

ويختلف كتابه عن مؤلفات الكيمياء الأخرى في أسلوبه، وذلك أن الأمر عنده يتعلق بعمليات فنية كيميائية يصفها في كتابه بدقة، خلافاً لما ينظر إليها عند الآخرين كطقس يمارس باستعمال لغة سرية بما فيها الأسماء التي ترمز لتلك المعادن. فالهمداني يبدو في كتابه هذا عالماً دقيق الملاحظة، استقى معلوماته من أهل الخبرة والمعرفة، وممن اعترف أتباعهم بتفوقهم، وبغزارة علمهم ودقة معارفهم. وتعتبر عائلة الهمداني مصدراً، فأبوه أمده بمعلومات قيمة عن تنظيف الفضة، وكان جده الأعلى مسئولا لدى الدولة، وعنه أخذ خبرة عن كيفية اختبار الذهب، كما استقى الهمداني معلوماته من أصحاب المهنة أنفسهم، وخاصة من ضارب لسكة في صنعاء، ومن ضاربها في صعدة أبي إسماعيل «إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن»، وقد أمده بأخبار عن معادن الذهب الأفريقية وعن تاريخ دار السكة في صنعاء، وعلّمه كيف يحسب عيار الذهب.. وكان الهمداني يرجع إلى الحرفيين، كلٌّ في صنعته، فقد أمده الصائغ «أحمد بن أبي رمادة» بمعلومات عن معدن الفضة في منجم الرضراض، وحدثه أبو الحسن الذي كان يشتغل بالتعدين عن معادن الماس، وآخرون أمدوه بمعلومات عن تكوين الذهب، ومنهم عمال التعدين أنفسهم ممن يتحدثون العربية بفصاحة، أو الفرس الذين كانوا يشتغلون بالفضة.وكان الهمداني موضوعياً في مصادره فهو يقارنها ببعضها، ويعرض الآراء المختلفة المتعلقة بأمر واحد.

ولقد خالف البيروني، وابن سينا في كونه ليس عدواً للكيمياء بمفهومها القديم، فهو لا يذمها، وإنما يسميها بتسميتها الصحيحة، إذْ أنها تُعنى في الواقع بتقليد الطبيعة، وأنَّ الذهب والمعادن والأخرى تنظف بالمواد نفسها وتتأثر جميعها بالطبيعة.

ولم تقتصر إبداعات الهمداني على العلوم البحتة فحسب، بل شملت كذلك تناولاته لكثير من العلوم الاجتماعية، وما اتصل بها من علوم العرب من الشعر والنثر والبيان والأيام والأنساب والسير والأخبار، وتفرد بقراءة خط المسند، وعقد المقارنة بين قواعد الكتابة في المسند وبينها في العربية.

ورائده في هذه العلوم تحري الدقة، والتمحيص، وتقديم الدليل العلمي على رأيه في ما يرجح أو يثبت أو يدحض، نلاحظ ذلك في جميع كتبه، ومباحثه ومن ذلك ما أسس عليه كتاب الإكليل الذي توقف فيه عند قضايا كثيرة جغرافية، وعمرانية وتاريخية ولغوية وأدبية، وإخبارية وأنساب، ما جعله بحق دائرة معارف، وسفراً لا نظير له.. فهو لم يتخل عن تحري الدقة حتى في أكثر المباحث اختلافاً لمبحث الأنساب، حيث يورد أقوال النُّساب واختلافهم في أي نسب مما يتطرق إليه الاختلاف ثم يرجح إحداها، ويدعمها بالحجة والبرهان المقنع بكلمة موجزة بحيث لا يظهر أنَّ هناك تحيزاً أو ميلاً بدون دليل أو شبه دليل .

وهو يتمتع بالقدرة على الوصف الدقيق لما يكتب عنه، ومن ذلك على سبيل المثال قيامه بوصف قصر غُمدان على لسان ابن شرية: « كان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب. وعند كل منها تمثال لأسد من نحاس، فإذا هبت الريح من الأرياح زأر ذلك التمثال الذي هو قبالة ذلك الباب، فإنْ تناوحت الأرواح جميعاً، زأرت جميعاً.

ويتابع الهمداني وصف القصر من الداخل بدقة متناهية، تجعل القارئ يتصور القصر ماثلاً أمامه، وهو ما قد يُمكن رساماً ماهراً من إعادة رسم لوحة مجسمة لهذا القصر، وفقاً لهذا الوصف.

والخبر الذي يورده الهمداني، يخضعه للعقل والمنطق، فهو يقوم برواية الرواية كما سمعها، ويورد الخبر كما تتناقله ألسنة الناس، ثم يعطي حكمه على إمكانية صحتها، محكماً المنطق والعقل. ومثال ذلك ما يدعيه بعض الناس من أنَّ الجن والشياطين هي التي بنت قصر سلحين، فهو يدحض هذا الإدعاء، وينفي القول من أنَّ ذلك مكتوب في نقش مساند اليمن، مستنداً إلى معلوماته التاريخية، وإلى أسلوبه الإقناعي كقوله: « ولا يمكن أنْ تكون الجن كتبت هذا لعلتين؛ الأولى أنهم ذكروا أنهم بنوا سلحين في سبع وسبعين سنة، ولم يكن بين موت سليمان، وصدر ملكة سبأ عنه إلا سبع سنين بقول المكثر. وعند موته رفعت الجن أيديها من الخدمة، وقبضت رباقها من ملك السحرة، والثانية قول علقمة يذكر أنَّ الناس بنوها لا الجن:

أبعــد ســـلحين لا عـــين ولا أثـــر　　　أم بعــد بينــون يبنــى النــاس أبياتــا

ويقول الهمداني في الجزء الثامن من كتاب « الإكليل » وقد أكثر الناس في بناء الجن لقصور اليمن، فما ذلك إلاَّ من زيادات الناس في الأحاديث. وفي موضع آخر من نفس الكتاب يقول الهمداني كذلك: «والعرب ينسبون كل مستطرف من البناء إلى سليمان بن داود عليه السلام، كما ينسبون كل قديم إلى عاد».وحيث روى الهمداني عن ابن هشام الكلبي، عن الرائي قصة الرجل الذي عاش أكثر من ستمائة سنة، عقب على ذلك بقوله: هذا حديث فيه حيف. ورأينا من قبل كيف كان يحرر الحقائق العلمية من الغموض والإبهام والخزعبلات التي حاكتها الروايات والأخبار التي تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية، ويسوق لإبراز حقائق الأمور الحجج العلمية والتجريبية كما في موضوع إثبات حاجة النفس والسراج إلى النسيم. وكثيراً ما يستخدم الهمداني لفظة قيل ويقال، عندما يقف على موضوع غير بيِّن الملامح. ثم إنه يذهب إلى تعزيز معلوماته ورفدها بالشواهد من الكتاب والسنة والشعر والأمثال والرواة المعروفين.

العلوم الأدبية والاجتماعية

وعلى أساس من هذا الأسلوب العلمي تأتي إسهامات الهمداني، وآثاره وكتاباته في العلوم الأدبية والاجتماعية، ففي مجال الأدب: شهد القرن الرابع الهجري بداية حركة شعرية واسعة، والتي أخذت تغذيها تنافسات وصراعات سياسية ومذهبية وقيام الدويلات التي استقطبت في خصوماتها الشعراء، وأغدقت عليهم الأعطيات وعلى سائر الأدباء والكتَّاب الذين ذهبوا يمتدحون فضائل دول ويذمون أُخر، ويدافعون عن حكام، ويهجون آخرين، وينتصرون لهذا المذهب أو ذاك، وكادت اليمن بتاريخها العريق، وشمائل أهلها وفضلهم على أمتهم، وعلى نصرة الإسلام، تنسى؛بل لقد تجرأ البعض عليها بالنكران والجحود، فما كان من الهمداني إلاَّ أن رشح نفسه لخوض معركة أدبية وفكرية وسياسية، دفاعاً عن اليمن ومجدها الحضاري، ونبل فضائلها وعظيم مكارمها، وقام بجهد خلاق في التاريخ لأنسابها وتبيان آثارها، ومآثر حضارتها وآدابها وسائر فنونها.

ولقد تسبب الذين اجترحوا السيئات في حق اليمن وأهلها بارتفاع حمى الغيرة لدى الهمداني، ما جعله يحيد في بعض التعبيرات عن أسلوبه العلمي المعهود، ولعله كان مضطراً تحت وطأة الظلم أن يعمد إلى الجهر المضاد بنفس ما جهر به المتطاولون على اليمن من سوء القول. فقد اشتهرت له قصيدة الدامغة والتي مطلعها:

ألا يا دار هلاَّ تنطقينا   فإنا سائلون ومخبرونا

وهي تقترب من ستمائة بيت، ردَّ فيها على قصيدة «للكميت بن زيد الأسدي»، في المفاخرة والمفاضلة بين القبائل الشمالية والجنوبية، ثم ما لبث تحت وطأة خلافه مع الإمام الناصر أنْ قام بشرح الدامغة دفاعاً عن أحساب قومه، متحملاً في ذلك عنت العداوة والسجن، صائناً لسانه في كل الأحوال عن كل الأقذاع.

ولقد قدم الحسين بن خالويه (ت 370 هـ) من حلب إلى اليمن، وأقام بمدينة ذمار يجمع ديوان شعر للحسن الهمداني، ويذكر السيوطي في البغية، أن هذا الديوان يقع في ستة مجلدات، ونجد نماذج كثيرة من شعره في كتاب الإكليل. كما أورد المحقق «محمد علي الأكوع» قصيدة مطوَّلة للهمداني في مقدمة الإكليل بعنوان «قصيدة الجار». من جهة أخرى لفت الهمداني الأنظار إلى الكاتب البليغ «بشر بن أبي كبار البلوي» (ت بعد 202 هـ / 807 م)، حيث أورد له إحدى عشرة رسالة من رسائله، ووصفه بأنه كان من أبلغ الناس، وكانت بلاغته تتهادى في البلاد، وكان له فيه مأخذ لم يسبقه إليه أحد، وبأن له قدرة عجيبة على استحضار ما يشاء من آيات القرآن، والسيرة النبوية متى يشاء، ودون إجهاد، وأنه كان صاحب أسلوب متفرد في الكتابة الفنية وليس هناك من يحاكيه في « حسن اختلاس القرآن ». فقد جعل النصَّ القرآني جزءاً أصيلاً من رسائله، وليس من يضاهيه من كتَّاب النثر العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري في نصاعة الأسلوب، بل إنه يمثل قمة رفيعة في النثر العربي، ونموذجاً عربياً سابقاً للجاحظ، كما يمثل أسلوبه عملاً متقدماً ملحوظاً في بناء الرسالة النثرية على «عبد الحميد الكاتب».

وتفرد الهمداني بأولوية التعريف بخط المسند، وقد خصص لحروف المسند باباً في الجزء العاشر من الإكليل، وعقد مقارنة بين قواعد الكتابة في المسند، وبينها في العربية في ما يخص حذف الألف إذا وقعت في وسط الحروف «الرحمن». ويفسر بعض الكلمات الحميرية الواردة في المساند فيقول إنَّ التسلبي التجمع، والمسلبي المجَّمع بلغة حمير، في شرحه لأحد النصوص.

وقد أورد أبياتاً من الشعر بالحميرية مثل:

إني أنـــــا القيـــــل إلى شرح   حصـــــنت غمـــــدان بمـــــنهمات

وأورد أبياتاً بلغة عربية وبخط المسند:

شـــحرار قصرـــ العـــلا المنيـــف   أســـــه تبّــــع ينـــــوف

يســـكنه القيـــل ذي معـــاهر   تخـــــر قدامـــــه الأنـــــوف

وقد قدم الهمداني خدمة جليلة لليمن ولأمته وللبشرية جمعاء بالتعريف بالمواطن التاريخية لقلم المسند الذي فكَّ رموزه، وذكر محافد اليمن وقصورها وأسدادها وهياكلها وآثارها، ووصفها وصفاً شيقاً وعلى حقيقتها الماثلة لذلك التاريخ المليىء بأمجاد تلك الحضارة. وأبرز باعتزاز طبيعة نظام الحكم في اليمن، القائم على الاختيار والانتخاب الذي تؤيده الشورى المشار إليها في سورة النمل لقصة ملكة سبأ مع سليمان.

الجغرافية الوصفية

وبرع الهمداني في الجغرافيا الوصفية، وعُدَّ من فحول الجغرافيين الذين تضلعوا من هذا العلم، ونقبوا في غرائبه ونوادره، فقد كتب في هذا العلم عن رؤية ومعرفة في كتابه صفة جزيرة العرب، في ما يخص جزيرته، وكتب عن غيرها من خلال ما قرأ ونقل عن غيره، وسجَّل في كتابه هذا جغرافية وصفية للطبيعة والسكان، فذكر طبائع سكان جزيرة العرب، وذكر مساكن هذه الجزيرة، ومسالكها مياهها وجبالها ومراعيها وأوديتها، ونسبة كل موضع منها إلى سكانه، ومالكه على حد الاختصار، وعلى كم تُجزَّأ هذه الجزيرة من جزء بلدي، وفرق عملي، وصقع سلطاني، وجانب فلوي، وحيز بدوي. وحدد بخطوط الطول والعرض موقع جزيرة العرب، وذكر أطوال مدن العرب المشهورة وعروضها. وبعد؛ فلعل في ما تقدم عرضه – على ما فيه من إيْجاز – ما هو كاف لرسم صورة تقريبية لأبرز ملامح فكر هذا العالم الموسوعي وآثاره العلمية والأدبية.

شعره

إليكم جزء من القصيدة الدامغة للحسن الهمداني والتي بلغت ستمائة بيت شعر:

أَلا يَــــا دَارُ لَــــوْلاَ تَنْطِقِيْنَــــا ... فَـإِنَّـــا سَائِلُــــونَ ومُخْبِرُونَـــــا
بِـمَا قَـدْ غَالَنَــا مِــنْ بَعْـدِ هِنْـدٍ ... ومَــاذَا مِــنْ هَوَاهَــا قَــدْ لَقِيْنَــا
فَضِفْنَــــاكِ الغَــــدَاةَ لِتُنْبِئِيْنَــــا ... بِهَــا أَيْــنَ انْتَــوَتْ نَبَــأً يَقِيْنَــا؟
وعَنْـكِ ، فَقَدْ نَـرَاكِ بَلِيْـتِ حَتَّـى ... لَكِــدْتِ، مِــنَ التَّغَيُّــرِ تُنْكَرِيْنَــا
أَمِـنْ فَقْـدِ القَطِيْـنِ لَبِسْـتِ هَـذا ... فَـلاَ فَقَـدَتْ مَرَابِعُـك القَطِيْنَـا
أَمِ الأَرْوَاحُ جَــرَّتْ فَضْـــلَ ذَيْـــلٍ ... عَـلَى الآيَـاتِ مِنْـكِ فَقَـدْ بَلِيْنَـا
عَلَيْهـا بِكُـــلِّ غَمَامَــةٍ سَجَمَــتْ ... تُــــرَجِّعُ بَـــعْدَ إِرْزَامٍ حَنِيْنَــــا
مِنْـكِ آيَـكِ مِثْـلَ سَطْـرٍ فَأَبْقَـتْ ... عَلَــى مَــدْفُونِ رَقٍّ لَــنْ يَبِيْنَــا
فَخِلْــتُ دَوادِيَ الوِلْــدَانِ هَــاءً ... إِلَى أُخْـرَى ، وخِلْـتُ النُّـؤْيَ نُوْنَـا
إِلَى شَـعْثِ الذَّوَائِــبِ ذِي غِـلالٍ ... يَبُــثّ النَّاظِرِيْــنَ لَــهُ شُجُونَــا
وسُـفْعٍ عَارِيَـاتٍ حَـوْلَ هَـابٍ ... شَـكَوْنَ القَـرَّ إِنْ لَـمْ يَصْطَلِيْنَـا
بِيْضًــا وحُمْــرًا تَــرَى أَقْفَاءهَــا ... وأَوْجُهَهَــا لِمَـا صُلِّـيْن جُوْنَـا
وبَدَّلَــكِ الزَّمَــانُ بِمِثْـلِ هِنْـدٍ ... لِطُــوْلِ العَهْــدِ أَطْـلاءً وعِيْنَـا
جَـوَابًـــا وإِلاَّ تَرْجِعِــــنَّ لَنَــــا ... فَـــإِنَّا بِالــجَوَابِ لَعَارِفُونَــــا
بِالحُمُــولِ وقَــدْ تَرَامَــتْ كَـأَنِّي ... أَمْثَـالِ النِّـعَاجِ وقَـدْ حُدِيْنَـا
وقَـدْ جَعَلُـوا مُطَـارِ لَهَـا شِمَـال ... أَكَمَــا جَعَلُــوا لَهَــا حَضَنًــا يَمِيْنَـا
لَقَـدْ جَهِلُـوا جَهَالَـةَ عَيْـرِ سُـوْءٍ ... فَخُلْـنَ ، وقَـدْ زَهَاهَـا الآلُ ، نَخْـلاً
إِذَا انْتُضِيْنَــا يَهَبْـــنَ الخَنْدِفِيْـــن ... بِسِــفْرٍ عَــاشَ يَحْمِلُــهُ سِنِيْنَــا
زُبَالَــةَ بَيْــنَ قَــوْمٍ فَأَضْـحَتْ مِـنْ ... بِمَسْلَكِهَـــا دَوالِـــحَ أَوْ سَفِيْنَــا
وظَــنَّ قَبِيْلُهَــا أَسْيَــافَ قَوْمِــي ... إِلَـــى عُلْيَـا خُزَيْــمَةَ يَعْتَزُونَــا
لَقَـدْ جُعِلُـوا طَعَـامَ سُيُوفِ قَوْمِـي ... فَمَــا بِســوَى أُولَـئِكَ يَغْتَذِيْنَـا

كَمَـا الجِـرْذَانُ للسِّنَّــورِ طُعْــمٌ … ولَيْــسَ بِهَائِــبٍ مِنْهَــا مِئِيْنَــا

كَمَـا جُعِلَــتْ دِمَاؤُهُــمُ شَرَابًـا … لَهُــن بِكُــلِّ أَرْضٍ مَـا ظَمِيْنَـا

فَلَو يَنْطِقْنَ قُلْـنَ : لَقَـدْ شَبِعْنَا … بِلَحْـمِ الخِنْدِفِيْــنَ كَمَـا رَوِيْنَـا

وأَضْـحَكْنَا السِّبَـاعَ بِمُقْعَصِيْهَـا … وأَبْكَيْنَـا بِهَـا مِنْهَـا العُيُونَـا

فَصَــارَ البَـأْسُ بَيْنَهُــمُ رَدِيْــدًا … لِعُدْمِهِــمُ مِــنَ الخَـلْقِ القَرِيْنَـا

كَأَكْـلِ النّارِمِنْها الـنَّفْسَ أَنْ لَمْتَجِـدْ … حَطَبًــا وبَعْــضَ المُوقِدِيْنَــا

إِذًا لَمْ يَسْكُــنِ الغَبْــرَاءَ خَلْــقٌ … مِـنَ الثَّقَلَيْــنِ عِلْمِــيْ مَـا بَقِيْنَـا

سِـوَانَا يَـالَ قَحْطَـانَ بْـنِ هُـوْدٍ … لأَنَّــا لِلْخَلاَئِــقِ قَاهِرُونَــا

ونَحْــنُ طِــلاَعُ عَامِرِهَــا ، وإِنَّــا … عَلَيْــهِ لِلــثَّرَاءِ المُضْعِفُونَــا

وصِرْنَــا تَضَــايَقَ فــي سِــوَاهُ … مِـنَ العَافِـي الخَـرَابِ لَهَـا سُكُونَـا

فَأَصْبَحَ مَـنْ بِهَـا مِـنْ غَـيْرِ قَوْمِـي … بِهَــا حَيْــثُ انْتَهَــوا مُتَخَفِّرِيْنَـا

كَأَنَّهُــمُ إِذَا نَظَــرُوا إِلَيْنَــا … لِذِلَّتِهِــمْ قُــرُوْدٌ خاسِئُونَــا

نَـذَمٌّ لَهُمْ بِسَـوْطٍ حَيْـثُ كَانُـوا … فَهُــمْ مَــادَامَ فِيْهِــمْ آمِنُونَــا

فَـإِنْ عَـدِمُوْهُ أَوْ عَدِمُـو مَقَامًـا … لِوَاحِــدِنَا فَهُــمْ مُتَخَطَّفُونَــا

ولَــوْلاَ نَبْتَغِــي لَهُــمُ بَقَــاءً … لَقَــدْ لاقَــوا بِبَطْشَتِنَــا المَنُونَـا

فَكَانُــوا أَوِ اسْــتَحْيَوا عَــلَى ذُلٍّ … كَأَمْثَــالِ الــنِّعَالِ لِوَاطِئِينَــا

ولَكِــنَّ الفَتَــى ، أَبَــدًا ، تَــرَاهُ … بِمَــا هُــوَ مَالِــكٌ حَدِبًــا ضَنِيْنَـا

فَـرُوِّيَ عَظْـمُ يَعْـرُبَ فـي ثَـرَاهُ … مِــنَ الفَــرْغَيْنِ وَاكِفَــةً هَتُوْنَــا

أَبِي القَرْمَيــنِ كَهْــلاَنٍ أَبِيْنَــا … وحِمْــيَرَ عَمِّنَــا وأَخِــي أَبِيْنَــا

وكُــلَّ لَيْــثٍ كـما نَجَـلَ المُلُــوْكَ … شَـدِيْدِ البَـأْسِ ، مَـا سَكَـنَ العَرِيْنَـا

ولَكِــن قَــدْ تَــرَى مِنْــهُ إِذَا مَــا … تَعَصَّى السَّيْـفَ ذَا الأَشْبَـالِ دُوْنَـا

وذَاكَ إِذَا نُسِبْنَــا يَــوْمَ فَخْــرٍ بِــهِ … يَنَــالُ بِبِعْــضِهِ العُلْــيَا أَبُــونَا

صِرْنَــا لأَدْنَــى مَــا حَبَانَــا … مِــنَ المَجْــدِ الأَثِــيْلِ مُحَسَّدِيْنَــا

تَمَنَّــى مَعْــشَرٌ أَنْ يَبْلُغُــوهُ … فَأَضْحَــوا لِلسُّــهَا مُتَعَاطِيِيْــنَا

وأَهْل الأَرْضِ لَوْ طَالُوا وطَالُوا ... فَلَيْسُوا لِلْكَوَاكِبِ لامِسِيْنَا

فَلَـمَّا لَمْ يَنَالُوا ما تَمَنَّوا ... وصَارُوا للتَّغَيُّظِ كاظِمِيْنَا

أَبَانُوا الحِسْدَ والأَضْغَان مِنْهُمْ ... فَصَارُوا للجَهَالَةِ سَاقِطِيْنَا

وغَرَّهُمُ نُبَاحُ الكَلْبِ مِنْهُمْ ... وظَنُّونَا لِكَلْبِ هَائِبِيْنَا

وإِنْ تَنْبَحْ كِلابُ بَنِيْ نِزَارٍ ... فَإِنَّا للنَّوَابِحِ مُجْحِرُونَا

ونُلْقِمُهَا ،إذا أَشْحَتْ ، شَجَاهَا ... لِيَعْدِمْنَ الهَرِيْرَ إِذَا شَحِيْنَا

ونَحْن لِنَاطِحِيْهِمْ رَعْنُ طَوْدٍ ... بِهِ فُلَّتْ قُرُونُ النَّاطِحِيْنَا

ولَوْ عَلِمُوا بِأَنَّ الجَوْرَ هُلْكٌ ... لَكَانُوا فِي القَضِيَّةِ عَادِلِيْنَا

ولَيْسَ بِشَاهِدِ الدَّعْوَى عَلَيْهَا ... ولا فِيْهَا يَفُوزُ الخَاصِمُونَا

ولَوْ عَلِمُوا الَّذِي لَهُمُ ومَاذَا ... عَليْهِمْ مِنْهُ كَانُوا مُنْصِفِيْنَا

ولَوْ عَرَفُوا الصَّوَابَ بِمَا أَتَوْهُ ... لَمَا كَانُوا بِجَهْلٍ نَاطِقِيْنَا

وكَانُوا لِلْجَوَابِ بِمَا أَذَاعُوا ... عَلَى أَخْوَالِهِمْ مُتَوَقِّعِيْنَا

فَكَمْ قَومٍ شَرَوا خَرَسًا بِنُطْق ... لمُرْغِمِهِ الجَوَابَ مُحَاذِرِيْنَا

فَمَا وَجَدُوا رَعَاعًا يَوْمَ حَفْلٍ ... ولا عِنْدَ الهِجَاءِ مُفَحَّمِيْنَا

ولا وَجَدُوا غَداةَ الحَرْبِ عُزْلاً ... لِحَدِّ سُيُوفِهِمْ مُتَهَيِّبِيْنَا

ولَكِنْ ، كُلَّ أَرْوَعَ يَعْرُبِيٍّ ... يَهُزُّ بِكَفِّهِ عَضْبًا سَنِيْنَا

وأَدْنَى كَيْدِهِ فِيْهَا كَمِيْنَا ... ودَامِغَةٍ كَمِثْلِ الفِهْرِ تَهْوِي

تَرُدُّ الطُّوْلَ للأَسَدِيِّ عَرْضًا ... وتَقْلِبُ مِنْهُ أَظْهُرَهُ بُطُونَا

فَيَا أَبْنَاءَ قَيْذَرَ عُوْا مَقَالِي ... أَيَحْسُنُ عِنْدَكُمْ أَنْ تَشْتُمُونَا؟

ونَحْنُ وُكُوْرُكُمْ فِي الشِّرْكِ قِدْمًا ... وفِي الإِسْلام نَحْنُ النَّاصِرُونَا

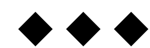
ونَحْنُ لِعِلْيَةِ الآبَاءِ مِنْكُمْ ... بِبَعْضِ الأُمَّهَاتِ مُشَارِكُونَا

كَمَا شَارَكْتُمُ فِي حِلِّ قَومِي ... بِحُورِ العِيْنِ غَيْرَ مُسَافِحِيْنَا

فَلاَ قُرْبَى رَعَيْتُمْ مِنْ وكَلَّفْتُمْ ... ولا لِلْعُرْفِ أَنْتُمْ شَاكِرُونَا

كُمَيْتكُمُ هِجَاءً فَبَاحَ بِمَا ... لِيَعْرُبَ بالقَصَائِدِ مُعْتَدِيْنَا

قَرِيْـــــبٍ تَمَنَّـــــى إِذْ تَــــــوَارَى طِـــرِ مَّـــاحٌ بِمُـــلْحَدِهِ دَفِيْـــنَا
وكَـانَ يَعِـزُّ ـ وَهْـوَ أَخُـو حَيَـاةٍ عَلَـــيْهِ الـــذَّمُّ لِلْمُتَقَحْطِنِيْـــنَا
ولَسْـتُمْ عَادِمِيْـنَ بِكُـلِّ عَصْرٍـ لَـــنَا إِنْ هِجْـــتُمُ مُتَخَمِّطِيْـــنَا
وسَـوْفَ نُجِيْبُـهُ ، بِسِـوَى جَـوابٍ أَجَـابَ بِـــهِ ابْـنُ زِرٍّ ، مُوْجِزِيْـنَا
وغَـيْرِ جَـوَابِ أَعْـوَرَ كَلْـبَ إِنَّـا مِـــنَ المَجْـدِ المُؤَثَّـلِ مُوْسَعُونَـا
وقَـدْ قَصَرَا ولَمَّـا يَبْلُغَـا مَـا أَرَادَا مِـــنْ جَـــوابِ الفَاضِلِيْـــنَا
وكُثِّـرَ حَشْـوُ مـا ذَكَـرُوا ولَمَّـا يُصِيْـــبَا مَقْـــتَلاً لِلآفِكِيْـــنَا
وخَـيْرُ القَـوْلِ أَصْدَقُـهُ كَمَـا إِنْـنَ شَـــرَّ القَـــوْلِ كِـــذْبُ الكَاذِبِيْـــنَا
ونَحْـنُ مُحَكِّمُـوْنَ مَعًـا وأَنْتُـمْ بِـــمَا قُلْنَـــا وقُلْتُـــمْ آخَرِيْـــنَا



11 ـ ابن سينا

الاسم : الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا.

تاريخ الميلاد : شهر صفر سنة 370هـ.

مكان الميلاد :قرية أفشنة ـ بُخارى على نهر زارفشان

(جمهورية أوزبكستان)

تاريخ الوفاة : يوم الجمعة الأولى من رمضان سنة428هـ.

مكان الوفاة : همذان ـ (دفن في سفح جبل همذان) عد صلاة المغرب.

سبب الوفاة : القولنج.

الجنسية : فارسي.

المهنة : عالم رياضيات ـ طبيب ـ عالم فلك ـ وزير.

موجز السيرة

أبصر أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا النور في شهر صفر عام 370هـ ـ الموافق أغسطس 980م في قرية «أفشنة» بإحدى ضواحى بخارى ـ القريبة من قرية «خرم شين» ويسميه الغربيون «أفسينا» ، وكان والده عبد الله يعمل جابياً في بخارى عاصمة الحكومة السامانية في عهد السلطان نوح بن منصور، حيث عاش حياته ورعا أمينا، أما أمه فهى إحدى فتيات القرية الذكيات الجميلات تدعى ستارة أى« نجمة» عاش معها والده فترة من الزمن في مدينة «بلخ» قبل انتقالهما إلى بخارى. ولما أكمل الفتى ابن سينا العاشرة من عمره حفظ علوم القرآن والأدب على يد معلمه إسماعيل الزاهد[84].

كان والد الشيخ الرئيس من « بلخ » انتقل إلي « بخاري » في أيام « نوح ابن منصور سلطان بخاري » واشتغل والياً في أحد قراها « خرميشن » وبعد ذلك رجع إلى « بخاري » حيث تولي تهذيب ولده فأحضر معلماً ليدرسه القرآن الكريم والأدب وعلم النحو وصادف أن جاء إلى«بخاري »عبد الله الناتلي ونزل في دار الشيخ الرئيس فاستفاد منه كثيراً .ثم اخذ ابن سينا يقرأ الكتب بنفسه ويطالع الشروح فقرأ كتب « هندسة إقليدس » وكتب « المجسطي» والطبيعيات والمنطق وما وراء الطبيعية فخرج من ذلك واقفاً علي دقائق الهندسة بارعاً في الهيئة محكماً علم المنطق مبرزاً في علم الطبيعية وعلوم ماوراء الطبيعة ولم يكتف بذلك بل عكف علي دراسة الطب .

وقراءة الكتب المصنفة فيه .وبعد وفاة والده – وكان إذ ذاك في الثانية والعشرين من عمره ترك « بخاري » ورحل إلي « جرجان » حيث كان يقطن فيها رجل اسمه أبو محمد الشيرازي ، اشتهر بميوله وشغفه بالعلم فتعرف إليه « ابن سينا » وتوثقت بينهما وشائج الصداقة حتى اشتري « الشيرازي »للشيخ داراً في جواره وأنزله فيها . وفيها ألف الشيخ الرئيس كثيراً من مؤلفاته القيمة مثل : «كتاب القانون» الذي هو من أهم المؤلفات الطبية[85].

(84) يوسف الملا : رواد الحضارة والعمران ، دار الشروق العربي ، بيروت ـ لبنان .ط1 سنة 1998م ص49.

(85) تراث العرب العلمي : ص 322 ـ 332 .

جمع ابن سينا بين الكثير من العلوم الدينية والدنيوية فكان عميق الفهم والإطلاع على علوم المنطق والفلسفة والطب والطبيعة والرياضيات ولأخلاق والفقه حتى أصبح أعظم علماء الإسلام ، ويقال أن ابن سينا لما بلغ الثانية عشرة كان فتى فى بخارى على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه.

كما درس علوم الرياضيات كالجبر والحساب والهندسة والمقابلة على يد أستاذه محمود المساح. كما تعلم العلوم الطبية على يد أستاذيه أبى منصور الحسن بن نوح القمرى وأبى سهل عيسى بن يحى المسيحى الجرجانى. ظل بن سينا وزيرا لمدة 6 سنوات فى بداية حياته لدى الأمير شمس الدولة بن فخر الدولة البويهى (387هـ ـ 412هـ) همذان ، وعندما تولى ابنه « تاج الملك» أمور الولاية وشى بابن سينا ، فغضب عليه فسجنه عدة أشهر فى قلعة « فردخان» ففر من معتقله ورحل إلى أصفهان، وأخذ يتنقل بين قصور الأمراء ، ويشتغل بالتعليم والسياسة وتدبير شئون الدولة . وقد وضع بعض مؤلفاته فى السجن كبعض أجزاء كتاب الشفاء كما ألف بعض كتبه وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، مثل كتاب « القانون » فى الطب الذى يعتبر موسوعة طبية ، وبلغت مؤلفات الشيخ الرئيس بن سينا 230 مجلداً.كان ابن سينا إذا تحير فى مسألة أن يتردد إلى الجامع ويصلى ويبتهل إلى مبدع الكل حتى يتفتح له مغلقها ويتيسر عسيرها. ولم يعهد منه أنه ضاق بمسألة من المسائل فى غير الفلسفة الإلهية .أما العلوم الأخرى فكان يجيدها ويزيد عليها وينقح ماحتاج إلى التنقيح منها.

وجاء فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء مايلى[86]: هو أبو علي الحسين بن عبد اللّه بن علي بن سينا وهو إن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر فإنه قد ذكر من أحواله ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه ولذلك إننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه نقله عنه أبو عبيد الجوجزاني قال قال الشيخ الرئيس

(86) عيون الأنباء 2 : 1 ـ 20 .

إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقربة يقال لها خرميثن من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقربها قرية يقال لها أفشنة وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن وولدت منها بها ثم ولدت أخي ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضى مني العجب وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين وبعد من الإسماعيلية وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعه وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني أيضاً إليه ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه ثم جاء إلى بخارى أبو عبد اللهّ النائلي وكان يدعى المتفلسف وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد وكنت من أجود السالكين وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به ثم ابتدأت بكتاب إيساغوجي على النائلي ولما ذكر لي حد الجنس أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من شغلي بغير المعلم وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب إقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره ثم انتقلت إلى المجسطي ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي النائلي تول قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرضها عليّ لأبين لك صوابه من خطئه وما كان الرجل يقوم بالكتاب وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه إلى وقت ما عرضته عليه ومفهمته إياه ثم فارقني النائلي متوجهاً إلى كركانج واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعي والإلهي

وصارت أبواب العلم تنفتح علي ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وأنا مع ذلك اختلف إلى الفقه وأناظر فيه وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ورتبتها في تلك الظهور ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق وتيسر المتعسر وكنت أرجع بالليل إلى داري واضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلي قوتي ثم أرجع إلى القراءة ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي ثم عدلت إلى الإلهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به وأيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين وبيد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة من هذا العلم فقال لي اشتر مني هذا فإنه رخيص أبيعه بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه واشتريته فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب

وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى كان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له مرض أتلج الأطباء فيه وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته فسألته يوماً الأذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجب إليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعد فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسين العروضي فسألني أن أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم فصنفت له المجموع وسميته به وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي خوارزمي المولد فقيه النفس متوحد في الفقه والتفسير والزهد مائل إلى هذه العلوم فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة وصنفت له في الأخلاق كتاباً سميته كتاب البر والإثم وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعر أحداً ينسخ منهما ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعتني الضرورة إلى الإخلال ببخاري والانتقال إلى كركانج وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم وزيراً وقدمت إلى الأمير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك وأثبتوا لي مشاهرة دارة بكفاية مثلي ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى نسا ومنها إلى باورد ومنها إلى طوس ومنها إلى شقان ومنها إلى سمنيقان ومنها إلى جاجرم ....إلخ .

عاش العالم الجليل ابن سينا حياته عبقريا فذاً وأخرج للعالم أعظم المؤلفات العلمية التى ظلت تدرس فى جامعات أوربا ، ولم يلبث أن غلبه المرض على الخوف والحذر فنفض يديه من الدنيا واغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه وجعل يختم كل ثلاثة ختمة[87]. وشاءت إرادة البارى عز وجل أن يلبى « الشيخ الرئيس» نداء ربه فى عام 428هـ ـ 10137م ودفن فى همذان . وبذلك انطوت آخر صفحة مشرقة من حياة عالمنا الجليل خطت بمداد العزة والفخار إلى الأبد[88].

مؤلفاته[89]:

1 ـ كتاب القانون فى الطب .

2 ـ كتاب الشفاء (28 مجلدا).

3 ـ كتاب المختصر للمجسطى.

4 ـ كتاب الحاصل والمحصول.

5 ـ كتاب المجموع.

7 ـ كتاب الأرصاد الفلكية.

8 ـ كتاب النجاة.

9 ـ كتاب القولنج.

(87) ابن سينا : القانون فى الطب ، تحقيق سماح سامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2007 . ص18 .

(88) رواد الحضارة والعمران : ص 52 .

(89) السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين : ص 156 ـ 160 .

– عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه : دار المعارف ، القاهرة ط15 ، 2001 . ص 94

– الأغاني : 164 .

– تراث العرب العلمي : ص 330 ـ 332 .

10 ـ كتاب لسان العرب.

11 ـ كتاب الأجرام السماوية.

12 ـ كتاب الإشارة إلى علم المنطق.

13 ـ كتاب أقسام الحكمة.

14 ـ كتاب النهاية واللانهاية.

15 ـ كتاب فى أبعاد الجسم غير ذاتية له.

16 ـ كتاب مختصر إقليدس.

17 ـ كتاب الأرثماطيقى والموسيقى.

18 ـ كتاب المدخل إلى صناعة الموسيقى.

19 ـ كتاب فى كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعى.

20 ـ كتاب المجسطى.

21 ـ كتاب الحدود.

22 ـ كتاب مختصر فى أن الزاوية التى من المحيط المماس لاكمية لها.

23 ـ كتاب الإشارات والتنبيهات.

24 ـ كتاب الحكمة الشرقية.

25 ـ كتاب الإنصاف.

26 ـ كتاب تدابير الجند والمماليك والعساكر وأرزاقهم.

27 ـ كتاب إبطال إحكام النجوم.

28 ـ رسالة الآلة الرصدية.

29 ـ رسالة فى غرض قاطيغوريا.

30 ـ مقالة فى خواص خط الاستواء.

31 ـ مقالة فى هيئة الأرض من السماء وكونها فى الوسط .

32 ـ خطبة فى أنه لايجوز شيء واحد جوهراً أو عرضاً.

ولنأخذ أراجيز ابن سينا مثالا ،فلابن سينا سبع أراجيز في الطب هي:

ا- أرجوزة في التشريح مطلعها:

بدايتها: الحمد الله على تهذيبي وعاصمي من أمم تهذي بي

2- أرجوزة في تدبير الصحة مطلعها:

بدايتها: الحمد الله اللطيف الكافي الواحد الفرد الحكيم الشافي .

3- أرجوزة في الوصايا الطبية 71 بيتا مطلعها:

بدايتها: أول يوم تنزل الشمس الحمل تشرب ماء فاترا على عجل

4- أرجوزة في المجربات الطبية في خمس وثلاثين ومائة بيت مطلعها:

بدايتها: بدأت باسم الله في النظم الحسن اذكر ما جربته طول الزمن

5- أرجوزة في الفصول التي فيها تناول الطعام مطلعها:

بدايتها: يقول راجي ربه ابن سينا ولم يزل بالله مستعينا

6- أرجوزة في حجر الذخيرة وتسمى أيضا أرجوزة في ألباه مطلعها:

بدايتها: يا سائلي عن وجع في الوسط ونقطة تأتي له لم تخطى

7- أما الأرجوزة السابعة أشهر الأراجيز وأطولها والمسماة بألفية ابن سينا في الطب ولو أنها تحتوي على ألف وثلاثمائة وعشرين بيتا وموضوعها حفظ الصحة :

بـــدايتها: الطـــب حفـــظ صـــحة بـــرء مـــرض ومـــن ســـبب بـــدن عنـــه عـــرض ونلاحظ أن ابن سينا ضمن المطلع أقسام الطب الخمسة- الأسباب (الايتولوجيا) وعلم المرض (الباثولوجيا)، والأعراض (عنه عرض) والوقاية (حفظ الصحة) والعلاج (برء).

شعره

قال الشيخ الرئيس فى تعلق النفس بالبدن واستئناسه به ومفارقته إياه[90]:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وترفع
حجوبة عن كل مقلة ناظر ... وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما استأنست ... أنفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بعراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... من ميم مركزها بذات الأجرع
غلقت بها هاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكى إذا ذكرت عهوداً بالحمى ... بمدافع تهمى ولما تقطع
إذ عاقها شرك الكثيف وصدها ... قفص عن الأوج الفسيح المربع
وتظل ساجمة على الدمن التى ... درست بتكرار الرياح الأربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف ... عنها حليف الدب غير مشيع
سمعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ... مما ليس يدرك بالعيون الهجع
وعدت تغرد فوق ذروة شاهق ... سام إلى قرع الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة ... طويت عن العبد اللبيب الأورع
هبوطها إن كان ضربه لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتكون عالمة بكل حقيقة فى ... العالمين وخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يطلع

(90) القزوينى : عجائب المخلوقات.

وينسب لابن سينا أرجوزة في المجربات في الأحكام النجومية والقواعد الطبية مطلعها:

أبــدأ باســم الله في نظــم حســن　　　أذكــر ماجربــت في طــول الــزمن

وحاجى خليفة في كشف الظنون، يقرر أن أرجوزة ابن سينا تبدأ هكذا[91]:

الطــب حفــظ صــحة بــرء مــرض　　　مــن ســبب في بــدن منــه عــرض

أما في المخطوط الذى في كتاب عيون الأنباء (تحقيق الدكتور عامر النجار) فأوله[92]:

قــال راجــى ربــه ابــن ســينا　　　ولم يــــزل بــــالله مســـتعينا

مــا لشــيخ في مزاجــه كالطفــل　　　كـــلا ولا الصـــبى لكهـــل

والـروح لا تشـبهها أرض الـيمن　　　ولا لبغـــداد مـــزاج كعـــدن

ولا ربيـــع الوقـــت كـــالخريف　　　ولا الشـــتا في الطبـــع كالصـــيف

ثم يتحدث المؤلف فيها عن الأمزجة والفصول وينتهى بالقول في الأغذية وتدابير الطعام والشراب:

فالمـــاعز احـــذره ولحـــم البقـــر　　　والبقـر والعجـل الـرديُّ والجُـزُر

وكـــل رطـــب بـــارد تجنبـــه　　　ولا تهـــون فيـــه واحـــذر تقربـــه

عرض ابن سينا لحسد الحسّاد من معاصريه وكم عانى ابن سينا من ذلك، مصدر حسدهم له وحقدهم عليه ، نبوغه المفرط في شتى مناحى المعرفة الإنسانية. استمع إلى مايقوله شعراً،مشيراً في إحدى قصائده إلى نزعات الحسد والحقد التى تعرّض لها وموقفه منها:

---

(91) كشف الظنون : لحاجى خليفة .

(92) عيون الأنباء : لابن أبى أصيبعة ، تحقيق د/ عامر النجار الهيئة المصرية2001م، ج2 ص 263.

- الوافى بالوفيات: 12 : 391 .

- معجم الأدباء ج 3 رقم 375 ص 1070 .

- تاريخ الحكماء: 12 : 42 .

- أشعار الخليع : 55

- روضة الجنات : 3 : 170 .

عجباً لقوم يحسدون فضائلي ... ما بين غيّابي إلى عذّالي
واستوحشوا من نقصهم وكمالي ... عتبوا على فضلي وذموا حكمتي
إني وكيدهم وما عتبوا به ... كالطود يحقر نطحة الأوعال
وإذا الفتى عرف الرّشاد لنفسه ... هانت عليه ملامة الجُهّال

وشكا إليه الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدا على جبهته ونظم شكواه شعراً نفذه إليه:

وهو نبعة الشيخ مولانا وصاحبه ... وغرس إنعامه بل نشء نعمته
فامنن عليه بحسم أداء مغتنماً ... شكر النبي له مع شكر عترته

فأجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته ... من الأذى ويعافيه برحمته
أما العلاج فإسهال يقدمه ... ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف ... من دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ... ولا يدني إليه شراباً من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصراً ... فيه الخلاف مدافاً وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ... ولا يصيحن أيضاً عن سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى ... آثار خير ويكفي أمر علته

ومن قوله[93]:

غايـة الحـزن والسـرور انقضـاء   مـا لحـي مـن بعـد ميـت بقـاء
غـير أن الأمـوات مـروا فـأبقوا   غصصـاً لا تسـيغها الأحيـاء
نتمنـى وفي المنـى يـذهب العمـر   فنغـدوا بـها تسرـ نسـاء
صـحة المـرء للسـقام طريـق   وطريـق الفنـاء هـذا البقـاء
مـا لقينـا مـن شر دنيـا فـلا كانـت   ولا كـان جودهـا والعطـاء
جودهـا راجـع إليهـا فمهـما   تهـب الصبـح تسـترد المسـاء
ليـت شـعري حلـماً تمـر بنـا   الأيـام أم ليـس يعقـل الأشـياء
قـبح الله لـذة قـد لـو تولـت   نالهـا الأمهـات والآبـاء
نحن لولا الوجود لم ندر ما الفوت   فإيـجادنا علينـا بـلاء
يـدرك المـوت كـل حـي ولـو   أخفته فـي اوج حصنها الجوزاء
إنـما النـاس قـادم اثـر مـاضٍ   بـدء قـوم لآخريـن انتهـاء
مـوت ذا العـالم المؤيـد بـالنطق   وذا السـارح البهيـم سـواء
لا مثقـى بفقـده تبسـم الأرض   ولا للتقـي تبـكي السـماء



(93) ابن سينا، الحسين بن علي. القانون في الطب، دار صادر، بيروت، ثلاثة أجزاء .

- لسان الميزان 2 : 291 .

- النجوم الزاهرة : 5 : 25 .

- إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص 272 .

11 ـ خالد بن يزيد

الاسم : خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب.

تاريخ الميلاد : 14 هـ ـ 635 م.

مكان الميلاد : مكة المكرمة.

تاريخ الوفاة : 85هـ ـ 704م.

* يوجد اختلاف فى تاريخ الوفاة

مكان الوفاة : مكة المكرمة.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية: حجازى (السعودية حاليا) .

المهنة : عالم ـ كيمياء ـ فلك ـ شاعر.

موجز السيرة

هو خالدُ بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف وكنيته « أبا هاشم » (94) .

(94) ابن قتيبة: عيون الأخبار، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1925. 1/ 2،199/ 3،42/ 130.

- الذهبي : العبر ، 1/ 105.

- ابن حبيب : (المحبّر)445،67،59.

- البخاري: التاريخ الكبير،3/ 181،رقم (613). =

= - تاريخ الطبري:5/ 461.، 6،500/ 7،148/ 263.

- تاريخ خليفة (259) ،

- الجرح والتعديل للرازي:3/ 357.

- الولاة والقضاة للكندي: 42.

- مروج الذهب للمسعودي : 3311،1962،1957.

- الفهرست لابن النديم ، 354.

- أسد الغابة لابن الأثير1/ 590.رقم 1405.

- الكامل لابن الأثير:4/ 5،،154،125،87/ 408.

- وفيات الأعيان : لابن خلكان.2/ 224.،3/ 7،265/ 315.

- تهذيب الكمال للمزى8/ 201.رقم 1615.

- سير أعلم النبلاء للذهبي : 4/ 382،رقم 154.

- تجريد أسماء الصحابة: 1/ 1551.

- الكاشف للذهبي: 1/ 210رقم 1376.

- تاريخ الإسلام للذهبي : (81 ـ 100) ، (55 ـ 58) ، رقم 23.

- معجم الأدباء :ج13(64 ـ66) رقم 3971.

- البداية والنهاية لابن كثير (9/ 60) .

- مرآة الجنان لليافعى : 1/ 176.

اهتم بعلم الصِّنعة (الكيمياء)، فجلب من مصر العلماء ليترجموا العلوم الكيميائية ، والطبية من اليونانية والقبطية إلى العربية . وكان حقا أول الرُّواد المسلمين فى مجال الكيمياء، فقد أعطاها جُلَّ عنايته واستخدمها استخداما تطبيقيا، إذ استثمرها فى صناعة بعض الأدوية خدمة للطب. كما أنه أحضر من الإسكندرية عددا من العلماء إلى دمشق ليتولوا الترجمة من جهة والقيام بتجارب عملية من جهة أخرى، لعلهم يحصلون بها على الذّهب من النحاس . يقول الجاحظ في البيان والتبيين: «كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا وشاعرًا، كما كان فصيحا جامعا، جيد الرأي، كثير الأدب، وكان أوَّل من تُرْجمت له كتب النجوم والطب والكيمياء»[95].

أما «ابن النديم» فقد رأى أن شعر خالد نحو خمسمائة ورقة. يقول صاحب الفهرست: (قال ابن إسحاق: الذي عُني بإخراج كتب القدماء في الصنعة، خالد بن يزيد بن معاوية) وكان خطيبا، شاعرا، فصيحا، حازما، ذا رأي، وهو أوَّل من تُرجِمَ له كتب الطب والنجوم والكيمياء، وكان جواداً.

– فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (4/ 126)، (255).

– الكامل فى الأدب للمبرد (1/ 349،335) .

– الجمهرة للعسكري: (2/ 339) .

– مجمع الأمثال للميداني .(2/ 114).

– تهذيب التهذيب لابن حجر: (3/ 128،رقم 234).

– التقريب لابن حجر : (1/ 220) .

– الإصابة لابن حجر (1/ 469) رقم 2362).

– شذرات الذهب لابن العماد (1/ 96) .

– النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (1/ 221) .

– كشف الظنون لحاجى خليفة (1254) .

– الأعلام للزر كلى :

– معجم المؤلفين لكحّالة : 4/ 98.

(95) البيان والتبيين. الجاحظ. ج1 ، ص 328.

يقال أنه قيل له: لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذلك إلا أن أُغني أصحابي وأخواني، إني طمعتُ في الخلافة فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أُحوج أحدًا عرفني يوما أو عرفته، إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة. ويقال والله أعلم أنه صحَّ له عمل الصناعة .. وله في ذلك عدة كتب ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات، كتاب الصحيفة الكبير، كتاب الصحيفة الصغير، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة[96]. ويورد البلاذري في أنسابه بيتين من شعر خالد يقول فيهما:

سَرَحْتُ شفاهتي وأرحتُ حلمي ... وفيَّ على تحلُّميَ اعتراضُ
على أني أجيبُ إذا دعتني ... إلى حاجاتِها الحدقُ المراضُ[97]

أما المؤرخ «المسعودي» فيتحدث في (مروج الذهب) عن اشتغال خالد بالكيمياء، ويذكر ثلاثة أبيات من قصيدة في الكيمياء[98]. ويذكر د. «فؤاد سيزكين» في «تاريخ التراث العربي» أن آثار خالد الشعرية: ديوان النجوم، فردوس الحكمة، والقصائد في الكيمياء، وقصيدة كيميائية، ومنظومة في الكيمياء، وخمس قصائد، والقصيدة الكيمائية[99]. أما الموسوعة العربية الميسرة فتتحدث عن خالد قائلة: «خالد بن يزيد بن معاوية الأموي (ت 704 م) حكيم قريش وعالمها. اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأتقنها، وألَّفَ فيها رسائل، بويع بالخلافة بعد موت أبيه، فأقام ثلاثة أشهر

(96) الفهرست. ابن النديم. تحقيق: رضا تجدد، ص 419.

(97) أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.، ج4، قسم 2 ، ص 69.

(98) مروج الذهب. المسعودي. ج 8 ، ص 176.

(99) تاريخ التراث العربي. د. فؤاد سزكين. ت: عبد الرحمن بن عبد الله حجازي، الرياض : جامعة الملك سعود، 1406 هـ/ 1986م، مج 4 .

ثم تخلَّى عن الخلافة لينصرف إلى العلم. يقال إنه أوَّل من نقل إلى العربية من لغة أخرى، إذ أمر بإحضار فلاسفة يونانيين ينزلون مصر وقد تفصَّحوا بالعربية، ثم كلفهم نقل الكتب من اليونانية والقبطية إلى العربية، فترجموا كتبًا في الطب والنجوم والكيمياء، له شعر»[100]. ويقول د. جلال شوقي عنه: «إنه أوَّل من أنشأ ما نعرفه اليوم بالنظم التعليمي، حيث سجل معارفه في علم الصنعة في قوالب شعرية»[101] ويضيف أن ديوانه يشتمل على 2903 أبيات، وتبدأ القصيدة الأولى من الديوان بالأبيات التالية[102]:

يا طالبا بوريطس الحكماء ساء   يامنطقا حقا بغير خفاء

وقد درس خالد الكيمياء على يد عالم مسيحي من أهل الإسكندرية يُدعى «مارينوس» Marinos ، حيث كان من حواريي الكيميائى السكندرى المعروف «أسطيفانوس» Staphenosحيث كشف له «مارينوس» عن بعض أسرار هذا العلم، وخصوصا مايتعلق منها بتحويل النحاس إلى ذهب!.وكان خالد من الحكمة والفطنة والذكاء والفصاحة والجرأة وضبط النفس، مما قيل عنه حكيم آل مروان، وأن بنى أميّة عجزت عن أن تنجب مثله. ومن دلائل حكمته أنه أراد أن يبعد فتنة كادت أن تنشب بين المسلمين فتنازل عن الخلافة لعبد الملك بن مروان لا بسبب ضعف منه، وإنما تبرماً بها وعزوفاً عنها، إضافة إلى حقن دماء المسلمين. لقد نسب إلى خالد بن يزيد أنه تحدث عن مسألة تحلية ماء البحر أمام الخليفة عبد الملك بن مروان إذ ذكر الماء أمامه فقال خالد منه من ماء السماء ومنه ماستقيه الغيم من البحر فى عذبه البرق والرعد ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات وأما النبات فما كان من ماء السماء وقال إن شئت أعذبت ماء البحر .... فأمر بقلال من ماء ووصف كيف يصنع حتى يعذب. ويمثل خالد بن يزيد ظاهرة مبكرة لمحاولة وضع القاعدة للحركة العلمية العربية ليس فقط فى مجال العلوم القديمة كما يعتقد البعض بل فى العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه،

(100) الموسوعة العربية الميسرة. ج1 ، ص 749.

(101) العلوم العقلية في المنظومات العربية ـ دراسة وثائقية ونصوص. د. جلال شوقي. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) 1990م، ص 529.

(102) السابق، ص 530 .

وفى اللغة والأدب والتاريخ ، واشتهر خالد بنشر الشعر التعليمى وخاصة فى الكيمياء. وذكر ابن النديم أنه رأى نحو خمسمائة ورقة. وقد وصف «فاضل أحمد الطائي» مخطوطا محفوظا فى مكتبة المتحف العراقي وعنوانه « ديوان خالد بن يزيد بن معاوية فى الصنعة» فقال أنه يقع فى 116 ورقة أى فى 232 صفحة تحتوى الواحدة منها على اثنى عشر بيتا . ويبدوا أن هذا الديوان قد عرف أيضا بعناوين أخرى مثل فردوس الحكمة فى الكيمياء ويقول عنه حاجى خليفة أنه منظومة فى قوافى مختلفة وعدد أبياتها ألفان وثلاثمائة وخمسة عشر بيتا. ويروى «الطائى» إن مستلزمات وزن الشعر والقافية أدت إلى بعض الغموض فى الديوان وأن مجمل مايذكره خالد فى مجال الكيمياء يقتصر على أسماء الفلزات واللافلزات والمركبات التى عرفتها الطبيعة وبعض العمليات الكيميائية مثل الصهر . إن أى محاولة لتحديد بدأ خالد الإهتمام بدراسة الكيمياء وجمع مؤلفاتها وترجمتها تصطدم بصعوبة بالغة نظرا لتباعد الروايات والآراء عن بعضها. فإذا أخذنا برأى «لامانس» فى كون قد تعلم الصنعة على يد «مارينوس» فى حياة أبيه، وهذا الرأي يتعارض مع رواية منقولة عن غالب مولى خالد ومفادها أنه إهتم بالصنعة قبل أن يلتقى مريانوس فى حياة أبيه. وإنّ السبب فى جعلنا أن خالد من علماء علم الفلك بجانب علم الكيمياء هو اهتمامه بالنجوم كما يظهر فى مقدمة مؤلفاته.

*** مؤلفاته: هذه القائمة أعدها فؤاد سزكين**[103] :

1 ـ ديوان النجوم وفردوس الحكمة، وتوجد مخطوطاته فى إسطنبول وطهران.

2 ـ رسالة فى الكيمياء، وتوجد مخطوطة منها فى القاهرة.

3 ـ رسالة فى الصناعة الشريفة وخواصها ، وتوجد فى رامبورا فى الهند.

4 ـ القصيدة فى الكيمياء.

5 ـ المنظومة فى الكيمياء.

6 ـ وصية خالد إلى ابنه.

7 ـ القول المفيد فى الصنعة الإلهية، توجد مخطوطة منها فى مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26189.

8 ـ كتاب الأسقطس ، توجد مخطوطة منه فى مجموعة مخطوطات برجشزاسر.

9 ـ خمس قصائد ، توجد مخطوطة فى طهران.

10 ـ القصيدة الكيميائية.

11 ـ مسائل خالد إلى الراهب مريانوس.

12 ـ رسائل مختلفة.

(103) قطوف من سير العلماء : مصدر سابق ج3، ص 40

– تاريخ العلوم الأساسية فى الحضارة العربية والإسلامية: الهيئة القومية للبحث العلمى . طرابلس ـ ليبيا ط1 سنة 1996م ص 691:694.

– العلوم العقلية فى المنظومات العربية : مصدر سابق ص 523:532.

*** قائمة أخرى ذكرها ابن النديم :**

1 ـ كتاب الحرارات.

2 ـ كتاب الصحيفة الكبير.

3 ـ كتاب الصحيفة الصغير.

4 ـ كتاب إلى وصيته إلى ابنه فى الصنعة.

5 ـ نحو خمسمائة ورقة من الشعر فى الصنعة.

وقبل أن ننتقل إلى شعر خالد بن يزيد ، ربما يكون من الأنسب إيراد قول منسوب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ نختم به هذه الدراسة المتواضعة عن خالد بن يزيد الذى يأتى ولاشك فى مقدمة ألئك الذين وضعوا القواعد لانطلاقة الحركة العلمية العربية ، فقد قال عنه: « ماولدت أمية مثل خالد بن يزيد ماستثنى عثمان ولاغيره».



رسالة في الكيمياء لخالد بن يزيد بن أبي سفيان

شعره

يوجد بعض شعر خالد فى الكيمياء مخطوطا ومحفوظا فى مكتبة اسطنبول.ونورد فيما يلى صورة من هذه المخطوطات ، يقول فيها خالد: أعمد إلى تصنيف ديوان أُفهم به جماعة من طلبة هذا العلم ونحن نبتدى بعون الله ونبيّنه ونكتب أشعاره لأنه لم يسبقه سابق ولا يتقدمه متقدم إلا كان مقصرا عنه.

ابتداءً ديوان خالد على قافية أبجد قافية الألف[104] .

يا طالباً بوريطس الحكماء ساء	فى كتبهم من جملة الأشياء
يا منطقاً حقاً بغير خفاء	هو زيبق الشرق الذى هتفوا به
سموه زهراً فى خفاء رموزهم	والجن شغلاً أغمض الأسماء
ودعوه بأن النار كيما يصدقوا	عن صبغة بخلاً عن البعداء
فإذا أردت مثاله فاعمد إلى	جسم النحاس وناره الصفراء
فامزجهما مزج امرئ ذى حكمةٍ	واحكم مزاوجة الهواء بالماء
واسحق مركبك الذى أزوجته	حتى تراه كزبدة بيضاء
سحقاً يفتته وينهك جسمه	من بدء من صبح إلى الإمساء
واجمعه وادفنه ودعه بمرقدٍ	حتى الصباح وغطه بغطاء
هذا خمار زوابق المغنيسيا	فى جسمها بالغمر للأشياء
هذا المهاد لصنعةٍ معروفةٍ	هذى لعمرك بيضة الحكماء
هذا الذى أعمى على كل الورى	نغوص الحُسَّاد بالأعماء
فأسكنه مبتهجاً به فى قرعةٍ	شُدّت بشدًّ مُحْكَمِ الأجزاء
وانصبه فى القميم نصبة حاذقٍ	فى محضن سجنٌ له بوفاء

(104) قطوف من سير العلماء : مصدر سابق ص 43.

- تاريخ العلوم الأساسية : مصدر سابق ص 694.

عقلــه فيــه فهــو عمــدُ كلــما ترجــو صــيانته مــن الإهـــذاء
واجعــل فــديتك نــاره موزونــة فى حرهــا لتلهــب الأحشــاء
هــذا أبــارُ نحاسـهم فــافطنْ لــه هــذا مُــذلُّ ذوي اللحــى النجبــاء

كذلك نرى الشعر التعليمى موجوداً فى العصر الأموى فالخالد بن يزيد بن معاوية المشهور باهتمامه بالكيمياء منظومات في هذا العلم ، ذكر في إحداها طريقة تحويل المعدن إلى ذهب أو فضة ، يقول فيها :

خــذ الطَّلْــق مــع الأَشْــقِ ومــا يوجــد في الطــرْقِ
وشــيئا يُشــبه البرقــا فدبِّــره بــلا حــرْقِ
فــإن أحببــت مولاكــا فقــد سُــوِّدْتَ في الخلْــقِ

وعن الإكسير يقول[105]:

هـذا هـو الإكسير فـاعرفْ قـدره هــذا حيــاة جماعــة الأحيــاءِ
مـن نالـه أضـحى عظيما في الـوَرَى وعــلا عــلى النظــراءِ والخلطــاءِ
هــذا مزيــل الفقــر عــن أحزانــه فــيُرى بحُسْــنِ الحــال كــالأمراءِ
يــا ربِّ علمــه امــرءًا متورعــا في الــدين ذا كــرم وذا إعطــاءِ
واحرمــه كــلَّ منــافق متجــبرٍ يســطو عــلى الأصــحاب والقرنــاءِ
أو حاســد أو ظــالم أو مــارقٍ أو خَلَــفِ ســوء مقــرَّبٍ بــبلاءِ[106]
مــن نالــه يســمو ويعلــو قــدرُه بــين الأنــام وكــان ذا إثــراءِ
هـذا الـذي أردى الأنـام بجهلهـم حتــى أصــارهم إلى الإكــداء
حُـرِّجَ عـليَّ منـال مـا قـد قلتـه[107] إن ننطــوي فيــه عــلى الإفشــاءِ

(105) العلوم العقلية : مصدر سابق، ص 530 ، 531 .

(106) يوجد كسر في وزن هذا الشطر، ويشير المؤلف إلى أن نسخة المخطوط (سواء) بدلا من (سوء) وفي كلتا الحالتين، فالكسر قائم .

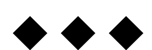
(107) يوجد كسر في وزن هـذا الشطر، ولكي يستقيم الـوزن ينبغي تسكين الجيم في قوله (حرج) ولكن التسكين لا يستقيم لغةً.

....	....
....	....
يــا أيــها الطـالــبُ للكيميـا	لا تطلــب العلــمَ بغــير المَيَـا
مــن عقــد المـاءَ الــذي حلَّــه	فــاز بمــا كــان لــه راجيـا
تلــك التــي يطلبهـا كــلُّ مَــنْ	ياحُبَّهَــا مــن صــنعةٍ لم يــزلْ
يعرفهــا الأبـــرار والأصــفيا	مــن فــاته المــاءُ وتــدبيره

ويشير جلال شوقي إلى أن القصائد مرتبة في ديوان خالد بن يزيد بحسب قوافيها على حروف المعجم.

وقال في رملة بنت الزبير بن العوام:

ألـيس يزيـد السـير في كـل لـيلة	وفي كـل يـومٍ مـن أحبتنـا قـربـا
أحـن إلى بنـت الـزبير وقـد عـدت	بنـا العـيس خرقـاً مـن تهامـة أو نقبـا
إذا نزلـت أرضـاً نحبـب أهلـهـا	إلينـا وإن كانـت منازلهـا حـربـا
وإن نزلـت مـاء وإن كـان قبلـهـا	مليحـاً وجـدنا مـاءه بـارداً عـذبـا
تجـول خلاخيـل النسـاء ولا أرى	لرملـة خلخـالاً يجـول ولا قلبـا
أقلـوا عـلي اللـوم فيهـا فـإنني	تخيرتهـا مـنهم زبيريــة قلبـا
أحـب بنـي العـوام طـرا لحبهـا	ومـن حبهـا أحببـت أخوالهـا كلبـا



13 ـ أبو حليقة

الاسم : داود بن أبي المنى

تاريخ الميلاد : 591هـ.

مكان الميلاد : جعبر.

تاريخ الوفاة : 670هـ.* قال ابن أبي أصيبعة أنه توفى عام 613هـ.

مكان الوفاة :مصر

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : شامي .

المهنة : طبيب ـ صيدلاني ـ أديب.

موجز السيرة

أبو حليقة الطبيب[108] أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود بن أبي المنى الحكيم الرشيد أبو حليقة النصراني، سمى أبا حليقة لحلقة كانت في أذنه، أوحد زمانه في الطب، وله شعر، وكان له حظ من الأدب، ولد بجعبر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وتوفي سنة سبعين وستمائة، خرج من جعبر إلى الرهاء وربى بها، وخدم الكامل، وكان نصف العزيزية له وخدم الملك الصالح وخدم الترك إلى دولة الظاهر بيبرس، وقرأ الطب على عمه ابي سعيد بدمشق وعلى مهذب الدين الدخوار، وله نوادر في أعمال الطب، كان قد أحكم معرفة نبض الكامل حتى أنه أخرج يده يوما إليه من خلف ستارة من الدور المرضي، فقال: هذا نبض مولانا السلطان وهو بحمد الله صحيح فعجب منه، ولما طال عليه عمل الدرياق الفاروق لتعذر ادويته عمل درياقا مختصرا توجد أدويته في كل مكان، وقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى، وكان يخلص المفلوجين لوقته وينشىء في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ويقويه ويذيب البلغم في وقته ويسكن القولنج في وقته، وحصل للسلطان نزلة في أسنانه ففصد لذلك وداواه الأسعد لاشتغال الرشيد بعمل الدرياق، فلم ينجع وزاد الالم فصلب الرشيد وتضور فقال: تسوك من الدرياق الذي عملته في البرنية الفضة وترى العجب، فلما وصل إلى الباب خرجت ورقة السلطان فيها: يا حكيم استعملت ما قلت وزال جميع ما بي لوقته، وبعث له خلعا وذهبا، ومر على أبواب القاهرة بمفلوج ملقى على جنبه فأعطاه من درياقه شربة وطلع إلى القلعة وعاد فقام المفلوج يعدو في ركابه ويدعو له، فقال له: اقعد، فقال يا مولانا شبعت قعودا، وألف للملك الصالح صلصا يأكل به اليخنى واقترح عليه أن يكون مقويا للمعدة منبها للشهوة ملينا للطبع فركب من المقدونس جزءا ومن الريحان الترنجاني جزءا ومن قلوب الأترج المنقعة في الماء والملح ثم تغسل بالماء الحلو من كل واحد نصف جزء ويدق كل واحد بمفرده ويخلط ويعصر عليه ماء الليمون والملح

(108) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء.

ويعمل في أوان ويختم بالزيت، فلما استعمله السلطان أثنى عليه ثناء كثيرا وسقى من درياقه من به حصاة ففتتها واراق الماء لساعته، ومن نوادره أن امرأة من الريف أتت إليه ومعها ولد أصفر ناحل فأخذ يده ليعرف نبضه وقال لغلامه: هات الفرجية فتغير نبض الصبي في يده، فقال لها: هذا الصبي عاشق في واحدة اسمها فرجية، فقالت أمه: إي والله يا مولاي وقد عجزت عما أعذله، فتعجب الحاضرون منه، وله كتاب المختار في ألف عقار وله مقالة في ضرورة الموت وأن الإنسان يحلله الحرارة التي في داخله وحرارة الهواء وقال متمثلا. . . . . إحديهما قاتلي فكيف إن اجتمعا، ومقاله في حفظ الصحة ومقالة في أن الملاذ الروحانية ألذ من الجسمانية.

شعره

ومن شعره في منظرة سيف الإسلام :

سمح الحبيب بوصله في ليلة	غفل الرقيب ونام عن جنباتها
في روضة لولا الزوال لشابهت	جنات عدن في جميع صفاتها
والطير تطرب في الغصون بصوته	والراح تجلى في كؤوس سقاتها
ومجالسي ــ القمر المنير تنزهت	فيه الحواس باسمها و كناتها

وقال أيضاً:

أحن إلى ذكر التواصل يا سعد	حنين النياق العيس عَنَّ لها الورد
فسعدي على قلبي ألذ من المنى	وقربي لها عند اللقاء هو القصد
حوت مبسماً كالدر أضحى منظما	وثغراً كمثل الأقحوان به شهد
وفرعاً كمثل الليل أو حظ عاشق	ووجهاً كضوء الصبح هذا لذا ضد
أقول لها عند الوداع	وبيننا حديث كنشر المسك خالطه ند
ترى نلتقي بعد الفراق بمنزل	ويظفر مشتاق أضر به البعد
عشقت سيوف الهند من أجل أنها	تشابهها في فعل ألحاظها الهند
ولي في الرماح السمر سمر لأنها	تشابهها قداً فيا حبذا القد وفي الورد
وبي من هواها ما جحدت وعبرت	به عبرتي يوماً وما نفع الجحد

14 ـ الكحّال

الاسم : سليمان بن موسى بن شرف الدين

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : مصر.

تاريخ الوفاة : 590هـ.

مكان الوفاة : مصر.

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : مصري.

المهنة : عالم كيمياء ـ أديب.

موجز السيرة

سليمان بن موسى ، برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحّال، المصري[109]، كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب، عارفاً بصناعة الكحل، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده منزلةً عاليةً وقبولاً تاماً. وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليٍ البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصرٍ ـ المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة، فأهدى الشريف الكحّال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً، فكتب إليه ابن عنين يداعبه[110].

شعره

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله   فغير عجيب أن يكون لك الفضل

آتتني أياديك التي لا أعدها   لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل

ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ   تروقك ما وافى لها قبلها مثل

أتاني خروف ما شككت بأنه   حليف هوىً قد شفه الهجر والعذل

إذا قام في شمس الظهيرة خلته   خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظل

فناشدته ما تشتهى؟ قال فتة   وقاسمته ما شفه؟ قال لي الأكل

فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى   مسلمةً ما حص أوراقها الفتل

فظل يراعيها بعينٍ ضعيفةٍ   وينشدها والدمع في العين منهل

أنت وحياض الموت بيني وبينها   وجادت بوصلٍ حين لاينفع الوصل



(109) معجم الأدباء ج3 ص 1404 .

(110) عيون الأنباء 2 : 182، 183 .

(3) ديوان بن عنين : 134 .

(4) نهاية الأرب : 10 : 131 .

15 ـ ابن شقرون

الاسم : عبد القادر بن العربي المنبهي.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : مكناسة الزيتون.

تاريخ الوفاة : غير محدد.

مكان الوفاة : غير محدد.

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : مغربي

المهنة : عالم نبات ـ طبيب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

ومن التلاميذ المتخرجين على علماء أدراق نذكر طبيباً من أنبغ تلاميذ الشيخ أحمد بن محمد أدراق هو أبو محمد عبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون المكناسي. كان عالماً مشاركاً في فنون شتى، ولكنه امتاز ببراعته في علم الطب واشتهر به فصار من أعلامه.

نشأ بمدينة مكناس وأخذ عن جماعة من شيوخها علوماً كثيرة، غير علم الطب الذي تلقاه بمكناس على شيخه إبراهيم بن القائد علي وكان طبيباً. وبفاس تلقى على الطبيب أحمد بن محمد أدراق. ولما ارتحل إلى مصر، أخذ على الشيخ أحمد الزيداني مسائل كثيرة من كتاب ابن النفيس الذي اختصر فيه «**القانون**» لابن سينا.

ووصفه الأديب محمد بن الطيب العلمي في كتابه «**الأنيس المطرب**». فمما قاله:

ضم إلى علم الأديان علم الأبدان. فركب الأدوية، وانتشرت له بين الحكماء ألوية، وعرف الأمراض، وأرسل سهام الرقى فأصاب الأغراض. رحل إلى الشرق فأدى فرضه، ثم رجع قاصداً أرضه، فناهيك من علم اجتلب، ومن دُرٍّ نظم وَدَرٍّ احتلب.

من مؤلفاته في علم الطب كتاب سماه «**النفحة الوردية في العشبة الهندية**». وقد وصف أستاذنا عبد الله كَنون هذا الكتاب فقال:

وهي (أي «**النفحة الوردية**») رسالة صغيرة تقع في كراسة من 15 صفحة، ولكن قيمتها العلمية كبيرة؛ إذ أنها بحث مستوفى في هذه العشبة المعروفة بالمغرب والتي كثيراً ما كانت هي الدواء الأخير الذي يرجع إليه الناس في عدة أمراض عندما ييأسون من الشفاء.

ويصف لنا المؤلف هذه العشبة الهندية بأنها لم تكن معروفة عند قدماء الأطباء، وإنما تفطن لها المتأخرون من أهل الهند الجنوبي فجربوها فوجدوا لها نفعاً عظيماً.

قال الأستاذ عبد الله كَنون: «وتأليفه هذا يدل على طول باعه في مهنته ومعرفته بعلم النبات وخصائصه، لأنه بحث يكاد يكون مبتكراً وناسجاً على غير منوال سابق».

ومن تآليفه أيضاً منظومته الطبية المسماة بـ«**الشقرونية**»، نسبة إلى اسمه العائلي. تقع هذه الأرجوزة في نحو 700 بيت نظمها جواباً لسؤال من تلميذه الشيخ صالح بن المعطي. ومضمنها شرح فوائد المآكل والمشارب المتداولة بين الناس.

نذكر نموذجاً منها يتعلق بأكل اللحم مشوياً:

خير الشواء ما على الجمر شوي　　　بلا دخان في قضيب يلتوي

يفتح للصحة ألف باب　　　وهو الذي يعرف بالكباب

وألف نظماً آخر في منافع النعناع معروفاً ومشهوراً، وكتاباً في منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير.

وألف في غير الطب كتاب «**شرح البسط والتعريف**»، وهو منظومة في علم التصريف للعلامة أبي زيد عبد الرحمن المكودي.

لا يعرف تاريخ ولادة هذا الطبيب ابن شقرون ولا تاريخ وفاته. غير أنه كان حياً سنة 1140 هـ/ 1727 م. فهو من مخضرمي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين[111].

(111) الميثاق، عدد 229 ـ 230، ترجمة لعبد الله كَنون.

شعره

خير الشواء ما على الجمر شوي   بلا دخان في قضيب يلتوي
يفتح للصحة ألف باب   وهو الذي يعرف بالكباب

و مما جاء في القصيدة ، هذين البيتين :

وعظم ديك أسود إن أحرق   بحطب من الكرنب المنتقى
فعجنه بوسخ الكوارة   يعيد حملا حكمة البكارة

والبيتان عبارة عن وصفة طبية لصنع دواء مركب من العناصر التالية :

رماد عظم ديك أسود + رماد حطب الكرنب + وسخ الكوارة . و يستعمل هذا المعجون الطبي ـ حسب القصيدة ـ لإعادة غشاء البكارة عند العذارى إذا ما تعرض الغشاء إلى تمزيق أم ما شابه ... ووصفة طبية مثل هذه ، وفي عضو حساس مثل العضو المعالج هنا ، تتطلب كل الإجراءات الضرورية لضمان نظافة الدواء المركب و إعداده في أحسن ظروف النظافة و التعقيم .

وحتى نفهم وجه الغرابة في هذه النازلة ،لابد من التعريف بما هو في حاجة إلى تعريف في عناصر الوصفة الطبية المقصودة في اصطلاح الأطباء القدامى فأهم مركبات الوصفة هي :

عظم الديك ، حطب الكرنب ، و و سخ الكوارة . و الكرنب هو النبات المعروف باسم chou potager بالفرنسية ، و cabbage بالإنجليزية . و أما وسخ الكوارة في كتب الطب، فهو مادة من إنتاج النحل ، و هي عبارة عن مادة راتنجية يجمعها النحل من براعم و سيقان و أوراق أشجاره عديدة و خاصة منها أشجار الفصيلة الصنوبرية ، اسمها العمّي هو la propolis ، غير معروفة حتى من طرف العديد من الأطباء في عصر.نا هذا ، و هي مادة عجيبة لها من الخصائص ما لا يكاد يصدقه العقل حتى عند الأطباء ...و ميدان العلاج بها و بباقي منتجات النحل هو تخصص طبي حديث نسبيا يعرف باسم l Apithérapie .

ومما جاء في الشقرونية في وصف الرمان:

والحلـــو والحـــامض مـــن رمـــان كلاهمـــا فـــي الطبـــع بـــاردان

لا كنـــهما الحـــامض لليبوســـة والحلـــو ذو رطوبـــة مسوســـة

كلاهمـــا يـــُذهب حـــرَّ البـــدن والحلـــو حـــامض مزيـــل الحـــزن

مُعطِـــشٌ وذا عـــن الجـــل فشـــا فأعجـــب لبـــارد يُهيـــجُ العطشـــا

وليبتلعـــه مـــن بـــه اســـهالُ بتفلـــه ليـــعرض اعتقـــال

16 ـ الأصمعي

الاسم : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك.

تاريخ الميلاد: 159هـ.

مكان الميلاد :البصرة.

تاريخ الوفاة : 215 هـ.

مكان الوفاة : البصرة

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : عراقي.

المهنة : عالم نبات ـ حيوان ـ أديب ـ فيلسوف ـ فقيه.

موجز السيرة

عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رياح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الباهلي أو سعيد الأصمعي البصري اللغوي المشهور بالأصمعي[112].

شخصية مسلمة عربية شهيرة ترددت على مسامعنا كثيراً؛ من خلال القصص والأخبار والأشعار.... وهو مثال للمثقف المسلم، شخصية جمعت العلم والثقافة والأدب والابتسامة الرائعة..... شخصية ثبتت اسم الأصمعي على مر التاريخ والأزمنة . شخصية كان في جعبتها أكثر من عشرة آلاف أرجوزة ، هذا إذا ما علمنا أنه حافظ للقرآن الكريم كله وراوية ثقة للأحاديث النبوية الشريفة، وهو راوية شهير للقصص والأخبار ولا يكتفي بمجرد سماع القصص، بل كان يشد الرحال باحثاً عن مصادر القصص والروايات ويبحث عن أبطالها ويتقرب منهم أياً كانوا.

ومن أقواله: «أحفظ أكثر مما رويت» والمتتبع لشخصيته الدسمة يعلم سبب ذلك، فالأصمعي يعد ثقة أهل عصره دينياً ومعلوماتياً فهو لا يقص ما كان فيه نهي شرعيٌ صريح ولا يقص ما لم يتأكد بنفسه منه . شخصية عاشت في ربوع البصرة، تلك المدينة التي حاصرها الإنجليز قبل أشهر. هي من أخرجت الأصمعي وهي نفسها من استقبلت جسده بعد موته. عقلية تنقلت في غالب بلاد المسلمين، عقلية صادقت حكمة الرشيد وكان الرشيد يبحث عنه في غالب أيام حكمه، شخصية صادقت طفولة المأمون والأمين وقامت بتثقيفهما. عقلية أنتجت أكثر من عشرين كتاباً هي بحق أمهات الكتب في الأدب العربي. عقلية تمكنت من جمع «الأضداد»، وعقلية وضحت «المترادف» وحددت«الفرق» وعقلية جالت بين «الإبل» و«الخيل» وبين «النخيل» و«النبات والشجر» وهي عقلية علمتنا «أصول الكلام» وأضحكتنا بـ«النوادر» بل هي عقلية كتبت عن «خلق الإنسان»..... وهي أيضاً عقلية أجبرت المستشرق الألماني أهلورد من جمعها في «الأصمعيات».

(112) جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1964. رقم1574

وقديماً لقبوه براوية العرب كما هو حماد الراوية، ويكفيه لغوياً أنه من أخرج الذهب من خزينة المنصور بصوت صفير البلبل، وبحق فقد كان شيطان الشعر فيها «كما قال المنصور نفسه»

بكل اختصار هو رمز للاجتهاد والتحصيل الديني والعلمي والثقافي والخلقي. ولم تبيض لحيته إلا لما بلغ ستين سنة.

ومات سنة ست عشرة وقيل خمس عشرة ومائتين، عن ثمان وثمانين سنة

مؤلفاته:

(1) غريب القرآن.

(2) خلق الإنسان.

(3) الأجناس.

(4) الأنواء.

(5) الهمز.

(6) المقصور والممدود.

(7) الصفات.

(8) خلق الفرس.

(9) الإبل.

(10) الخيل.

(11) الميسر والقداح.

(12) الأمثل.

(13) فعل وأفعل.

(14) الاشتقاق.

(15) ما اتفق لفظه واختلف معناه.

(16) كتاب الفرق.

(17) كتاب الأخبية.

(18) كتاب الوحوش.

(19) كتاب الأضداد.

(20) كتاب الألفاظ.

(21) كتاب السلاح.

(22) كتاب اللغات.

(23) كتاب مياه العرب.

(24) كتاب النوادر.

(25) كتاب أصول الكلام.

(26) كتاب القلب والإبدال.

(27) كتاب جزيرة العرب.

(28) كتاب معاني الشعر.

(29) كتاب المصادر.

(30) كتاب الأراجيز.

(31) كتاب النخلة.

(32) كتاب النبات.

(33) كتاب نوادر الأعراب.

شعره

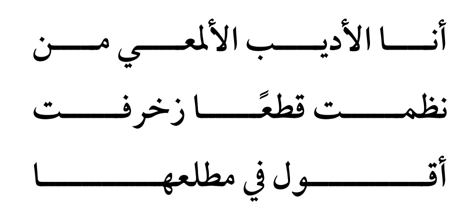
إذا قيــل: مــن للنـدى والعــلا مــن النـاس؟ قيـل الفتـى جعفـر

ومــا إن مــدحت ففتــى قبلــه ولكــن بــن جعفــر جــوهر

صــوت صــفير البلــبلي وقصــة الشــاعر الأصــمعي : وهــذه هــي قصــه الأصــمعي يحكى بأن الأصمعي سمع بأن الشعراء قد ضيق من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور فهو يحفظ كل قصيدة يقولونها ويدعي بأنه سمعها من قبل فبعد أن ينتهي الشاعر من قول القصيدة يقوم الأمير بسرد القصيدة إليه ويقول له لا بل حتى الجاري عندي يحفظها فيأتي الجاري(الغلام كان يحفظ الشعر بعد تكراره القصيدة مرتين) فيسرد القصيدة مرة أخرى ويقول الأمير ليس الأمر كذلك فحسب بل إن عندي جارية هي تحفظها أيضاً (والجارية تحفظه بعد المرة الثالثة) ويعمل هذا مع كل الشعراء فأصيب الشعراء بالخيبة والإحباط ، حيث أنه كان يتوجب على الأمير دفع مبلغ من المال لكل قصيدة لم يسمعها ويكون مقابل ما كتبت عليه ذهباً. فسمع الأصمعي بذلك فقال إن بالأمر مكر. فأعد قصيدة منوعة الكلمات وغريبة المعاني . فلبس لبس الأعراب وتنكر حيث أنه كان معروفاً لدى الأمير. فدخل على الأمير وقال إن لدي قصيدة أود أن ألقيها عليك ولا أعتقد أنك سمعتها من قبل. فقال له الأمير هات ما عندك ، فقال القصيدة ، حينها اسقط في يد الأمير فقال يا غلام يا جارية. قالوا لم نسمع بها من قبل يا مولاي فقال الأمير احضر ما كتبتها عليه فنزنه ونعطيك وزنه ذهباً. قال ورثت عمود رخام من أبي وقد كتبتها عليه ، لا يحمله إلا عشرة من الجند. فأحضروه فوزن الصندوق كله. فقال الوزير يا أمير المؤمنين ما أضنه إلا الأصمعي فقال الأمير أمط لثامك يا أعرابي. فأزال الأعرابي لثامه فإذا به الأصمعي. فقال الأمير أتفعل ذلك بأمير المؤمنين يا أصمعي؟ قال يا أمير المؤمنين قد قطعت رزق الشعراء بفعلك هذا. قال الأمير أعد المال يا أصمعي قال لا أعيده. قال الأمير أعده قال الأصمعي بشرط. قال الأمير فما هو؟ قال أن تعطي الشعراء على نقلهم ومقولهم. قال الأمير لك ما تريد.

قصيدة صوت صفير البلبل للأصمعي

صـــوت صـــفير البلـــبلي	هـــيج قلبـــي الـــثملي
المـــاء والزهـــر معًـــا	مـــع زهـــرِ لحـــظِ المُقـــلي
وأنـــت يـــا ســـيدَ لي	وســـيدي ومـــولى لي
فكـــم فكـــم تيمنـــي	غُزَيـــلٌ عقـــيقَلي
قطَفته مـــن وجنَـــةٍ	مـــن لـــثم ورد الخجـــلي
فقـــال لا لا لا لا لا	وقـــد غـــدا مهـــرولي
والخُـــوذ مالـــت طربًـــا	مـــن فعـــل هـــذا الـــرجلي
فولولـــت وولولـــت	ولي ولي يـــا ويـــل لي
فقلـــت لا تولـــولي	وبينـــي اللؤلـــؤ لي
قالـــت لـــه حـــين كـــذا	انهـــض وجـــد بـــالنقلي
وفتيـــة ســـقونني	قهـــوة كالعســـل لي
والســـقف ســـق ســـق لي	والـــرقص قـــد طـــاب لي
شـــوى شـــوى وشـــاهش	عـــلى ورق ســـفرجلي
وغـــرد القمـــري يصـــيح	ملـــل في ملـــلي
ولـــو تـــراني راكبًـــا	عـــلى حمـــار اهـــزلي
يمشي عـــلى ثلاثـــة	كمشـــية العـــرنجلي
والنـــاس تـــرجم جمـــلي	في الســـوق بـــالقلقللي
والكـــل كعكـــع كعِكَـــع	خلفـــي ومـــن حـــويللي
لكـــن مشـــيت هاربًـــا	مـــن خشـــية العقـــنقلي
إلى لقـــاء ملـــك	معظـــم مـــبجلي
يـــأمر لي بخلعـــة	حمـــراء كالـــدم دمـــلي
أجـــر فيهـــا ماشـــيًا	مبغـــددًا للـــذيلي



أنـا الأديـب الألمعـي مـن ... حـي أرض الموصـلي

نظمـت قطعًـا زخرفـت ... يعجـز عنهـا الأدبـو لي

أقـول في مطلعهـا ... صـوت صـفير البلـبلي



17 ـ بو الفضل المغربي

الاسم : عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر

تاريخ الميلاد : 531هـ.

مكان الميلاد : جليانة.

تاريخ الوفاة : 602هـ.

مكان الوفاة : دمشق.

سبب الوفاة :غير محدد.

الجنسية : أندلسي

المهنة : عالم كيمياء ـ طبيب ـ أديب.

موجز السيرة

عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان[113] ، أبو الفضل حكيم الزمان الجلياني الغساني الأندلسي ؛ كان أديبا فاضلاً طبيباً حاذقاً له معرفة بعلوم الباطن ، وكلام على طريق القوم ، وكان مليح السمت حسن الأخلاق رحل من الأندلس ودخل بغداد، وروى عنه محب الدين بن النجار ، ومدح السلطان صلاح الدين الكبير ، مولده إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وتوفى سنة اثنتين وستمائة بدمشق ، رحمه الله.

قال ابن أبى أصيبعة:كان علامة زمانه فى صناعة الكحل، بارعاً فى الأدب وصناعة الشعر، وعمّر طويلاً ، وكان له حانوت فى اللبادين لصناعة الطب ، وكان السلطان صلاح الدين يحترمه ، وله فيه مدائح كثيرة ، وصنّف له كتباً ،

(113) صلة الصلة : 15

– التكملة : رقم 1815 .

– الذيل والتكملة: 5 :57 .

– المقتضب من التحفة : 90

– أبن أبى أصيبعة :2 : 257 .

– ابن الشعار 4 : 126 .

– الزركشى: 201 . =

= – معجم البلدان (جليانة) ؛ وترجم له صاحب النفح ثلاث مرات : أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقى (2 : 614) عبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آش (2 :614) وباسمه كما أورده الكتبى هنا (2 :635) ؛ وجليانة التي ينسب إليها عبد المنعم من عمل وادي آش ، وهذا كله غير بعيد عن مالقة . ولكن ابن سعيد ترجم فى الغصون اليانعة لعبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني(104 ـ 108) وجعل وفاته سنة 603 وذكر أنه ولد بجليانة ، ولكن المادة التي أوردها تنطبق على حكيم مغربي آخر هو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلى ، أصله من المرية وقد ولد باليمن (ترجم له ابن أبى أصيبعة 2 :144 وابن خلكان 3ك 123) وهذا الثاني توفى سنة 549 وقد ذكره العماد فى خريدته ، وابن الدبيثى ، وليس له علاقة بصلاح الدين . ولا أدرى كيف وقع ابن سعيد فى هذا الخلط . * يوسف : صلاح الدين الأيوبى.

وكـان يعـانى صـناعة الكيميـاء ، ولـه عشرـة دواويـن : الأول : ديـوان الحكـم ومنثـور الكلـم ، والثاني : ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى ، والثالث : ديـوان أدب السـلوك والرابـع : ديـوان نـوادر الحيّ ، والخامس ديوان تحرير النظر ، والسـادس : ديـوان سر البلاغـة وصـناعة البـديع ، والسـابع : ديـوان المبشرـات ، والثـامن : ديـوان الغـزل والنسـيب والموشـحات والـذوبيت ، والسـابع : ديـوان تشبيهات وألغاز ورموز وأحاجى والعاشر : ديوان ترسـل ومخاطبـات ، ولـه أيضـا كتـاب « منـادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر فى خصائص الملك الناصر ».

شعره

له شعر كثير وهو يمدح صلاح الدين فى طبقات الأطباء لمن أراد الرجوع إليه ومن شعره :

كلينـي لكَـرِّ الخيـل يـأمَّ مالـكٍ ... فـما الأمـن إلا فى متـون الصـواهلِ

فبحرُ الوغى لولا السوابحُ صادرات ... بنـا لجـة لم نحـظ منهـا بسـاحل

فـلا تخطبنى ياهنـدُ لى غـادةً سبت ... بنُطـقِ وِشـاحٍ أو بصمت خلاخـلِ

فليست ذيولُ فوق حجلٍ تروقنى ... ولكنْ خيولُ تحت سحبِ قساطل

فـلا هلـك إلا فى نحـورِ نواهـد ... ولاملـك إلا فى صـدورِ عوامـل

ولاملِـكُ يـأتى كيوسـف * آخـراً ... كـما لم يجـيء مثـلُ لـه فى الأوائـل

فتى ركب الأهوالَ خيلاً سروجها ... عـزائم شُـدّت للثبـات بكاهـل



18 - ابن البيطار

الاسم : عبد الله بن أحمد بن البيطار.

تاريخ الميلاد : 596.

مكان الميلاد : قرية بينالمدينا ـ مالقة ـ الأندلس .

تاريخ الوفاة : 646هـ.

مكان الوفاة : دمشق .

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : أندلسي.

المهنة : عالم نبات ـ صيدلاني ـ قاضي ـ فقيه ـ أديب .

موجز السيرة

هو ضياء الدين أبو محمد: عبد الله بن أحمد المالقي النباتي المعروف بابن البيطار، والملقب بالعشاب، عاش فيما بين عامي 593 و646 هجرية، ولد في (مالقة) المدينة الساحلية الأندلسية، وتوفي في دمشق، بعد أن طوف بالآفاق، وكان والده بيطريًّا حاذقًا. وتتلمذ على الأستاذ الكبير ابن العباس أحمد بن محمد بن فرج النباتي المعروف بابن الرومية صاحب الشهرة العظيمة في علم النبات، والذي ألف كتاب «الرحلة» الذي بقي المرجع الفريد لعدة قرون، إلا أن ابن البيطار فاق أستاذه، بل امتاز في أبحاثه العلمية والتجريبية والتطبيقية على باقي عشابي زمانه. وهذا يعود ـ في رأينا ـ إلى أن ابن البيطار كان كثير الرحلة إلى بلاد اليونان والروم، وجميع بلاد العالم الإسلامي، حيث يجتمع مع علماء تلك البلاد ويدارسهم في أنواع النبات، وخواصه وفوائده، غير مكتف بقراءة الكتب والمصنفات، وكان في ترحاله يدرس النبات في منابته، بل يدرس التربة والحجر الذي ينمو فيه، والأرض التي تنبته، والعوامل المختلفة المتركزة عليه، حتى إذا جمع خبرة طويلة مستندة على الملاحظة الدقيقة ألف كتابيه المشهورين «المغني في الأدوية المفردة» و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية». ومن يقرأ هذين الكتابين لابن البيطار وغيرهما يجده يمتاز بعقلية علمية أصيلة تميل إلى التجربة وتؤمن بالمشاهدة والملاحظة والاستنباط، وتحري الدقة والأمانة العلمية في النقل، ومن هنا لا يكون غريبًا أن نجد اهتمام الباحثين المحدثين يزداد بإنتاجه العلمي، واعتباره ـ من بين العشابين والصيادلة العرب والمسلمين ـ أكثرهم إنتاجًا وأدقهم دراسة في فحص النباتات في مختلف البيئات، وفي مختلف البلاد، وكان لملاحظاته القيّمة أكبر الأثر في تقدم علم الصيدلة أو الفارماكولوجي[114]، ولذلك يقول عنه معاصروه: «إنه الحكيم الأجل، العالم النباتي وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره». وقد استطاع أن يخرج من دراسته للنبات والأعشاب بمستحضرات ومركبات وعقاقير طبية تعد ذخيرة للصيدلة العالمية.

(114) عز الدين فرج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص45، بيروت عام 1977م.

وقد شهد له تلميذه النجيب ابن أبي أصيبعة[115] وحكى في مؤلفه عن رحلاته العلمية، حيث يخبرنا أنه كان كثير الترحال، فرحل إلى شمال أفريقيا ومراكش والجزائر وتونس ومصر لدراسة النبات، وعندما وصل إلى مصر كان على عرشها الملك الكامل الأيوبي الذي التحق بخدمته معيَّنًا رئيسًا على سائر العشابين، ولما توفي الملك الكامل، استبقاه في خدمته ابنه الملك الصالح نجم الدين الذي كان يقيم في دمشق، وبدأ ابن البيطار في دمشق يدرس النبات في الشام وآسيا الصغرى بصفته طبيبًا عشابًا[116].

وقد امتدح ابن أبي أصيبعة أستاذه ابن البيطار وقال عنه: «قرأت عليه تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته، وفهمه شيئًا كثيرًا جدًّا، وكنت أحضر عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان يذكر أولا ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله ويذكر أيضًا ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك، ويذكر أيضًا جُملاً من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته. فكنت أراجع تلك الكتب معه، ولا أجده يقلد شيئًا مما فيها، وأعجب من ذلك أيضًا أنه كان ما يذكر دواء إلا وعيّن في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جُملة الأودية المذكورة في تلك المقالة». ومن مقالة ابن أبي أصيبعة، نجد أن مصادر ابن البيطار قد تنوعت ما بين مصادر داخلية تتمثل في المناخ العلمي الذي عاش فيه ورحلاته الخاصة التي قام بها في العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى مصادر خارجية تتمثل في الترجمة والاطّلاع على كتب اليونانيين وعلوم الأوائل من غير العرب، والأمر الذي ساعد عليه ـ معرفته بعدد من اللغات كالفارسية واليونانية.

(115) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج2 ص132 بيروت عام 1979م، وكذلك معجم أعلام الفكر الإنساني ج1 دائرة المعارف الإسلامية نقلها ثابت الفندي.

(116) انظر دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية 1/ 104، وبروكلمان 1/ 896، وحاجي خليفة: كشف الظنون 2/ 1749.

وقـد درس ابـن البيطـار كتـب ديسـقوريدس Disokurides، وجـالينوس، وأبقـراط وأوريبازيوس وابن سينا والإدريسي. وابن العباس النباتي دراسة مستفيضة حتى أتقنها تمامًا، وشرح النقاط الغامضة فيها، وهو قد استفاد إلى حد كبير من مؤلفات السابقين، ورغم ذلك كانت مؤلفاتهم موضع تصحيحاته، ونقده في كثير من الأحيان.

وهذا ما دعا «رام لاندو» في كتابه (إسهام علماء العرب في الحضارة الأوروبية) إلى القول بأن: «إسهام ابن البيطار في مجال علم النبات يفوق إنتاج السابقين من ديسقوريدس إلى القرن العاشر الهجري». كما يذكر «ألدوميلي» في كتابه «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي» :«إن ابن البيطار كان مشهورًا بأنه أعظم النباتيين والصيدليين في الإسلام، مع العلم أن مؤلفاته تعتمد على كتب السابقين له، فقد سجلت في جملتها تقدمًا بعيد المدى».

مؤلفات ابن البيطار وتميزه العلمي:

وقد أدى ذلك المناخ العلمي والفكري الملائم وازدهار العلم الطبي الذي عاش ابن البيطار في كنفه ـ إلى نبوغه العلمي، الأمر الذي يبدو في المؤلفات العديدة التي تركها، ومن أهم هذه المؤلفات:

- كتاب ميزان الطب.
- كتاب شرح أدوية ديسقوريدس.
- كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة.
- كتاب المغني في الأدوية المفردة.
- كتاب الجامع في الأدوية المفردة.

ومن الجدير بالذكر أن ابن البيطار قد استفاد من الإسهامات التي قدمها ديسقوريدس والذي كان له مؤلفات هامة من بينها كتاب (الحشائش) الذي قام ابن البيطار بترجمته[117] ونقل منه الكثير في كتابه (الجامع للأدوية المفردة)، وعندما قام ابن البيطار بترجمته لم يكتف فقط بترجمته ونقل نصوصه، ولكنه امتاز بعمق المعرفة والدقة في تناوله، حيث جمع المصادر الهامة لمادة البحث ولم يكتف بمصدر واحد فقط، بل رجع إلى عدة مصادر وعقد بعض المقارنات بين ديسقوريدس وجالينوس وعلماء العرب السابقين، وقد كان حريصا على نقل أسماء النباتات بدقة، وأضاف العديد من التعليقات على هوامش الكتاب (الحشائش) للزيادة في الإيضاح وتوصل إلى نتائج جديدة.

ومن تصفُّح مؤلفات ابن البيطار نجد أنه قد استفاد أيضًا من جالينوس (Galenos 31ق.م) حيث تأثر بمؤلفاته الكثيرة، ومن بينها كتابه الذي يتضمن أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا، وكذلك بكتابه (الاسطقسات) (العناصر) وكتابه (التشريح الكبير) وكتابه (حيلة البرء). وقد كان جالينوس أول الأطباء الذين أجروا اختبارات للوقوف على طريقة عمل بعض الأعضاء مثل الكُلَى، وصلة الحبل الشوكي بحركات الجسم، والحساسية، وطريقة عمل التنفس والنبض فأثبت علميا أن الشرايين تحتوي على دم وتنقله، على ما يذهب إليه الأب جورج قنواتي[118].

(117) جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة ص58 دار المعارف مصر عام 1959م.

(118) جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة ص113.

ومن أبرز إنجازات جالينوس والتي تأثر بها ابن البيطار، اهتمامه بإجراء التجارب وتحضير الأدوية فقد كان جالينوس يحضر الأدوية بنفسه، وقد وصف 473 وصفا طبيا من مختلف المصادر نباتات وحيوانات ومعادن. وإذا كان ابن البيطار قد استفاد من علماء اليونان، فإنه أيضًا قد تأثر بعلمائنا العرب الذين قد تأثروا بدورهم بالعلم اليوناني، ومن أبرز هؤلاء العلماء، أبو حنيفة الدينوري[119]، الذي كان من علماء اللغة المعروفين، والذي وضع كتابا في النبات، ولم يصف مثله في اللغة العربية، إذ يعد أول كتاب عربي ألّف في النبات، وإن كان العرب قبله قد تكلموا في النبات، بدليل أنه نقل هو نفسه من كثير من العلماء الذين سبقوه في هذا الميدان، إلا أنهم لم يضعوا كتابا معروفا متكاملا في ذلك[120][٧]. ويقول أبو حنيفة في كتابه: (لقد جمعت فيه كل ما كانت العرب تعرفه في هذا العهد من نباتات، وقد انتهى أثناء الحديث عن كل نبات بذكر ما وضعه العرب من شعر ونثر، جامعا فيه بين ما قاله ورواه لغويو العرب في النباتات، وما كتب من هذه النباتات لدى الأمم الأخرى) [121].

وقد استفاد ابن البيطار من أبي حنيفة الذي كان نباتيا لغويا، بينما كان ابن البيطار عشابا وطبيبا نباتيا، تحدث عن النبات وأوصافه، أصله وساقه وورقه وزهره وثمره، حتى لا يخلط بين نبات نافع وآخر ضار، ثم يقف على ذلك بذكره ما يستخلص منه من عقار مفيد في العلاج، وكيف يؤخذ كدواء ومتى يؤخذ، وكيف يعد وكيف يتم تعاطيه ومقدار الجرعة[122].

(119) أبو حنيفة هو أحمد بن داود حنيفة الدينوري توفي عام 281هـ ونسب إلى دينور في العراق العجمي على بعد عشرين فرسخا من مدينة حمدان/ انظر على الجمبلاطي: ابن البيطار أعظم صيدلي في الإسلام ص192.

(120) د. دولت عبد الرحيم إبراهيم: الاتجاه العلمي عند ابن البيطار ومصادره ص342، 343 الكتاب التذكاري عن الدكتور توفيق الطويل، المجلس الأعلى للثقافة مصر عام 1995.

(121) علي الجمبلاطي: ابن البيطار الأندلسي أعظم صيادلة الإسلام ص192.

(122) د. عبد الحليم منتصر: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ص197 بيروت، عام 1987م.

كما استفاد ابن البيطار من العالم الطبيب والفيلسوف ابن سينا الذي استقصى ـ نسبة كبيرة من النباتات، والتي كانت معروفة في عصره، فأورد في كتابه (القانون) طائفة كبيرة من النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والعطرية والطحلبية، وبين الأجناس المختلفة من النباتات والأنواع المختلفة من الجنس الواحد وذكر المتشابه وغير المتشابه، وعُني بذكر مواطن النبات والتربة التي ينمو فيها إن كانت ملحة أو غير ملحة[123].

ولكن نجد تميز ابن البيطار عن ابن سينا في كثير من المواضع، فبينما نجد ابن سينا يهتم بدراسة النبات، ويتناوله تناولا عامًّا من حيث أوصافه الدقيقة، التي تميزه عن غيره، وذكر منابته ـ نجد ابن البيطار يركز على الخصائص الطبية وفوائده في العلاج ومداواة الأمراض، ويوجه اهتمامه إلى تفصيل المزايا الطبية، ويقارن الباحث الجنبلاطي[124] بين مقدرة ابن سينا وابن البيطار بقوله:

(وليس معنى ذلك أن نتهم ابن سينا بالقصور في أبحاثه الخاصة في علم النبات أو أنه يفضل الخصائص الطبية، بل كان يعطيها من الأهمية مثل ما يعطي وصفًا للنبات، ومن هنا تتضح دقة ابن سينا، وإن لم يكن صيدليًّا كما كان ابن البيطار، فابن سينا كان اهتمامه في مجال التأليف الطبي المتسق الذي يتناول الطب والصيدلة معًا، بينما كان ابن البيطار يهمه مجال الصيدلة وحده).

كما تأثر ابن البيطار بالشريف الإدريسي ـ الذي يعد عالما جغرافيا وعالما نباتيا، خاصة بكتابه (الجامع لصفات أشتات النبات) والذي أتى فيه بأفكار جديدة ومبتكرة، فقد حرص على أن يتجنب ما جاء في الكتب السابقة من خلط وتشويه وتقصير، وأنه اتخذ مسلكا فريدا يهدف إلى التعريف بأسماء النباتات بلغاتها المختلفة من يونانية وفارسية، وهندية وبربرية، ولاتينية ـ مما يذكرنا بإنجاز البيروني في كتابه (الصيدلة في الطب) ـ وترتيبها على حروف المعجم، وهذا أيضًا ما فعله ابن البيطار، حيث سار على نهج الإدريسي، ناقدا المتقدمين على تقصيرهم في هذا الشأن.

---

(123) علي الجنبلاطي: السابق ص200.

(124) السابق ص204.

كما تأثر ابن البيطار بالغافي النباتي المشهور الذي يعد من أعظم الصيدليين العرب أصالة، حيث أخذ منه أجزاء غير قليلة من كتابه في الأدوية المفردة[125]. كما لا يمكن إغفال تأثر ابن البيطار بكثير من العلماء العرب والصيادلة والعشابين، والذين تظهر أسماؤهم في مؤلفاته مثل الزهاوي وابن جزلة وأبو بكر الرازي وابن سمحون، وثابت بن قرة، وماسرجويه، وابن العوام، الذين كتبوا تراثا ضخما، تمكن ابن البيطار من الاستفادة منه وتوظيفه في تأسيس علم الصيدلة وتأصيله عند العرب والمسلمين.

تصنيف الأمراض والأدوية والعلاجات:

ومن مظاهر التقدم العلمي الطبي عند العرب تصنيفهم للأمراض وذلك للتسهيل عليهم في علاجها، فكانوا يعرضون للأمراض وأسبابها وأعراضها وعلاماتها وطرق علاجها، وقد ظهرت لدى أطباء العرب في هذه المرحلة التي عاش فيها ابن البيطار ظاهرة لم يلتفت إليها من قبل دارسو تاريخ العلوم ألا وهي (الجداول الطبية). وقد ظهرت هذه الطريقة المنهجية عند ابن التلميذ (ت 560هـ) في مخطوطه (المغني في الطب) حيث نرى عرضا منهجيا واضحا للأمراض، فهو يعرض في أول الجدول للمرض، وفي منتصفه للسبب الذي أدى إلى هذا المرض، وفي الأخير للأعراض المصاحبة له، وهذا واضح في كثير من الأمراض، وخاصة الأمراض الحادثة في الجفون ومداواتها، والأمراض العارضة في ملتحمة العين ومداواتها، وفي أمراض ثقب الحدقة ومداواتها، وفي الشبكية، والغشاء المستبطن للأضلاع والعضل المحركة للصدر وعلل الحجاب[126].

وقد ازداد النزوع نحو تصنيف الأمراض عن طريق الجداول حتى إن كتاب ابن البيطار (قانون الزمان في تقويم الأبدان) عبارة عن جداول طبية فقط، ويبدو ابن البيطار في هذا الكتاب في صورة (الطبيب) وليس (العشاب)، ذلك اللقب الذي اشتهر به.

(125) انظر د. عبد الحليم منتصر: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ص192.

(126) انظر (المغني في الطب) لابن التلميذ (مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم 353/ طب تيمور) الورقة الأولى وما بعدها.

ومثلما اهتم الأطباء بتصنيف الأمراض، اهتموا أيضًا بوضع مصنفات للأدوية والعلاجات، وعقدوا فصولا مستقلة في كتاباتهم عن تصنيف الأدوية، فنرى هذا واضحا في كتاب (الدرة البهية) لابن البيطار، حيث يشير إلى الأدوية والأغذية وأهميتها لبدن الإنسان، ويوضح اختلاف الدواء باختلاف المرضى والمرض، فنراه يقول: (إذا كان في كل دواء من الأدوية قوى كثيرة مختلفة لا توافق المرض الواحد من جميع جهاته، فيجب معرفة أدوية كثيرة مختلفة المزاج، أو القوة نافعة من مرض واحد يختار منها المعالج الأليق بغرضه، والأصلح لقصده بحسب ما يراه من الأسباب الخاصة). ويتابع ابن البيطار قوله: (واعلم أن الشيء الوارد على بدن الإنسان، إما أن يجعله البدن إلى ملازمته، وهذا هو الغذاء المطلق، وإما أن يغير هو البدن ويقهره، وهذا هو الدواء الفعال، وإما أن يغيره البدن ثم يعود هو فيغير البدن إلى مزاج كمزاجه وهذا هو الدواء المطلق، وإما أن يغير البدن ثم يعود البدن فيغيره آخر، وهذا هو الغذاء المداوي، ولما كان الدواء القتال أقوى من البدن غيره وأفسده والدواء المطلق والغذاء المداوي قوتها مقاربة لقوة البدن) [127][14]. والفرق بين الغذاء والدواء، أن الغذاء يفعل فيه البدن، والدواء يفعل هو في البدن، ومن هنا نرى أن الأطباء المسلمين يعتمدون في أول الأمر على التغذية ثم الأدوية ثانيا.

(127) ابن البيطار: الدرة البهية، طبعة محمد عبد الله الغزالي، مصر ط2 بدون تاريخ (رقم 37158/ طب قديم ص20، 21).

ومع أن التغذية لم تكن حتى منتصف القرن الماضي توصف بأنها (علم) إلا أنها صارت اليوم تخصصا علميا دقيقا) [128] . وتُعَدّ التغذية من البحوث الطبية الواسعة في العصر ـ الحديث[129]، ولكن الأطباء المسلمين وعلى رأسهم البيروني وابن البيطار كانوا ـ منذ وقت مبكر ـ ينظرون هذا النظر الصائب، فإننا نجد البيروني مثلا يوضح في كتابه (الصيدلة في الطب) أسلوبا طبيًّا راقيًا، كان متبعا عند الأطباء المسلمين في معالجاتهم وهو (ميلهم في العلاجات إلى الأغذية الدوائية أكثر منه إلى الأدوية السّمّيّة، إلا عند الاضطرار، وأوصوا بالاقتصار في العلاج على الأغذية والتنوع في تركيبها وترتيبها، فإن لم يقنع ذلك دون الأدوية، فالميل إلى بسائطها المفردة ثم من المركبة إلى ما هو أقل أخلاطا) [130] . فابن البيطار والبيروني، يؤكد كل منهما على أهمية التداوي بالأغذية الطبيعية والنباتات الطبية بدلا من استخدام العقاقير الكيميائية التي لها جوانب ضارة وآثار جانبية ـ ويبدو أن لديهم تجاربهم الخاصة وممارساتهم التي كشفت لهم صحة هذا ـ فإذا كان لابد من تناول عقاقير، فيفضل بسائطها المفردة على المركبة إذ الإكثار من العناصر التي تدخل في تركيب الدواء قد تكون لها عواقب وخيمة على صحة المريض، ويؤيد الطب الحديث هذا الأسلوب العلمي في النظر إلى الدواء، وقد أخذ يتجه إليه الآن بعد أن اكتشف الآثار الخطيرة لمركبات العقاقير، التي تصلح من جانب وتضر من جوانب أخرى.

(128) Rose: Foundation of Food . Sherman Chemistry of food and Nutnttion.

(129) البيروني: الصيدنة في الطب ص7، 8.

(130) ابن النفيس: المهذب في الكحل المجرب، تحقيق د. محمد ظافر الوفائي ود. محمد رواس قلعجي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) الرياض ص200 عام 1988م. يقول باحث معاصر (إن الدواء في أحسن صوره هو (سم مفيد) ولا يوجد دواء خال من المضاعفات، فأبسط هذه المضاعفات هي أمراض الحساسية للدواء والتي تختلف من فرد لآخر أو من جنس لآخر، وأخطر أنواع المضاعفات هو إحداث عاهات بالجسم قد تؤدي إلى الوفاة مثل= =السرطان، وضغط الدم، وهبوط الكلى، وأمراض الدم المختلفة واختلال وظائف الغدد (د. نبيل سليم: الدواء... هذا السم ـ مجلة الأمة العدد 43 أبريل 1984م).

ومن هنا لا يكون غريبا أن نجد (ابن النفيس) مثلا يقول في أحد كتبه: (إنا لا نؤثر على الدواء المفرد دواء مركبا إذا تم الغرض بالمفرد، لكنا قد نضطر إلى التركيب تارة لتقوية قوة الدواء وتارة أخرى لإضعافها) [131]. ومن هنا نلاحظ تعدد المستويات العلاجية بحسب قوة الدواء وقوة البدن، والملاحظ أيضًا أنهم كانوا يلجئون لإعطاء أقل الأدوية تأثيرا في الجسم عموما أملا في علاج المرض بأقل قدر من التدخل في تركيبه الفسيولوجي Physiology. وكما أشرنا من قبل أن الأطباء في هذه المرحلة قد عقدوا فصولا مستقلة في كتاباتهم الطبية عن تصنيف الأدوية والأغذية فنرى هذه الخاصية الكبرى كما هي واضحة عند ابن البيطار في كتابه (الدرة البهية) واضحة لدى (ابن النفيس) في موسوعته الكبرى (الشامل) الذي خصص بها ثمانية وعشرين كتابا للأدوية والأغذية المفردة، ونجد هذه الخاصية أيضًا عند طبيب آخر وهو (داود بن أبي البيان) الإسرائيلي (ت 634هـ) في كتابه (الدستور البيمارستاني) [132]. الذي وضعه في اثني عشر بابا، وهو كتاب يشتمل على الأدوية المركبة المستعملة في أكثر الأمراض المقتصر عليها في البيمارستان، وهذا أيضًا ما ظهر في كتاب (ابن عقيل) بهجة الفكر (حيث ذكر أن للدواء الواحد شكلين، شكلا إذا كان المريض طفلا، وشكلا آخر إذا كان المريض بالغا[133].

ومن تصفح مؤلفات ابن البيطار نجده وابن النفيس وابن أبي عقيل وغيرهم من أطباء المسلمين يهتمون بسِنّ المريض إذا كان طفلا أو بالغا، فكل سن تحتاج إلى دواء معين، كما اهتموا أيضًا بتصنيف الأدوية بحسب الأمراض وأنواعها، كما أن للأدوية واستخدامها درجات يجب على الطبيب عدم تخطيها[134] كما نلاحظ عند أبي العلاء بن زهر في كتابه (التذكرة) [135].

(131) داود ابن أبي البيان: الدستور البيمارستاني (مخطوط دار الكتب رقم 173/ طب تيمور) الورقة الأولى، وانظر د. هناء فوزي عامر: مناهج الأطباء العرب ص134، 135 دار سعاد الصباح عام 1993م.

(132) ابن أبي عقيل: بهجة الفكر ورقة 18أ.

(133) ويسمى بالتدرج في الدواء، وقد أشار الدكتور عبد الفتاح غنيمة إلى أن هذا التدرج يعرف حديثا بالتدرج في الجرعات Doses.

(134) أبو العلاء ابن زهر: التذكرة ص36.

(135) د. علي عبد الله الدفاع: إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة ص 400، 401 مؤسسة الرسالة، بيروت عام 1987م.

ابن البيطار بين الأسلوب العلمي والنقد المنهجي:

لقد ألّف ابن البيطار أوسع كتبه في موضوع علم النبات، وأعمقه، بل أهم كتاب ألف ـ كما يقول باحث معاصر[136] ـ في علم النبات طول الحقبة الممتدة من ديسقوريدس إلى القرن السادس عشر الميلادي، فقد كان هذا الكتاب (الجامع في الأدوية المفردة) دائرة معارف حقيقية في هذا الموضوع، ضمت بين دفتيها كامل الخبرات الإغريقية والعربية، لذا يجب القول إن ابن البيطار أعظم عالم نباتي وصيدلي في القرون الوسطى، ولو أخذت الأمور على حقيقتها فهو أعظم عالم نباتي وصيدلي في جميع العصور على حد تعبير المستشرق (رام لاندو) في كتابه (الإسلام والعرب).

وقد أوضح ابن البيطار في كتابه (الجامع في الأدوية المفردة) الأهداف التي اختارها فيه، ومنها يتجلى أسلوبه في البحث وأمانته العلمية عند النقل، واستناده على التجربة، كمعيار لصحة الأحكام إذ يقول: (يذكر ماهيات هذه الأدوية وقوامها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها، والمقدار المستعمل في جرمها أوعصارتها أو طبخها، والبدل عنها عند عدمها).

ويقول عن محتويات كتابه: (استوعبت فيه جميع ما في الخمس المقالات من كتاب الفاضل ديسقوريدس بنصه، وكذا فعلت أيضًا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست المقالات من مفرداته بنصه، ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية، ما لم يذكراه، ووضعت فيه عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يضعاه، وأسندت في جميع ذلك الأقوال إلى قائلها، وعرفت طريق النقل فيها بذكر ناقلها، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي ادخرته كنزاً سرياً، وأما ما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية نبذته ظهرياً، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه، ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه).

(136) جورج قنواتي: تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف، مصر عام 1959م.

وقد رتب ابن البيطار مفردات كتابه ترتيبا أبجديا، على طريقتهم المتبعة وقتذاك، مع ذكر أسمائها باللغات المتداولة في موطنها، ويقول (جورج سارتون) عن هذا الكتاب: (وقد رتب ابن البيطار مؤلفه الجامع في الأدوية المفردة ترتيبا يستند على الحروف الأبجدية، ليسهل تناوله، وقد سرد أسماء الأدوية لسائر اللغات المختلفة، واعتمد علماء أوروبا على هذا المؤلف حتى عصر النهضة الأوروبية).

ولقد تناول مؤرخو العلوم كتاب ابن البيطار السابق، وعلقوا عليه تعليقات ممتازة تدل على قيمته ومكانة المؤلف في مجال علم الأدوية (الصيدلة) يقول محمد زهير البابا في كتابه (تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة): (يعتبر كتاب الجامع في الأدوية المفردة لابن البيطار أهم مؤلف في العقاقير ظهر في اللغة العربية حتى زمنه، وصف فيه ما ينوف عن 1400 عقار، منها 300 عقار لم يرد ذكرها في المؤلفات الأخرى. أما جورج قنواتي في كتابه (تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط) فيقول: (كان القرن الثالث عشر الميلادي للأندلس قرنا ملحوظا لأفول نجمه السياسي وتوقف حركته العلمية، إلا أنه شهد ظهور أكبر موسوعة خاصة بالأدوية المفردة وصلتنا من القرون الوسطى وهي الكتاب الجامع لمفردات الأدوية المفردة لابن البيطار) [137].

ومن الجدير بالذكر أن ابن البيطار التزم بأسلوب الكتابة الدقيقة في تأليفه للكتاب، بل أعد كتابه بطريقة ترتيبه على حروف المعجم وذلك ليسهل على الطالب بطلبه من غير مشقة ولا عناء ولا تعب. واتسم أسلوبه العلمي بالنزعة النقدية، مع التزام الموضوعية والنزاهة العلمية. وذلك يتضح لنا من خلال مناقشته لآراء السابقين عليه من العلماء والأطباء والعشابين، فلقد نقدهم في عدة أمور، وكان نقده بناءً؛

(137) ابن البيطار: الجامع في الأدوية المفردة ص 4.

فهو يرفض الآراء التي يثبت أن ناقلها قد انحرف عن سواء السبيل ومنهج العلماء السليم، أو لأنها لم تثبت أمام مقاييسه العلمية التي يعتمد عليها وهو لا يكتفي برفضها، بل إنه يتجاوز الرفض، إلى توجيه النقد الشديد إلى الناقل أو القائل، لأنه افترى على الحق) [138].

وهكذا يتبين لنا أن علة نقده للسابقين لم تقتصر على الطب بمعناه الضيق، وإنما ظهر أيضًا في علم الصيدلة، وهناك العديد من الشواهد التي تدل على النزوع النقدي في هذا النوع من الكتابات والبحوث الخاصة بهذه المرحلة من تاريخ الصيدلة في الأندلس، من ذلك ما نجده عند ابن البيطار الذي قام بنقد كتاب (منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) وهو الكتاب الذي جمع فيه ابن جزلة (ت 493هـ) الأدوية والأغذية والأشربة، فقام ابن البيطار ونبه على أخطائه وما غلط فيه من أسماء الأدوية، وذلك في كتابه الذي رتبه على حروف المعجم، وجعله بعنوان (الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام) حيث يقول في مقدمته: (أما بعد فإنه ما أشار علي من خلصت بإرادة الخير لي نيته، وندبني إلى ما رجوت ـ أن أتعرض لبعض الكتب الموضوعة في الحشائش والأدوية المفردة، فأستطلع بسائط أدويته وأتعقب ما جرى فيها من التباس أو غلط وأُعلم بما وقع فيه من الأوهام في الأسماء والمنافع، فوضعت في ذلك مقالة، تشتمل معناها على وفاء المقصود، معتمدا على يقين صحيح أو تجربة مشهودة أو علم متحقق) [139].

وإذا كان ابن البيطار قد استطاع أن يرسي قواعد المنهج النقدي، فإنه أيضًا قد وضع أسس المنهج العلمي، ويحددها في أهداف ستة هي: استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار، والمقصود بذلك جمع مادته العلمية الطبية الخاصة بلغاتها المختلفة، والأمانة العلمية عند النقل، والتحقق من صحة الأدوية، والاعتماد على الملاحظة والمشاهدة، والاختبار وإجراء التجارب اللازمة للأدوية التي استعان بها في علاجه للأمراض ووصف الأعشاب والنباتات، كما أنه قام بتحضير الأدوية واستخدام النسبة والكمية في إعداد الكميات اللازمة للعلاج، وحذّر من الإفراط في أخذ العلاج

(138) ابن البيطار: الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام (مخطوط مكتبة الحرم المكي رقم 26/ 1طب ـ ف15) ورقة 2ب.

(139) السابق نفسه.

أو الابتعاد عن أخذ الكمية المحددة. ومن خلال المقارنة بين طريقة ابن البيطار والطريقة التي يسير عليها العلماء المحدثون نجد أنه توجد جوانب مشتركة بين ابن البيطار والعلماء الذين اعتمدوا على المنهج التجريبي الذي يقوم على الملاحظة، ويمكن أن نستدل على معنى الملاحظة من خلال مؤلفات ابن البيطار بالقول: إن الملاحظة عنده تعني التوجه الحسي- والعقلي المقصود إلى ظاهرة من المظاهر للكشف عن حقيقتها ومعرفة علّتها وليس الوقوف أمامها دون تعليل علمي لها، وقد ذكرها ابن البيطار بلفظ المشاهدة(140).

واستخدم ابن البيطار (التجربة) وكان يطلق عليها اسم (الاختبار) فقد قام بممارستها عند اختباره للأعشاب والنباتات لكي يستخرج منها العقاقير اللازمة لعلاج الأمراض، وكانت التجربة عنده مرتبطة بالفرض الذي يعد أبرز صور الإبداع العلمي، وذلك بتحقيق شروط الإبداع التي تكشف عن التماثل في المختلِف، والوحدة في المتنوع، عندما يعتمد الباحث على ربط مسار الوقائع في خط متصل، (فالفرض بذلك هو أكثر صور التعبير عن المشكلة العلمية خصبا وإنتاجا، فهو بذلك تخمين وحدس يتضمن ظرفا لم يبرهن عليه بعد في الوقائع المتاحة، ولكنه جدير بالاستكشاف).

وكما يؤكد الدكتور أحمد أبو باشا أن الفروض العلمية من أهم خطوات التفكير العلمي، لأن ملاحظة الظواهر وإجراء التجارب عليها لن يكون ذا قيمة إلا إذا تدخل الباحث مفسرا لما لاحظه أو جربه، مفترضا وجود علاقات معينة تكفي لفهم سلوك الظاهرة المعينة والتعرف على أسباب ونتائج حدوثها وعلى الباحث أن يمتحن فرضه العلمي ليثبت صدقه) (141).

ولقد أدرك ابن البيطار أهمية الفرض ودوره الهام وعدّه هامًّا من عناصر المنهج التجريبي حيث إن له دورا حيويا في مجال البحث العلمي ومعرفة تركيب الأدوية والعقاقير وكيفية استخلاصها من النباتات والأعشاب والوصول إلى التحقق منها

(140) د. دولت عبد الرحيم: الاتجاه العلمي عند ابن البيطار ص347 السابق.

(141) د. صلاح قنصوه: فلسفة العلم ص191، 192 مصر عام 1978م.

وكيفية صحّتها وأهميتها لعلاج الأمراض. ولا أدل على ذلك من وصفه للنباتات والأعشاب من خلال ملاحظته لها، من حيث أوصافها وخصائصها ومنافعها الطبية والدوائية، وتأكيده على عنصر التجربة حين يقول: (فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدي بالتجربة لا الخبر) [142]، كما يقول في موضع آخر: (ما كان مخالفا في القوى والكيفية، والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عَدَلا فيه عن سواء الطريق نبذته ظهرا، وهجرته مليًّا، وقلت لناقله أو قائله: لقد جئت شيئًا فريًّا، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه، ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه) [143].

ويؤكد ابن البيطار ـ كما لاحظت ذلك باحثة في مؤلفاته[144] ـ على أهمية التجربة، ويقصد بالتجربة ما ثبتت صحته ويتحقق من صدقه من خلال ملاحظة النباتات وامتحان خواصها وتصنيفها ومتابعة أحوال النباتات ورصد مراحل تطورها، ثم القيام بعد ذلك بتدوين وتسجيل أسماء الأدوية، ويكتب الاسم مضبوطا بالشكل والنقط، فهو يتوخى الدقة والحرص في إقامة التجارب والاختبارات للنباتات. بل إن ابن البيطار يبين لنا منافع الأدوية، وأهميتها لعلاج الأمراض، ويحدد القدر المناسب منها ويحذر من الإفراط في استخدامها، لأنه قد يؤدي إلى الضرر بالإنسان، كما يبحث عن البديل منها للدواء الأصلي إذا كان غير متوفر، فليس من الضرر الاستعانة بغيره إذا لم يتيسر الحصول عليه[145].

(142) د. أحمد فؤاد باشا: فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ص121 القاهرة عام 1989م.

(143) ابن البيطار: الجامع ص4.

(144) د. دولت عبد الرحيم: الاتجاه العلمي عند ابن البيطار ص348، 349.

(145) ابن البيطار: الجامع ص5.

ولم يقتصر ابن البيطار على الاستعانة بالنباتات والأعشاب ذات الأصول النباتية بل هو قد استعان بذات الأصول الحيوانية، والتي يتخذ منها العقاقير، مثل حديثه عن (ابن عرس) وأصناف من الطير، وبعض الأرانب البرية، وبعض الحيوانات البحرية، وهو في كل ذلك يعرض لتشريح بعضها ويعتمد على الوصف والملاحظة الدقيقة، إضافة إلى إجراء التجارب عليها واستخلاص أدوية من بعضها. كما تناول بالوصف والشرح عددا من الأدوية والعقاقير ذات الأصول المعدنية، والأحجار التي يمكن الاستفادة منها في استخراج مواد فعالة علاجيا فيذكر الآبار وهو الرصاص ومعادن وأحجارًا أخرى.

ابن البيطار واستقرار المصطلح الطبي:

ولم تقتصر جهود ابن البيطار على ذكر مئات الأدوية والعقاقير، وإضافة عشرات من الأصناف ذات الأصول النباتية والحيوانية والمعدنية التي لم تكن معروفة من قبل، ويساهم في تأسيس الصيدلة العربية على أسس علمية وتجريبية، بل هو قد ساهم في استقرار المصطلح الطبي العربي وأثرى معجمه الذي أصبح من بعده مصدرا ثريا لكل أطباء أوروبا والغرب.

ويبدو أن اهتمام الأطباء العرب في القرنين السادس والسابع الهجريين بعلوم اللغة إلى جانب اشتغالهم بالطب كان له أكبر الأثر في صياغة واستحداث المصطلح الطبي، فإننا نجد (ابن التلميذ) كان يحضر مجلسه الطبي خلق كثير يقرؤون عليه، وكان اثنان من النحاة يلازمان هذا المجلس ولهما منه الإنعام والافتقاد، فإذا وجد أحد المشتغلين عليه يلحن في قراءته، يترك أحد ذينك النحويين يقرأ عنه وهو يسمع) وقد قال عنه أصدقاؤه:إنه كان من المتميزين في العربية) [146].

(146) انظر بحث الدكتور عبد الأمير الأعسم: المصطلح الفلسفي عند العرب ص89 وما بعدها الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1989م.

وقد شهد القرنان السادس والسابع الهجريين مجموعة من كبار الأطباء الذين كانت لهم شهرة كبيرة في علوم اللغة، فنجد عبد اللطيف البغدادي ـ من كبار الأطباء العرب ـ يضع مؤلفا في اللغة وعلومها[147].

ونجد ابن النفيس ـ مكتشف الدورة الدموية الصغرى ـ يختصر من تصنيفه في اللغة العربية كتابا في جزأين، يروي العمري أن النحوي الكبير ابن النحاس يقول: (لا أرضى بكلام أحد في القاهرة في النحو غير كلام ابن النفيس) [148].

وقد كان هذا الأخير يهتم اهتماما كبيرا بتحديد مفهوم كل مصطلح، وتوضيح دلالة كل لفظ يستخدمه، وهو منتبه لخطورة هذا الأمر، وما يحدثه غموض اللفظ أو عدم تحديده من فوضى معرفية، ولهذا احتشدت عملية تعريب المصطلح اليوناني، وعقدوا لذلك فصولا مستقلة في كتاباتهم كما فعل (القلانسي السمرقندي) (ت 620هـ) في كتابه (الأقراباذين) [149] حين خصص الباب العشرين منه لموضوع (في تغيير أسامي الأدوية المركبة باليونانية) [150].

ثم تلاه بباب جعله بعنوان (في شرح أسامي الأدوية المركبة بالعربية) [151]. وقد أدّت هذه الجهود التي نرى أن الخوارزمي في كتابه (مفاتيح العلوم) وكذلك البيروني في كتابه (التفهيم لأوائل علم التنجيم) قد بدأها منذ وقت مبكر، إلى ترادفات اصطلاحية حاول علماء هذه المرحلة أن يحيطوا بها، كما نرى في مختصر مفردات ابن البيطار، حيث يبدأ المؤلف حرف الميم بشرح معنى مصطلح (حَب الملوك) فيقول: (ما هو بذاته تأويله بالفارسية القائم بنفسه، أي أنه يقوم بذاته في الإسهال ويسميها عامة الأندلس طرطقة وبعضهم يسميه بالسيسبان، ويعرف بحَب الملوك عند أطباء المشرق) [152].

(147) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ص353.

(148) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار مخطوط دار الكتب المصرية رقم 99/ مجاميع تاريخ 7/ 228.

(149) انظر دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ص2/ 461.

(150) أقراباذين القلانسي (مخطوط المتحف العراقي 11580/ طب وصيدلة) ورقة 17 ب.

(151) السابق ورقة 20ب.

(152) ابن أبي عقيل: بهجة الفكر، ورقة 6 ب وما بعدها.

وفي إطار هذه الجهود الرامية إلى إقرار مصطلح جديد، ظهرت عند أطباء المرحلة مقدرة فائقة على ربط اللفظ العربي الجديد بالدلالة الخاصة به وتأسيس المصطلح الطبي على إطار اللغة وجذور الاشتقاق، كما يظهر ذلك واضحا من خلال تلك التعليمات التي يقدمها ابن أبي عقيل (ت 657هـ) في كتابه (بهجة الفكر) في شرحه لمكونات العين وتشريحه الدقيق لها[153].

من خلال هذه الجهود العلمية الدقيقة للأطباء العرب استقر مصطلح طبي وعربي متكامل تجانست فيه لغة العلوم الطبية وتم احتواء ما بقي من مصطلحات يونانية لن يتم تعريبها لنسبتها إلى أشخاص بعينهم مثل (ترياق ـ المثرود يطوس). وقد أسهم انضباط المصطلح الطبي واستقراره في انضباط البحث العلمي واتصاله بعيدا عن أي تشتت منهجي يمكن أن يؤدي إليه عدم الدقة في استخدام المصطلح الطبي[154]، وكان لهذا انعكاسه الملموس في تطور المصطلح العلمي عند العرب والمسلمين في مختلف العلوم الطبيعية، واتجاهها إلى مزيد من الدقة والموضوعية. وهكذا كانت لبحوث ابن البيطار في عالم الأعشاب والنباتات الطبية، وكذلك تجاربه الدوائية، واعتماده على الملاحظات الدقيقة والتجارب العميقة في هذا العلم التجريبي أثره الذي لا ينكَر في تقدم هذا العلم وتطوره على يد العرب والمسلمين، خاصة وأن المسلمين تمكنوا من صياغة المصطلحات الطبية المناسبة وقاموا بتعريب كثير منها وتطوير مشتقاتها اللغوية، مما ساعد على تكوين المعجم الطبي العربي الذي أصبح مصدرا علميا دقيقا لأطباء العالم، ساعدهم على تطوير علم الصيدلة فيما بعد. ومن المؤكد أن تأثير ابن البيطار وأمثاله من التجريبيين المسلمين المشتغلين بالنباتات والأعشاب والكيمياء الدوائية، والمؤلفين لكتب في علم الصيدلة والعقاقير الطبية ـ قد وصل أثره العميق إلى أوروبا في عصر النهضة، مما دعا المستشرقة (زيغريد هونكه) إلى القول بأن (اثنان أخذا علمي الأدوية والكيمياء العربية كعلوم منبثقة عن التجربة والمراقبة وفي خدمة الحياة المتطورة وحاولا إنقاذ ميزاتها التجريبية، وهما روجر بيكون وأرنولد الفيللانوفي،

(153) د. هناء فوزي عمر: مناهج الأطباء العرب 150، 151 سابق.

(154) زيغريد هونكه: شمس الله ص334.

فقد رأيا في التجربة التي أخذاها عن العرب السبيل الحقيقي للوصول إلى نتائج حاسمة في العلوم الطبيعية، وخاصة في الكيمياء، وعاصرا التأثير العربي في ميدان علم العقاقير في أوروبا فترة النهضة وتعداها حتى وصل إلى القرن التاسع عشر، حيث ترجمت أجزاء من كتاب (الجامع) لابن البيطار، واستعملت مصادر عربية في تصنيف الأقراباذين الأوروبي) حتى تقول المستشرقة (هونكه): كل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكاري للعبقرية العربية.

شعره

تفتّحـــت الكتابـــة عـــن نســـيم ... المســـــك في خُلُـــــقٍ كـــــريمِ
أبـــا نصرٍ ـ رســـمْت لهـــا رســـوما ... تُخـــالُ رسومـــها وضـــح النجـــوم
وقــد كانــت عفــتْ فــأنرت مــــنها ... سراجـــاً لاح فـــي العليـــل البهـــيمِ
فتحــت مــــن الصــناعة كــل بــابِ ... فصـــارت فـــي طريـــقٍ مســـتقيمِ
فكتّـــاب الزمـــانِ ولســـتُ مـــــنهم ... إذا رامـــوا مَرامـــك فــــي همـــومِ
فمــــا قُـــسٌّ بأبـــدعَ منـــك لفظـــاً ... ولا سَـــحْبانُ مثلـــك في العــــلومِ



19 ـ ابن أبي الحوافر

الاسم : عثمان بن هبة اللهّ بن أحمد بن عقيل.

تاريخ الميلاد : 554هـ.

مكان الميلاد : دمشق. .

تاريخ الوفاة : 619هـ.

مكان الوفاة : القاهرة .

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : شامي.

المهنة : طبيب ـ أديب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

جمال الدين بن أبي الحوافر[155]: هو الشيخ الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة اللهّ بن أحمد بن عقيل القيسي ويعرف بابن أبي الحوافر أفضل الأطباء وسيد العلماء وأوحد العصر وفريد الدهر قد أتقن الصناعة الطبية وتميز في أقسامها العلمية والعملية وله اشتغال جيد بعلم الأدب وعناية فيه وله شعر كثير صحيح المباني بديع المعاني وكان رحمه اللهّ كثير المروءة عزيز العربية معروفاً بالأفضال موصوفاً بحسن الخلال قد غمر بإحسانه الخاص والعام وشملهم بكثرة الإنعام مولده ومنشؤه بدمشق واشتغل بصناعة الطب على الإمام مهذب الدين بن النقاش وعلى الشيخ رضي الدين الرحبي وخدم بصناعة الطب الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين وأقام معه في الديار المصرية وولاه رياسة الطب ولم يزل في خدمته وهو كثير الإحسان إليه والإنعام عليه إلى أن توفي الملك العزيز رحمه اللهّ وكانت وفاته ليلة الأحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بالقاهرة وبقي هو مقيماً بالديار المصرية وقطن بها ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب وبقي معه سنين وتوفي جمال الدين بن أبي الحوافر رحمه الله بالقاهرة سنة619هـ. كان يوماً راكباً فرأى في بعض النواحي على مصطبة بياع حمص مسلوق وهو قاعد وقدامه كحال يهودي وهو واقف وبيده المكحلة والميل هو يكحل ذلك البياع فحين رآه على تلك الحال ساق بغلته نحوه وضربه بالمقرعة على رأسه وشتمه وعندما مشى معه قال له إذا كنت أنت سفلة في نفسك أما للصناعة حرمة كنت قعدت إلى جانبه وكحلته ولا تبقى واقفاً بين يدي عامي بياع حمص فتاب أن يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف.واشتغل على الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر جماعة وتميزوا في صناعة الطب وأفضل من اشتغل عليه منه وكان أجل تلامذته وأعملهم الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة رحمه اللهّ .

(155) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة:ج2 ص119 ـ120 .

– التكملة للمنذري ج3 ص 1883 .

– أعيان العصر للصفدي:ج2 ص 138 . اسمه عثمان بن أحمد بن عثمان.

– الوافي : ج7 ص 339 رقم 7654 .

شعره

لم نحظ بشعره.



20 ـ ابن العين زربي

الاسم : عدنان بن نصر بن منصور

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : عين زربة.

تاريخ الوفاة : 548 هـ

مكان الوفاة : القاهرة ـ مصر

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : شامي .

المهنة : طبيب ـ صيدلي

موجز السيرة

ابن العين زربي هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة وأقام ببغداد مدة واشتغل بصناعة الطب بالعلوم الحكمية ومهر فيها وخصوصاً في علم النجوم ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية إلى حين وفاته وخدم الخلفاء المصريين حظي في أيامهم وتميز في دولتهم وكان من أجل المشايخ

وأكثرهم علماً في صناعة الطب وكانت له فراسة حسنة وإنذارات صائبة في معالجته وصنف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب



وفي المنطق وفي غير ذلك من العلوم وكانت له تلاميذ عدة يشتغلون عليه

وكـل مـنهم تميـز وبـرع في الصـناعة وكـان ابـن العـين زربي في أول أمـره إنـما يتكسـب بالتنجيم(□□□).

(156) ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم . عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت.)

– ابن البيطار ، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد . الجامع في مفردات الأدوية والأغذية ، المجلد الأول والثاني ، دار صادر ، بيروت ، (د. ت.).

– ابن سينا ، الحسين بن علي . القانون في الطب ، دار صادر ، ثلاثة أجزاء ، بيروت ، (د. ت.)

– تركماني ، يوسف بن عمر . المعتمد في الأدوية المفردة ، دار المعرفة ، بيروت 1982 .

– الجوزية ، ابن القيم . الطب النبوي ، (د. ت.) .

– حمارنة ، سامي خلف . « الطبيب العربي ابن العين زربي وأبحاثه في العلل والعلاج » ، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة عام 1976 م ، منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، 1977 .

– حمارنة ، سامي خلف . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الطب والصيدلة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، تاريخ النشر 1969 .

– الرازي ، أبو زكريا محمد بن زكريا . التقسيم والتشجير ، منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، تحقيق محمود صبحي حمامي 1992.

– رويحة ، أمين . التداوي بالأعشاب ، دار القلم ، بيروت لبنان ، الطبعة السابعة 1983.

– الزربي ، موفق الدين أبو النصر عدنان بن نصر بن منصور بن العين زربي ، الكافي في الطب ، النسخة المارونية ، النسخة الظاهرية .

– الزهراوي ، أبو القاسم خلف بن عباس . (ALBUCASIS) التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة الثلاثون ، (د. ت.) .

– سامرائي ، كمال . مختصر تاريخ الطب العربي ، منشورات دار النضال بيروت ، الطبعة الأولى 1990 .

– ششن ، رمضان . فهرس مخطوطات الطب الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا ، ص 293 تاريخ النشر 1984 م / 1404 هـ .

– الشطي ، أحمد شوكت . تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، 1990 ، منشورات جامعة حلب .

– القرطبي ، غريب بن سعيد . الجنين وتدبير الحبالى والمولودين .

– قسم الفهرسة والتصنيف ، فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي . منشورات جامعة حلب لعام 1980 تسلسل 280 ص 57 تحت رقم 1345 .

– قطاية ، سلمان . مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة ، منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، 1976 .

=

وأن سبب اشتهاره في الديار المصرية واتصاله بالخلفاء أنه ورد من بغداد رسول إلى ديار مصر. وكان يعرف ابن العين زربي ببغداد وما هو عليه من الفضل والتحصيل والإتقان لكثير من العلوم فلما كان ماراً في بعض الطرق بالقاهرة وإذا به قد وجد ابن العين زربي جالساً وهو يتكسب بالتنجيم فعرفه وسلم عليه وبقي متعجباً من كثرة تحصيله للعلوم وكونه متميزاً في علم صناعة الطب وهو على تلك الحال وبقي في خاطره ذلك فلما اجتمع بالوزير وتحدثا أجرى ذكر ابن العين زربي وما هو عليه من العلم والفضل والتقدم في صناعة الطب وغيرها وكونهم لم يعرفوا قدره ولا انتهى إليهم أمره وإن الواجب في مثل هذا لا يهمل فاشتاق الوزير إلى رؤيته والاجتماع بمشاهدته فاستحضر وسمع كلامه فأعجب به واستحسن مما سمعه منه وتحقق فضله ومنزلته في العلم وأنهى أمره إلى الخليفة فأطلق له ما يليق بمثله ولم تزل أنعامهم تصل إليه ومواهبهم تتوالى عليه.

وكان ابن العين زربي خبيراً بالعربية جيد الدراية لها حسن الخط وله كتباً عدة في الطب وفي غيره بخطه هي في نهاية الحسن والجودة ولزم الطريقة المنسوبة وكان أيضاً يشعر وله شعر جيد وتوفي رحمه اللهَّ في ثمان وأربعين وخمسمائة بالقاهرة وذلك في دولة الظافر بأمر اللهَّ.

= - القلنسي، بدر الدين القلنسي محمد بن بيرم القلنسي السمرقندي. أقرابازين القلنسي، دراسة وتحقيق محمد زهير البابا، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، 1983.

- القمري، أبو منصور الحسن بن نوح. كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، تحقيق وفاء تقي الدين (د. ت.).

- كعدان، عبد الناصر. الجراحة عند الزهراوي، دار القلم العربي، حلب سورية، الطبعة الأولى 1420 هـ/ 1999م.

- المجوسي، علي ابن عباس. كامل الصناعة الطبية – مطبعة بولاق ج2: 249 – 273.

- موالدي، مصطفى. «طريقة جديدة في تأصيل النسخ الخطية» مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد 36 الجزءان 1، 2. جماد الثاني – ذي الحجة 1412 هـ، يناير – يوليو1992 م، إصدار معهد المخطوطات العربية في القاهرة.

مؤلفاته:

ولابن العين زربي من الكتب كتاب الكافي في الطب وصنفه في سنة عشر ـ وخمسمائة بمصر ـ وكمل في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسمائة شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس الرسالة المقتنعة في المنطق ألفها من كلام أبي نصر ـ الفارابي والرئيس بن سينا مجربات في الطب على جهة الكناش جمعها ورتبها ظافر بن تميم بمصر ـ بعد وفاة ابن العين زربي رسالة في السياسة رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل مقالة في الحصى وعلاجه.

شعره

لم نحظ بشعره.



21 ـ ابن إبراهيم المغربي

الاسم : علي بن إبراهيم المغربي.

تاريخ الميلاد: غير محدد.

مكان الميلاد :غير محدد

تاريخ الوفاة : غير محدد.

مكان الوفاة : مراكش

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : أندلسي.

المهنة : عالم نبات ـ طبيب.

شعره

أرجوزة الفواكه الصيفية:

أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية لأبي الحسن علي بن إبراهيم المغربي الطبيب المراكشي- (ابن البلد) وهي منشورة بتحقيق الأستاذ عبد الله بنصر العلوي. وقد قدم لها وختمها بدراسة قيمة جدا، تقع في زهاء خمسين صفحة، وأما الأرجوزة فعدد أبياتها 293 بيتا، تناول فيها وصف كل فاكهة وذكر فوائدها.

وصف المخطوطة:

منظومة في الفواكه : لناظمها الشيخ الحكيم أبي الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي الطبيب .

ومنظومته في الفواكه، نظمها على بحر الرجز، قصد منها نقد عادة الناس في أكل الفواكه بدون معرفة قيمتها ومتى يجب أكلها ومتى لا يجب ذلك. وهي تكشف عن اكتساب صاحبها لثقافة غذائية طبية

خط أندلسي جيد، والعناوين كتبت بالأحمر الفاتح

مسطرة : 25

مقاس : 200 / 160

مسجل برقم : 294 ق، في مجموع من ص. 2 إلى 14.

وأولها

الحمــــد لله علــــــى الـــــنعماء والشـــكر في الصـــباح والمســـاء

ورتبها حسب ظهور الفواكه في العام ، وأول ذلك المشماش، قال:

أول مايبـــــدو لنــــا المشـــماش عــــن كــل ضر حـــاضر فتـــاش

ذو صــولة تسـطو عـلى الأجسـاد بسرــــعة لجهـــــــة الفســــاد

وجـــاء مـــن أسمائـــه البرقـــوق والنـــاس فـــي تعريفـــه فـــروق

وعلق المحقق بأن المشماش هو المشمش، واستشهد بقول ابن المعتز

ومشـمش بـان منه أعجـب العجـب يـدعو النفـوس إلى اللـذات والطـرب

كأنـه في غصـون الـدوح حـين بـدا بنادق خرطـت مـن خـالص الـذهب

الدلاع والبطيخ

الـدلاع عـلى وزن الصـباغ والـدباغ والمقصـود بـه في الأرجـوزة البطـيخ الأخضرـ، أحمر اللـب. ويعرف في دمشق بالبطيخ والحبش.

قال:

وربما نعرفه بالسندي   وربما يقال فيه الهندي أفضله

أعظمه ضخامة   وحمرة اللون له علامة

وأما البطيخ المذكور في الأرجوزة فهو البطيخ الأصفر، ويعرف في دمشق بالشمام والآؤون والبطيخ الأصفر.

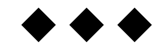
وقد استوقفني في الأرجوزة عند ذكر خواص الدلاع والبطيخ، أن الدلاع (أي البطيخ الأخضر) ينفع في تخفيف آثار الحمى.

قال:

في حميات أصلها المرارة   ملطف مبرد الحرارة

وذلك على عكس البطيخ الأصفر الذي قال في وصفه:

وكله يميل للفساد   وجالب الحمّى إلى الأجساد



22 ـ ابن روبيل

الاسم : على بن محمد بن إبراهيم

بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن يوسف.

تاريخ الميلاد : 654هـ.

مكان الميلاد : غرناطة.

تاريخ الوفاة : 730هـ.

مكان الوفاة : غرناطة

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : أندلسي.

المهنة : صيدلاني ـ فقيه.

موجز السيرة

على محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن يوسف بن رويبل الأنصاري من أهل غرناطة[157] ويكنى أبا عبد الله ويعرف بابن السراج.طليطلى الأصل طبيب الدار السلطانية.

كان رحمه الله من أهل التفنن والمعرفة متناهي الأبهة والحظة جميل الصورة مليح المجالسة كثير الدعابة والمؤانسة ذاكرًا للأخبار والطرف صاحب حظ من العربية والأدب والتفسير قارضًا للشعر حسن الخط ظريف الوراقة طرفًا في المعرفة بالعشب وتمييز أعيان النبات سنيًا محافظًا محبا في الصالحين ملازمًا لهم معنيًا بأخبارهم متلمذًا لهم. انحاز إلى الولي أبي عبد الله التونسي وانقطع إليه مدة حياته ودون أحواله وكراماته.وعين ريع ما يستفيده في الطب صدقة على يديه أجرى ذلك بعد موته لبنيه.

ونال حظًا عريضًا من جاه السلطان فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين فكان على باوه على أهل الدنيا يوثر ذوي الحاجة ويخف إلى زيارتهم ويرفدهم ويعينهم على معالجة عللهم. قرأ الطب على الشيخ الطبيب. وقرأ القرآن على المقري الشهير أبي جعفر الطباع بالروايات السبع والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصايغ الاشبيلي وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير. ميلاده: بغرناطة عام أربعة وخمسين وستمائة. وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعمائة.

مؤلفاته: ألف كتبًا كثيرة منها في النبات والرؤيا. ومنها كتاب سماه السر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع.

(157) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة.

شعره

شعره من ذلك قوله ملغزًا في المطر:

وما زاير مهما أتى ابتهجت به ... نفوس وعم الخلق جودًا وإحسانا
يقيم فيشكو الخلق منه مقامه ... تُخَالُ رسومها وضح النجوم
قد كانت عفتْ فأنرت منها ... ويكربهم طرا إذا عنهم بانا
يسر إذا وافى ويكرب إن نأى ... ويكره منه الوصل إن زار أحيانًا
وأعجب شيء هجر حب مواصل ... به حين يطل هواه إن لم يطل خانا

23 - ابن أرفع الرأس





الاسم : على بن موسى بن على بن موسى بن محمد بن خلف.

تاريخ الميلاد : غير محدد

مكان الميلاد : غير محدد.

تاريخ الوفاة : 593هـ.

مكان الوفاة : غير محدد.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : أندلسى

المهنة : عالم (كيمياء ـ أديب).

موجز السيرة

على بن موسى الأنصاري الأندلسي المعروف بابن أرفع رأس[158] .

هو علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف أبو الحسن بن النقرات الأنصاري السالمي الأندلسي- الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس وهو صاحب كتاب «شذور الذهب في صناعة الكيمياء» توفي سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه إن لم يعلمك صنعة الذهب فقد علمك صنعة الأدب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء وقصيدته الطائية أبرزها في ثلاثة مظاهر مظهر غزل ومظهر قصة موسى والمظهر الذي هو في الأصل صناعة الكيمياء وهذا دليل القدرة والتمكن . ووجدت له ترجمة أخرى باسمه الذى كان يعرف به وهو (ابن أرفع رأس). هو الحكيم الرئيس برهان الدين أبي الحسن علي بن موسى القاسم ابن علي المعروف بابن أرفع رأس (أو رأسه) الأندلسي (المتوفي عام 593هـ) . وتوجد مخطوطة تسمى : (غاية السرور فى شرح ديوان الشذور) للشارح: على بن أيدمر الجلدكى ـ كيميائي جليل معروف. إلا أن هذه النسخة ناقصة من أولها عشرون صفحة (هكذا فى الأصل)[159].

(158) الصفدي : صلاح الدين خليل ابن أيبك. الوافى بالوفيات تحقيق ، أحمد الأرناءوط ، وتركي مصطفى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان الجزء الثالث والعشرون ط1 . سنة 2001 م.

- الكتبي : محمد بن شاكر ، فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق ـ د إحسان عباس دار صادر بيروت الجزء الثالث.ص 106 .

- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور / إحسان عباس ، بيروت 1968 م. الجزء الثاني ص 269 ، ص 271 م. والجزء الثالث ص 605 .

- ابن الآبار: التكملة ، القاهرة 1955م . رقم : 1877 .

(159) د. جلال شوقي : العلوم العقلية فى المنظومات العربية ــ دراسة وثائقية ونصوص . الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) سنة 1990 م. ص 542 .

- فوات الوفيات مصدر سابق ص 107 ،108 .

شعره

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى غنينا فلم نبدل بها الأثل والخمطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها تشب لنا وهنا ونحن بذوي الأرطى
فلما أتيناها وقرب صبرنا على السير من بعد المسافة ماشتطا
نحاول منها جذوة لاينالها من الناس من لايعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدس شاطئا إلى الجانب الغربي نلتمس الشرطا
وقد أرج الأرجاء منها كأنها لطيف شذاها تحرق العود والقسطا
وقمنا فألقينا العصا في طلابها إذا هي تسعى نحونا حية رقطا
وثار لطيف التقع عند اهتزازها فأظهر من نور الظهيرة ما غطى
وأهوت إلى مادوننا من رماله وأمواهه والصخر تتهمها سرطا
فأدبر من لايعرف السر خيفة وأقبل منها من يروم بها سقطا
ومد إلى الفيلسوف يمينه فجاذبها أخذا وأوسعها ضغطا
فصارت عصا في كفه وأجنحا فأخرجها بيضاء تجلو الدجى كشطا
فلم أر ثعبانا أذل لعالم سواها ولا منهاعلى جاهل أسطى
هي المركب الصعب المرام وإنها ذلول ولكن لا لكل من استمطى
فأعجب بها من آية لمفكر يقصر عن إدراكها كل من أخطا
وأعجب من أحوالها تلك عودها إلى حالها بدءا إذا ملكت هبطا
وتفجيرها من صخرة عشرة أعين واثنتين تسقي كل واحدة سبطا
وتفليقها رهوا من البحر فاستوى طريقا فمن ناج ومن هالك غمطا
فتلك عصانا لاعصى خيزرانة ولكن لبن الدهن صبرها نفطا
وخضراء للشطآن تحت ظلالها مقيل تقي عن بردة الروم
تسيل بماء الخلد أبيض صافيا إذا ماشرطناها عليساقها شرطا

ومـن قبـل مـاأغوى أبانـا بـذوقها فـذاق فأخطـأ والقضـاء فـما أخطـا
قطفـت جناهـا واعتصر ـت مياههـا فأجمدت ماستعلى وذوبت مـا انحطى
ولينــة الأعطــاف قاســية الحشــا إذا نفثـت في الصـخر تصـدعه هبطـا
كــأن عليهــا مــن زخــارف جلــده رداء مــن الــوشي المفــوف أو مرطــا
توصـــل إبلـــيس بهـــا في هبوطـــه إلى الأرض من عـدن ففارقهـا شـحطا
وكانــــت وشــــيطائيل حربـــا لآدم وحـواء مادامـا عـلى الكـرة الوسـطى
أمــت بهــا حيــا وســودت أبيضــا وأسرعـت في قلـع السـواد فـما أبطـا
وأحيت تلك الأرض من بعـد موتهـا بري وكانت تشتكي الجدب والقحطا
ولاقطة حب القلوب بحسنها نحطا تعـــذبها شـــوقا وتقتلهانحطــــا
كـأن العيـون مـن البـدر المنير مشـابها عقـدن نطاقـا أو عـلى جيـدها سـمطا
كـأن مـن الصـدغ الـذي فـوق خـدها ومن أنجـم الجـوزاء ومـن خالـه نقطـا
ظفـرت بهـا بـالنفس مـن جسـم أمهـا كـما ظفـرت بالقلـب في صـدره لقطـا
ورضـعتها بالـدر مـن ثـدي بنتهـا فعاشت وكانت قبـل ماتـت بـه عبطـا
وصـــبرتها بنتـــا وصـــبرت بنتهـــا لهـا مرضـعا فأعجـب لراضـعة شـمطا
فحالــت هنــاك البنــت والأم دفعــة فتـــى لم يزاحمـــه العـــذار ولااختطـــا
لــه منظــر كالشــمس يعطــي ضــياءه ولـيس كمثـل البـدر يأخـذ مـا أعطـى
فهـذا الـذي أعيـا الأنـام فأضـمروا لمـن وضـع الأرمـازفي عملـه سـخطا
وهـذا هـو الكنـز الـذي وضـعوا لـه بـــرابي أخمـــيم وخصـــوا بهـــا قفطـــا
وتحصـــيله ســـهل بغـــير مشـــقة لمـن علـرف التطهـير والعقـد والخلطـا

وأقـــدر إنســـان عليـــه مجــــرب　　　أقـام بنـور القلـب في وزنـه القسـطا
أبــا جعفــر خــذها إليـك يتبعــة　　　تـــورع لوقـــا أن يورثهـــا قســـطا
ولكننـــي لمـــا رأيتـــك أهلهــــا　　　ســمحت بهــا لفظـا وأنبتهـا خطـا

انظر بقية القصيدة، في (الوافي) وهي (43) بيتا، من نفائس الشعر العربي.قال الصفدي (وعدد أبيات الشذور ألف وأربع مائة وتسعون بيتاً، جميعها من هذه المادَّة، وهذا فنٌّ لا يقدر عليه غيره، ولا أعرف لأحدٍ مثل هذا؛ نعم، المتنبي وبعض شعراء العرب الفحول، لهم قدرةٌ على إبراز صورة الحرب في صورة الغزل، فتجد حماساتهم تشبه الأغزال) [160].

وأما ابن أيدمر الجلدكي فهو صاحب كتاب (المصباح) في علم الكيمياء، وهو مطبوع قديما في بومباي بالهند سنة (1302هـ) وانظر في (كشف الظنون) التعريف بكتاب علي بن موسى، وفيه ذكر لشرح الجلدكي وسماه (غاية السرور) وغير ذلك من الشروح. منها شرح للجوبري صاحب (كشف الأسرار وهتك الأستار).وله ديوان شذور الذهب في الصنعة، وهو عبارة عن مجموع قصائد في علم الكيمياء مرتب على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب العربي، يقول في مطلع الديوان[161] .

إذا ثَلَّـــثَ المـــريخَ بالزهـــرة امـــرؤٌ　　　وقـــارن بالبـــدر المنـــير ذكـــاءَ
وواصـــل ســـعدَ المشـــتري بعُطـــارد　　　إلى زُحَـــل كـــي يســـتفيد ضـــياءَ

(160) الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

(161) العلوم العقلية فى المنظومات العربية : مصدر سابق ص 542 .

ويختمه بقوله :

فـإن كنـتَ في حـل الرمـوز مـدانيا   أخانا فقد نلت الـذي كنـتَ راجيا

وإلا فـلا ترتـعْ بهـا فهـي روضـةٌ   قـد امـتلأتْ لـلرائدين أفاعيـا

ومن شعره أيضا فى الصنعة(الكيمياء) (162).

لقـد قلبـت عينـاي عـن عينـه قلبـي   بلينـة الأعطـاف قاسـية القلـب

يهـيم الفتـى الشرـقي منهـا بغـادة   تشـوق إلى شرق وترغـب عـن غـرب

هـي لشـمس إلا أنهـا قمريـة   هـي البـدر إلا أنـه كـامن الشـهب

إذا الفلـك النـاري أطلـع شـهبها   على الذروة العليا من الغصن الرطب

تراءت عروسها بـرزة الوجه تبتغي   زفافها وكانت خلف ألف مـن الحجب

فزوجهـا بكـرا أخاهـا لأمهـا   أبوهـا رجـاء في المـودة والقـرب

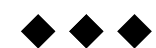
فعـاد بهـا حيـا وكـان فرقهـا   لـه سـبب أن مـات مـن شـدة الحب

فجـن هـوى لمـا اسـتجنت بنفسـه   وطـارا فقالـت بعـد جهـد لـه: حسبي

ولمـا تنتـه عـن طبيعتـه التـي   بـدت عنـه إلا أن يباعلهـا قلبـي

تعـالى عـن الأشـياء لونـا وجـوهرا   وجـل فلـم ينسـب إلى طينـة الـترب

ولهذا الديوان شروح كثيرة.



---

(162) المصدر السابق ص 543 .

(10) فوات الوفيات : مصدر سابق ص 108 ، ص109 .

(11) الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

24ـ ابن البذوخ

الاسم : عمر بن على بن البذوخ.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : المغرب.

تاريخ الوفاة : 576هـ .

مكان الوفاة : دمشق .

سبب الوفاة : غير محدد .

الجنسية: مغربى.

المهنة : عالم كيمياء ـ طبيب ـ أديب ـ فقيه.

موجز السيرة

ابن البذوخ : هو أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي المغربي كان فاضلاً خبيراً بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة وله حسن نظر في الإطلاع على الأمراض ومداواتها وأقام بدمشق سنيناً كثيرة وكانت له دكان عطر باللبادين يجلس فيها ويعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص والسفوفات وغير ذلك يبيع منها وينتفع الناس بها وكان معتنياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداواتها وله حواش على كتاب القانون لابن سينا وإن له أيضاً اعتناء بعلم الحديث ويشعر وله رجز كثير إلا أن أكثر شعره ضعيف منحل وعمّر عمراً طويلاً وضعف عن الحركة حتى إنه كان لم يأت إلى دكانه إلا محمولاً في محفة وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينه لأنه كان كثيراً يتغذى باللبن وتوفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة. ولابن البذوخ من الكتب شرح كتاب الفصول لأبقراط أرجوزة ،شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط أرجوزة، كتاب ذخيرة الألباء المفرد في التأليف من الأشباه حواش على كتاب القانون لابن سينا.

شعره

ومن شعر ابن البذوخ قال وهو من قصيدة كبيرة له في ذكر الموت والمعاد فمن أبياتها:

يا رب سهل لي الخيرات أفعلها	مع الأنام بموجودي وإمكاني
فالقبر باب إلى دار البقاء ومن	للخير يغرس أثمار المنى جاني
وخير أنس الفتى تقوى بصاحبه	والخير يفعله مع كل إنسان
يا ذا الجلالة والإكرام يا أملي	اختم بخير وتوحيد وإيمان
عشر ـ الثمانين يا مولاي قد سلبت	أنوار عيني وسمعي ثم أسناني
لا أستطيع قياماً غير معتمد	ما بين اثنين شكوائي لرحماني
أوشرحه أو شروحات الحديث	وما يختص بالطب أو تفكيه أقران
فالشيخ تعميره يفضي ـ إلى هرم	يذله أو عمى أو داء أزمان
فموته ستره إذ لا محيص له	عن المهات فكم يبقى لنقصان
نعوذ بالله من شر الحياة ومن	شر المهات وشر الإنس والجان
إن الشيوخ كأشجارغدت حطبا	فليس يرجي لها توريق أغصان
لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة	وحسن رأي صفا من طول أزمان
يا خالق الخلق يا من لا شريك	له قد جئت ضيفاً لتقريني بغفران
مولاي مالي سوى التوحيد من	عمل فاختم به منعماً يا خير منان

وقال في مدح كتب جالينوس :

أكـرم بكتـب لجـالينوس قـد جمعـت ... مـا قـال بقـراط والماضـون في القـدم

كديســقوريدس علــم الــدواء لــه ... مسـلم عنـد أهـل الطـب في الأمـم

فالطـب عـن ديـن مـع بقـراط منتشرـ ... مـن بعـدهم كانتشـار النـور في الظلـم

إلا الــدواء فــما تحصىــ منافعــه ... وعــده كثــرة في العــرب والعجــم

عـد النجـوم نبـات الأرض أجمعهـا ... مـن ذا يعـد جميـع الرمـل والأكـم

في كـل يـوم تـرى في الأرض معجـزة ... مــن التجــارب والآيــات والحكــم



25 ـ شهاب الدين السهرودي

الاسم : عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه بن يحي بن حبش.

تاريخ الميلاد : 539هـ.

مكان الميلاد : قرية سهرورد (شمال غرب ايران).

تاريخ الوفاة : 632هـ.

مكان الوفاة : قلعة حلب.

سبب الوفاة : قتل.

الجنسية : فارسى.

المهنة : عالم كيمياء ـ فلك ـ طبيب .

موجز السيرة

ولد شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه القرشي التيمي البكري السهروردي الملقب بشيخ الإشراق في قرية سهرورد بشمال شرق إيران عام 1153 ميلادية ودرس الفقه والفلسفة وكان مولعا بالترحال فتنقل بين إيران والعراق وسوريا ومنطقة الأناضول ثم استقر في مدينة حلب تلبية لدعوة الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي.

وقال عباس إن حلب شهدت محاكمته وإعدامه حيث دعا الملك الظاهر الفقهاء إلى مناظرة السهروردي «وأفحم الفقهاء الذين ناظروه وأظهرهم في موقع لا يحسدون عليه مما أوغر صدورهم حقدا عليه» وبدأوا يخططون لاتهامه بالخروج على الدين وفي مناظرة أخرى علنية في مسجد حلب سأله بعضهم «هل يقدر الله أن يخلق نبياً آخر بعد محمد ﷺ ..» فأجاب السهروردي «لا حد لقدرته» فعمدوا إلى تأويل كلامه وأعلنوا كفره وطالبوا بإعدامه بحجة ترويجه لما يتنافى مع العقيدة الإسلامية.

وقيل أن الملك الظاهر رفض طلبهم فلجأوا إلى صلاح الدين الأيوبي في مصر. وكان معروفا «بكراهيته الشديدة للصوفية والفلسفة» فضغط على الملك الظاهر حتى ينفذ رغبة «السلطات الدينية الهائجة على الحكيم الشاب» فأودع السجن وأعدم عام 1191 ميلادية وأحرقت كتبه. وأشار إلى أن إحدى الروايات تذهب إلى أنه سجن في قلعة حلب ليهلك جوعا وعطشا في حين تقول أخرى أنه أرسل إلى القاهرة حيث أمر صلاح الدين بقطع رقبته. وقال «مهما اختلفت روايات إعدامه فإنه من الثابت أن الذي أمر بإعدامه هو صلاح الدين الايوبي.

وكان الحسين بن منصور الحلاج قد اتهم بالزندقة وصلب في بغداد عام 922 ميلادية بقرار من الخليفة العباسي المقتدر بالله الذي تولى الحكم بين عامي 907و932 ميلادية تقريباً. وتقول المصادر التاريخية أن الحلاج ضرب حوالي ألف سوط ثم قطعت أطرافه وصلب وظل معلقا على جسر ثم ضربت عنقه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقي رماده في نهر دجلة. وسبق أن قام عباس محقق هذه النصوص الإشراقية للسهروردي بجمع وتوثيق الأعمال الكاملة للحلاج. وقال عباس: «أن السياق الذي أدى إلى مأساة الحلاج بعد سلسلة من المحاكمات يشبه كثيراً السياق الذي قاد إلى إعدام السهروردي» .ووصف موت السهروردي بأنه نادر واستثنائي. وقال: «يذكرني بموت الحلاج وهو موت واحد ومتفرد لم يكن نتيجة عادلة لطبيعة الصراع بين فكر الجماعة وفكر فردي ما فوق الشخصي يؤسس لحياة أشخاص قلائل من الصوفية لا تنطبق عليهم المحادثات الأخلاقية الشائعة فيما لو اعتمدناها كمقياس لمعرفة ما إذا كانوا يمثلون حقيقة خطراً على الشريعة في جوهرها بقدر ما نكتشف أنهم يشكلون سؤالاً حقيقيا يقوم على إعادة قراءة جوهر الشريعة. ومن أعمال السهروردي «مؤنس العشاق» و«هياكل النور» و«البارقات الالهية» و«المناجيات» و«حكمة الإشراق» و«اعتقاد الحكماء» إضافة إلى كتب أخرى بالفارسية التي ترجم إليها «رسالة الطير» للفيلسوف الطبيب ابن سينا.

ووصف السهروردي بأنه الحكيم المتأله والحكيم الثيوصوفي مشيرا إلى أنه ترك أكثر من 50 كتاباً حاول كثير من المحققين تصنيفها «إلا أن المحاولة التي تستدعي الإهتمام هي محاولة (المستشرق الفرنسي) «لويس ماسينيون» الذي يعد أول من قام بمحاولة علمية تهتم بالبحث في علاقة ترتيب كتب شيخ الاشراق بتطور فلسفته .

شهاب الدين السهرودي هو الإمام الفاضل أبو حفص بن عمر[163]، كان أوحداً في العلوم الحكمية جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفلكية مفرط الذكاء جيد الفطرة فصيح العبارة لم يناظر أحداً إلا بزّه ولم يباحث محصلاً إلا أربى عليه وكان علمه أكثر من عقله قال الشيخ سديد الدين بن عمر:«كان شهاب الدين السهرودي قد أتى إلى فخر الدين المار ديني وكان يتردد إليه في أوقات وبينهما صداقة وكان الشيخ فخر الدين يقول ما أذكى هذا الشاب وأفصحه ولم أجد أحداً مثله في زماني إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه أن يكون ذلك سبباً لتلافه» فلما توجه شهاب الدين السهرودي إلى الشام أتى إلى حلب وناظر بها الفقهاء ولم يجاره أحد فكثر تشنيعهم عليه فاستحضره السلطان الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب واستحضر الأكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام فتكلم معهم بكلام كثير بان له فضل عظيم وعلم باهر وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه وصار مكيناً عنده مختصاً به فازداد تشنيع أولئك عليه وعملوا محاضرة بكفره وسيروها إلى دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا إن بقي هذا فإنه يفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك إن أطلق فإنه يفسد أي ناحية كان بها من البلاد وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين إلى ولده الملك الظاهر بحلب كتاباً في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه: «إن هذا الشهاب السهرودي لا بد من قتله ولا سبيل أنه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجوه»، ولما بلغ شهاب الدين السهرودي ذلك وأيقن أنه يقتل وليس جهة إلى الإفراج عنه اختار أنه يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب إلى أن يلقى الله تعالى ففعل به ذلك وكان في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وكان عمره نحو ست وثلاثين سنة. قال الشيخ سديد الدين محمود بن عمر :«ولما بلغ فخر الدين المارديني قتله قال لنا أليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل وكنت أخشى عليه منه». يحكى عن شهاب الدين السهرودي أنه كان يعرف علم السيمياء(الكيمياء) وله نوادر شوهدت عنه من هذا الفن .

(163) عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

وقال بعض أهل حلب: «لما توفي شهاب الدين رحمه اللهّ ودفن بظاهر مدينة حلب :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها اللهّ من شرف

فلم تكن تعرف الأيام قيمته فردها غيرة منه إلى الصدف

ومن كلامه قال في دعاء: «اللهم يا قيام الوجود وفائض الجود ومنزل البركات ومنتهى الرغبات منور النور ومدبر الأمور وواهب حياة العالمين أمددنا بنورك ووفقنا لمرضاتك وألهمنا رشدك وطهرنا من رجس الظلمات وخلصنا من غسق الطبيعة إلى مشاهدة أنوارك ومعاينة أضوائك ومجاورة مقربيك وموافقة سكان ملكوتك واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين والأنبياء والمرسلين».

❊ مؤلفاته:

1 ـ كتاب التلويحات اللوحية والعرشية .

2 ـ كتاب الألواح العمادية ألفه لعماد الدين أبي بكر بن أرسلان بن داود بن أرتق.

3 ـ كتاب اللحمة كتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات .

4 ـ كتاب هياكل النور .

5 ـ كتاب المعارج .

6 ـ كتاب المطارحات .

7 ـ كتاب حكمة الإشراق .

شعره

ومن شعر شهاب الدين السهرودي :

أبــــداً تحـــــن إلـــــيكم الأرواح	ووصــــالك ريحانهــــا والــــراح
وقلــوب أهــل ودادكــم تشــتاقك	وإلى لذيــــذ وصــــالكم ترتــــاح
وارحمنــا للعاشــقين تكلفــوا ســتر	المحبــــــة والهــــــوى فضــــــاح
بالسرــ إن بــاحوا تبــاح دمــاءهم	وكـــذا دمـــاء البـــائحين تبـــاح
وإذا هـــــم كتمــــوا عنـــــه	عنـــد الوشـــاة المـــدمع الســـحاح
وبــدت شــواهد للســقام علــيهم	فيهـــا لمشـــكل أمـــرهم إيضـــاح
فــــإلى لقــــاكم نفســــه مشـــتاقة	وإلى رضــــاكم طرفــــه طــــماح
عــودوا بنــور الوصــل مــن غســق	الــدجا فــالهجر ليــل والوصــال صــباح
وتمتعـوا فالوقــت طــاب لكــم وقــد	رق الشرــــاب ودارت الأقـــــداح
مترنحـــاً وهـــو الغـــزال الشـــارد	وبخـــــده الصـــــهباء والتفـــــاح
وبثغــره الشــهد الشــهي وقــد بــدا	في أحســـن اليـــاقوت منـــه أقـــاح

ولما افتتح السلطان خليل بن قلاوون (*) عكّا امتدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة وهى هذه (1):

الحمد لله ذلّت دولة الصُلب	وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت	رؤيا فى النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكّا وقد هدمت قواعدها	فى البحر للشرك عند البر من أرب
عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها	داهرا وشدّت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت	فى البحر والبرماينجى سوى الهرب
كانت تخيلنا آمالنا فنرى أنّ	التفكر فيها غاية العجب
أمّا الحروب فكم قد أنشأت فتنا	شاب الوليد بها هولا ولم تشبِ
سوران بر وبحر حول ساحتها	دارا وأدناهما أنأى من العطب
مصفح بصفاح حوله أكم	من الرماح وأبراج من اليلب
مثل الغمائم تهدى من صواعقها	بالنبل أضعاف ماتهدى من السحب
كأنما كل برج حوله فلك	من المجانيق ترمى الأرض بالشهب
ففاجأتها جنود الله يقدمها	غَضَبان لله لا للملك والنشب
كم رامها ورماها قبله ملك	جسَم الجيوش فلم يظفر ولم يجب
لم ترض همته إلا الذى قعدت	للعجز عنه ملوك العجم والعرب
ليث أبى أن يرد الوجه عن أمم	يدعون رب العلى سبحانه بأب
لم يلهه ملكه بل فى أوائله	نال الذى لم تنله الناس فى الحقب
فأصبحت وهى فى بحرين مائلة	مابين مضطرم نارا ومضطرب

(*) هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي جلس على تخت الملك فى ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد موت والده واستفتح الملك بالجهاد وسار فنازل عكّا وافتتحها وأخذ نصف الشام كاسر الفرنج ثم سار فى السنة الثانية فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوما ففتحها ثم فى السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بمبان من غير قتال وهو سائر إلى دمشق ولو طال مدته ملك العراق وغيره .

(1) فوات الوفيات ج1ص 196 : ص 200 .

جيش من الترك ترك الحرب عندهم ... عار وراحتهم ضرب من الضرب
خاضوا إليها الردى والهجر فاشتبه ... الأمران واختنقا فى الحال والسبب
تسنموها فلم يترك تسنمهم ... فى ذلك الأفق برجا غير منقلب
أتوا حماها فلم تمنع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئا ولم يثب
يايوم عكّا لقد أنسيت ماسبقت ... به الفتوح وما قد خطّ فى الكتب
لم يبلغ النطق حق الشكر منك فما ... عسى يقوم به ذا الشعر والخطب
كانت تمنى بك الأيام مبعدة ... فالحمد لله نلنا ذاك عن كثب
أغضبت عباد عيسى إذ أبدتهم ... لله أىّ رضى فى ذلك الغضب
وأطلع الله جيش النصر فابتدرت ... طلائع النصر بين السمر والقضب
وأشرف المصطفى الهادي على ... ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
فقِر عينا بهذا الفتح وابتهجت ... بفتحه الكعبة الغرّاء فى الحجب
وسار فى الأرض سير الريح سبقته ... فالبَرُّ فى طرب والبحر فى حرب
وخاضت البيض فى بحر الدِّماء وما ... أبدت من البيض الأساق مختضب
وغاص زرق القناتى زرق أعينهم ... كأنها شطن تهوى إلى قلب
توقدت وهى غرقى فى دمائهم ... فزادها الطفح منها شدة اللهب
وذاب من حرّها عنهم حديدهم ... فقيدتهم بها ذعرا يد الرهب
كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلت ... حواسه فغد كالمنزل الخرب
أجرت من البحر بحرا من دمائهم ... فراح كالرّاح إذ غرقاه كالحبب
تحكمت وسطت فيهم قواضبنا ... قتلا وعفت لحاويها عن السلب
أنه وسنان الرمح يطلبه ... برج هوى ووراه كوكب الذهب
بشراك ياملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرتب
ما بعد عكّا وقد لانت عريكتها ... لديك شيء تلاقيه على لغب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدّت إليك نواصيها بلا نصب
كم قد دعت وهى فى أسر العدا زمنا ... صيدا لملوك فلم تسمع ولم تجب

أتيتهـا يـا صـلاح الـدين معتقـدا بـأنّ داعـى صـلاح الـدين لم يخـب
أسـلت فيهـا كـما سـالت دمـائهم من قبل إحرازها بحـرا مـن الـذهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت منـه لسرـ طـواه الله فى اللقـب
وجئتهـا بجيـوش كالسـيول عـلى أمثالهـا بـين آجـام مـن القضـب
وحطتهـا المجـانيق التـى وقفـت إزاء جـدرانها فى حجفـل لجـب
مرفوعـة نصـبو أضـغانهم فغـدا للكسرـ والحطـم مـنهم كـل منتصيـ
ورضـتها بثقـوب ذلـك شـما منهـا وأبـدت محياهـا بـلا نقـب
وغنت البيض فى الأعناق فارتقصت أبراحهـا لعبـا مـنهن باللعـب
وخلفت بالدم الأسوار فانقمعت طيبـا ولـولا دمـاء الخبـث لم تطـب
وأبـرزت كـل خـود كاعـب فزقـت رؤوسـهم حيـز زقـوه بـلا طـرب
بـدت وقـد جاورتنـا ناشـدا وغـدت الهـوى فى يـدى جيرانهـا الخبـب
بـل أحـرزتهم ولكـن السـيوف لكـى لايلتجـى أحـد مـنهم إلى الهـرب
أضحت أبا لهب تلك الـبروج وقـد كانـت بتعليقهـا حمّالـة الحطـب
وتمت النعمة العظمى وقـد كملـت بفـتح صـور بـلا حصرـ ولانصـب
وصـارت النـار فى أجاءهـا وعلـت فأطفـأت مـا يصـدر الـدين مـن قـرب
وأفلـت البحـر مـنهم مـن تخـير مـن تلقـاه مـن قومـه بالويـل والجـرب
أختـان فى آن كـلا مـنهما جمعـت صـليبه الكفـر لا أختـان فى النسـب
لما رأت أختهـا بـالأمس قـد خربـت كـان الخـراب لهـا أعـدى مـن الجـرب
الله أعطـاك ملـك البحـر إذ جمعـت لـك السـعادة ملـك الشرـق والغـرب
مـن كـان مبـدأه عكّـا وصـور معـا فالصـين أدنـى إلى كفيـه مـن حلـب
عـلا بـك الملـك حتـى إن قبتـه عـلى البرايـا غـدت ممـدودة الطنـب
فـلا برحـت قريـر العـين مبتهجـا بكـل فـتح مبـين المـنح مرتقـب

(وقال أيضا يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة):

لك الراية الصفراء يقدمها النصر ـ فمن كيقباذ إن رآها كيخسرو
وإن نشرت مثل الأصايل فى وغى جلا النقع من لألاء طلعتها البدر
وإن يممت رزق العدا سار تحتها كتائب خضر ـ تحتها البيض والسمر
كأنّ مثال النقع ليل وخفقها بروق وأنت البدر والفلك البحر
لها كل يوم أين سار لواؤها هدية تقليد يقدمها الدهر
وفتح بدا فى إثر فتح كأنما سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم وطئت طوعا وكرها معاقل مضى ـ الدهر عنها وهى عانسة بكر
فإن رمت حصنا سابقتك كتائب من الرعب أو جيش يقدمه النّصر ـ
ففى كل قطر للعدى وحصونهم من الخوف أسياف تجرّد أو خضر ـ
فلا حصن إلا وهو سجن لأهله ولا خشب إلا رواحهم قبر
وما قلعة الرُّوم التى حُزت فتحها وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر ـ
محجبة بين الجبال كأنها إذا ماتبدت فى ضمائرها سر
تفاوت وصفها فللحوت فيهما مجال وللنسرين بينهما ذكر
فبعض رسى حتى جرى الماء فوقه وبعض سما حتى همى دونه القطر
يحيط بها نهران تبرز فيهما كما لاح يوما فى قلائد النحر
فخاض منون السحب فيها كأنها إذا ماستدارت حول أبراجها نهر
لها طرق كالوهم أعيا سلوكه على الفكر حتى ماتخيلاه الفكر
إذا خطرت فيها الرياح تعثرت أو الذّر يوما زال عن متنه الذّر
يضل القطا فيها ويخشاها العقاب ويهفو فى مراقبها النسر
فصبحتها بالجيش كالدهر بهجة صوارمه أنهاره والقنا الزهر
وأبعدت بل كالبحر والبيض موجه وجرد المذاكى السفن والخرد الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه أهلته والنيل أنجمه الزهر
ليوث من الأتراك آجامها القنا لها فى كل يوم فى ذرى ظفر ظفر

....

....

وكانت قـذى فى نـاظر الـدين فـانجلى وذخر الأهـل الشر ـك فـانعكس الأمـر

◆◆◆

26 ـ الفضل بن المهدب

الاسم : الفضل بن المهذّب.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : غير محدد.

تاريخ الوفاة : 584هـ.

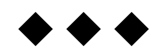
مكان الوفاة : مصر.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : مصري

المهنة: عالم كيمياء ـ طبيب.

موجز السيرة

– الفضل بن المهذَّب لقبه «المهذب» كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكورراً، له العلم الوافر والأعمال الحسنة والمداواة الفاضلة وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل إلا أن الكحل كان أغلب عليه وكان كثير الأرزاق عظيم الإشتيام حتى أن الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر أوقاته يقرؤون عليه وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة بالقاهرة وأسلم ولده أبو الفرج وكان طبيباً وكحالاً أيضاً وحدث أنه كان قد أتى إلى أبي الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود ضعيف الحال وطلب منه أن يرفده بشيء فأجلسه عند داره وقال له معاشي اليوم بختك ورزقك وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة وشرع يفتح واحدة واحدة منها، فمنها ما فيها الدينار والأكثر، ومنها ما فيها دراهم ناصرية ،وبعضها فيها دراهم سواد، فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلاثمائة درهم سود فأعطاها ذلك الرجل ثم قال واللّهّ جميع هذه الكواغد ما أعرف الذي أعطاني الذهب أو الدراهم أو الكثير منها أو القليل بل كل من أعطاني شيئاً أجعله في عدة الكحل وهذا يدل على رزق زائد وقبول كثير ولأبي الفضائل بن الناقد من الكتب مجرباته في الطب.

له أرجوزة في الكيمياء مخطوطة من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بمكتبة جامعة برنستون رقم 1697 [167].

◆◆◆

(166) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : مصدر سابق ج2 ص 115 ـ 116 .

(167) العلوم العقلية في المنظومات العربية : مصدر سابق ، ص 576 .

27 ـ الأكفاني

الاسم : محمد بن إبراهيم بن ساعد

تاريخ الميلاد : 654 هـ .

مكان الميلاد : سنجار

تاريخ الوفاة : 749 هـ .

مكان الوفاة : مصر.

سبب الوفاة : طاعون

الجنسية : مصرى

المهنة : عالم رياضيات ـ فلك ـ كيمياء ـ طبيب ـ صيدلاني .

موجز السيرة

ابن الأكفاني الحكيم شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري(168) المعروف بابن الأكفاني السنجاري المولد والأصل. من أهل سنجار وإليها نسبته.ولفظ الأكفانى يطلق على جمع منهم :والحارث بن النعمان بن سالم أبو النصر البزاز الذي يروي عنه أحمد بن حنبل وسعيد بن المسيب وغيرهما يقال له الاكفاني لأنه كان يبيع الأكفان بباب الشام. ومنهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري. طبيب، باحث، عالم بالحكمة والرياضيات. رحل إلى القاهرة وأقام فيها فزاول صناعة الطب وتوفي فيها. فاضل جمع أشتات العلوم وبرع في علوم الحكمة خصوصا الرياضي فإنه إمام في الهيئة والهندسة والحساب له في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة قُرأت عليه قطعة جيدة من كتاب إقليدس فكان يحل ما يقرأ عليه بلا كلفة كأنما هو ممثل بين عينيه فإذا ابتدء في الشكل شرع هو فيسرد باقي الكلام سرداً وأخذ الميل ووضع الشكل وحروفه في الرمل على التخت وعبر عنه بعبارة جزلة فصيحة بينة واضحة كأنه ما يعرف شيئا غير ذلك الشكل وقُرأ عليه مقدمة في وضع الآفاق فشرحها أحسن شرح وقُرأ عليه أول الإشارات فكان يحل شرح نصير الدين الطوسي بأجل عبارة وأجلى إشارة وما سُؤل عن شيء في وقت من الأوقات عما يتعلق بالحكمة من المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي إلا وأجاب بأحسن جواب كأنما كان البارحة يطالع تلك المسألة طول الليل وأما الطب فإنه كان إمام عصره وغالب طبه بخواص ومفردات يأتي بها إلى المريض وما يعرفها أحد لأنه يغير كيفيتها وصورتها حتى لا تعلم وله إصابات غريبة في علاجه وأما الأدب فإنه فريد فيه يفهم نكته ويذوق غوامضه ويستحضر من الأخبار والوقايع والوفيات للناس قاطبة جملة كبيرة ويحفظ من الشعر شيئا كثيرا إلى الغاية من شعر العرب والمولدين والمحدثين والمتأخرين وله في الأدب تصاني ويعرف العروض والبديع جيداً وكان ذهنه يتوقد ذكاء بسرعة ما لها روية وقد قال أحدهم يوصفه:«وما رأيت فيمن رأيت أصح ذهنا منه ولا أذكى وأما عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها»وكان الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس يقول :

(168) الموسوعة العربية والوافي بالوفيات .

ما رأيت من يعبر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله ولم أر أمتع منه ولا أفكه من محاضرته ولا أكثر إطلاعا منه على أحوال الناس وتراجمهم ووقايعهم ممن تقدم وممن عاصره وأما أحوال الشرق ومتجددات التتار في بلادهم في أوقاتها فكأنما كانت القصاد تجيء إليه والملطفات تتلى عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان وأما الرقي والعزايم فيحفظ منها جملا كثيرة وله اليد الطولي في الروحانيات والطلاسم وما يدخل في هذا الباب . وله تجمل في بيته وملبسه ومركوبه من الخيل المسومة والبرة الفاخرة ثم أنه اقتصر وترك الخيل وآلى على نفسه أنه لا يطب أحدا إلا في بيته أو في البيمارستان أو في الطريق وله اليد الطولي في معرفة الأصناف من الجواهر والقماش والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات وما يحتاج إليه البيمارستان المنصوري بالقاهرة لا يشترى ولا يدخل إلى البيمارستان إلا بعد عرضه عليه فإن أجازه اشتراه الناظر وأن لم يجزه لم يشتر البتة وهذا إطلاع كثير وخبرة تامة فإن المارستان يريد كل ما في الوجود مما يدخل في الطب والكحل والجراح وغير ذلك وأما معرفة الرقيق من المماليك والجواري فإليه المآل في ذلك ورأيت المولعين بالصنعة يحضرون إليه ويذكرون له وما وقع لهم من الخلل في أثناء أعمالهم فيرشدهم إلى الصواب ويدلهم على إصلاح ذلك الفساد ولم أره يعوز شيئا من كمال الأدوات غير أن عربيته ضعيفة وخطه أضعف من مرضى مارستانه ومع ذلك فله كلام حسن ومعرفة جيدة بأصول الخط المنسوب والكلام على ذلك وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع ماية وتألمت لفقده رحمه الله تعالى ».

❊ **مؤلفاته**[169]:

– أرشاد القاصد إلى آسنى المقاصد .

– اللباب في الحساب.

– نخب الذخاير في معرفة الجواهر.

– غنية اللبيب عند غيبة الطبيب .

– كتاب كشف الرين في أمراض العين.

– نهاية القصد فى صناعة الفصد.

– النظر والتحقيق فى تقليد العبيد.

– روضة الألبا فى اختيار الأطبا.

(169) المصدر السابق .

شعره

وله نظم أنشدني منه من لفظه لنفسه :

ولقد عجبت لعاكس للكيميا ... في طبه قد جاء بالشنعاء

يلقى على العين النحاس يحيلها ... في لمحة كالفضة البيضاء



28 ـ المرادي العشّاب

الاسم : محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادى.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : تونس.

تاريخ الوفاة : غير محدد.

مكان الوفاة : غير محدد

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : أندلسي.

المهنة : صيدلاني ـ فقيه.

موجز السيرة

جاء في الإكليل: في ترجمة محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادى العشاب وهو قرطبي الأصل تونسي المولد والمنشأ ما صورته جواد لا يتعاطى طلقه وصبح فضل لا يماثل فلقه كانت لأبيه رحمه الله تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحل ومفاوضة في العقد والحل ولم يزل تسمو به قدم النجابة من العمل إلى الحجابة ونشأ ابنه هذا مقضي ـ الديون مفدى بالأنفس والعيون والدهر ذو ألوان ومارق حرب عوان والأيام كرات تتلقف وأحوال لا تتوقف فألوى بهم الدهر وأنحى وأغام جوهم بعقب ما أصحى فشملهم الاعتقال وتعاورتهم النوب الثقال واستقرت بالمشرق ركابه وحطت به أقتابه فحج واعتمر واستوطن تلك المعاهد وعمر وعكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف وقرأ المعروف وقيد وأسند وتكرر إلى دور الحديث وتردد وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل ولما استقر به قراره واشتمل على جفنه غراره بادرت إلى مؤانسته وثابرت على مجالسته فاجتليت للسر شخصا وطالعت ديوان الوفاء مستقصى وشعره ليس بحائد عن الإحسان ولا غفل عن النكت الحسان(□□□) .

(170) لسان الدين بن الخطيب : لإحاطة في أخبار غرناطة.

شعره

بيمن أبي عبد الله محمد يمن ... هدأ القطر وانسجم القطر

أفاض علينا من جزيل عطايه ... بحور الديم المد ليس لها جزر

وأنسنا لما عدمنا مغانيًا ... إذا ذكرت في القلب من ذكرها عبر

هنيئاً بعيد الفطر يا خير ماجد ... كريم به تسمو السيادة والفخر

ودمت مدى الأيام في ظل نعمة ... تطيع لك الدنيا ويعنو لك الدهر

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال:

لعل عفوك بعد السخط يغشاني ... يومًا فينعش قلب الوالد العان

مولاي رحماك إني قد عهدتك ... ذا حلم وعفو وإشفاق وتحنان

فقد تناهى الأسى عندي وعذبني ... وشرد النوم عن عيني وأعيان

وحق ألايك الحسنى وما لك من ... طول وفضل وإنعام وإحسان

إني ولو حلت البلوى على كيدي ... وأسبكت فوق خد دمعي القان

لواثق بحنان منك يطرقني ... عما قريب وعفو عاجل دان

دامت سعودك في الدنيا مضاعفة ... تذل طوعاً كل سلطان

29 - البيروني





الاسم : محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني.

تاريخ الميلاد : 2 من ذي الحجة سنة 362 هـ ـ 973 م .

مكان الميلاد : قرية من ضواحى مدينة كاث عاصمة

دولة خوارزم ـ فارس (أوزبكستان حاليا).

تاريخ الوفاة : من رجب سنة 440 هـ ـ 1048م.

ويذكر أنه كان حيا سنة 441هـ.

مكان الوفاة : غزنة (حاليا كابل عاصمة (أفغانستان) .

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : فارسي.

المهنة : عالم كيمياء ـ طب ـ صيدلة ـ رياضيات .

موجز السيرة

مولده ونشأته[171]: هو«محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي»، أحد مشاهير رياضي القرن الرابع الهجري ، ومن الذين جابوا الأقطار ابتغاء البحث والتنقيب ، ولد «أبو الريحان» في خوارزم عام 362 هـ ـ 973 م . ويقال أنه اضطر أن يغادر مدينة «خوارزم» علي إثر حادث عظيم ، إلى محل شمالها يدعي «كوركنج» وبعد مدة ترك هذه البلدة وذهب إلى مقاطعة « جرجان »حيث التحق بشمس المعالي «قابوس» أحد حفدة « بني زياد »وملوك«شمكير» ثم عاد إلى «كوركنج» وتمكن بدهائه من أن يصبح ذا مقام عظيم لدي«بني مأمون» ملوك «خوارزم»

وبعد أن استولي «سيكتكين» علي جميع «خوارزم» ترك أبو الريحان «كوركنج» وذهب إلى«الهند» وبقي فيها مدة طويلة . ويقال إنه مكث فيها أربعين سنة ، يجوب البلدان ، ويقوم ببحوث علمية كان لها تأثير في تقدم بعض العلوم. وقد استفاد «البيروني» من فتوح الغزنويين في «الهند» وتمكن من القيام بأعمال جليلة إذ إستطاع أن يجمع معلومات صحيحة عن «الهند» ويلم شتات كثير من علومها ومعارفها القديمة ، وأخيراً رجع إلى «غزنوي» ومنها إلى «خوارزم».ولم يعرف بالضبط تاريخ وفاته والراجح أنه توفي سنة 440 هـ .

(171) الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط1 سنة 2008 م ص 151 .

– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط3 سنة 1963 م . ص 310 .

– الدمرداش : صبرى. قطوف من سير العلماء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط1 سنة 2006ج2 ص 393 .

– يوسف الملا : رواد الحضارة والعمران (لمحات من حياتهم وأفكارهم) ، دار الشرق العربى ، بيروت ـ لبنان ، حلب ـ سوريا ط1 سنة 1998م ص 45 .

– ابن النديم : الفهرست .(علق عليها الشيخ إبراهيم رمضان)، دار المعرفة . لبنان ـ بيروت ط1 سنة 1994 م .

وجاء في معجم الأدباء[172]:

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيرون بالفارسية معناه براً، وسُأل بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق يعني أنه من براً البلد. ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وأبو الريحان بغزنة.

وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام، ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال:

« له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره، وقد جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة، سمت له لواقح مزنها، واهتزت به يوانع نبتها، فكم مجموع له على روض النجوم ظله، ويرفرف على كبد السماء طله. وبلغني أنه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي، فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه، ورفض العادة في الاستغناء به، وكان ـ رحمه الله ـ مع الفسحة في التعمير وجلالة الحال في عامة الأمور مكباً على تحصيل العلوم منصباً إلى تصنيف الكتب يفتح أبوابها، ولا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش، ثم هجراه في سائر الأيام من السنة علم يسفر عن وجهه قناع الإشكال، ويحسر عن ذراعيه كمام الإغلاق ».

(172) **الحموي** : ياقوت . معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الغرب الإسلامي . بيروت ـ لبنان ط1 سنة 1993 م. الجزء السادس .

وقال «علي بن عيسى»:

« دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج وضاق صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا، أودع الدنيا وأنا علم بهذه المسالة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها. فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ. وأما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك فقد بلغني من حظوته لديهم أن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه لصحبته ويرتبطه في داره، على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه، ويشتمل عليه ملكه، فأبى عليه ولم يطاوعه، ولما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه في داره، وأنزله معه في قصره. ودخل خوارزمشاه يوماً وهو يشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته، وثنى العنان نحوه ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده الله ألا يفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولايات ... يأتيه كل الورى ولا يأتي

فيحكي أنه ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الإلحاد والقرمطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات حتى قال أبو نصر بن مشكان: إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرتئيه، ولكن عن مشاهدة يحكيه، وتلا قوله عز وجل: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ . فسأل أبا الريحان عنه، فأخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الإقناع، وكان السلطان في بعض الأوقات يحسن الإصغاء ويبدل الإنصاف، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ، وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض، وأحب أن يتضح له برهان ما لم يصح له من ذلك بعيان،

فقال له أبو الريحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلق بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور، وتصاريف أحوال الليل وانهار، ومقدارها في عامرها وغامرها، وصنف له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدار الليل والنهار بطريق تبعد عن مواضعات المنجمين وألقابهم، ويقرب تصورهم من فهم من لم يرتض بها ولم يعتدها، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانه إليه. وكذلك صنف كتابه في لوازم الحركتين بأمره، وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل. وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يعفي على أثر كل كتاب صنف في تنجيم أو حساب. وكتابة الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود ابن السلطان الشهيد مستوف أحسن المحاسن.

قال مؤلف الكتاب: هذا ذكره محمد بن محمود، وإنما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً، له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها: كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه، كتاب التعليل بإحالة الوهم في المعاني نظم أولي الفضل، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه، كتاب المسامرة في أخبار خوارزم، كتاب مختار الأشعار والآثار.

وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز. وحدثني بعض أهل الفضل: أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الأول ابن عبد الصمد الحكيم، واتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام وهم أن يلحق به أبا الريحان، فساعده فسحة الأجل بسبب خلصه من القتل.

وقيل له: إنه إمام وقته في علم النجوم، وإن الملوك لا يستغنون عن مثله، فأخذه معه ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية، وكان حسن المحاضرة، طيب العشرة خليعاً في ألفاظه عفيفا في أفعاله، لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فإنه من مثله حسن، منه في ذكر صحبة الملوك، ويمدح و يمدح أبا الفتح البستي» .

❊ مؤلفاته(173):

- كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » .
- كتاب « تاريخ الهند » .
- كتاب « مقاليد علم الهيئة وما يحدث في الكرة ».
- كتاب « القانون المسعودي في الهيئة والنجوم » .
- كتاب « استيعاب الوجوه الممكنة صفة الإسطرلاب » .
- كتاب « العمل بالإسطرلاب » .
- كتاب « إفراد المقال في أمر الظلال » .
- كتاب « جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة » .
- كتاب « جلاء الأذهاني في زيج البتاني ».
- كتاب « استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني » .

(173) الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط1 سنة 2008 م ص 152 :155

– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط3 سنة 1963 م . ص 320 .

- كتاب « التطبيق إلي تحقيق حركة الشمس ».

- كتاب « تحقيق منازل القمر » .

- كتاب « تمهيد المستقر لتحقيق معني الممر » .

- كتاب « ترجمة ما في براهين سدهانة من طرق الحساب».

- كتاب « كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب » .

- كتاب « استشهاد إختلاف الأرصاد ».

- كتاب « الصيدنة في الطب » .

- كتاب « الإرشاد في أحكام النجوم » .

- كتاب « تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله في الزلل ».

- كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » .

- كتاب « إختلاف الاقاويل لاستخراج التحاويل » .

- كتاب « مفتاح علم الهيئة » .

- كتاب « تهذيب فصول الفرغاني ».

- كتاب « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » .

- كتاب « تهذيب الأقوال في تصحيح العرض والأطوال » .

- كتاب « ايضاح الأدلة في كيفية سمت القبلة » .

– كتاب « تكميل صناعة التسطيح » .

- كتاب«تصور أمر الفجر والشفق في جهة الشرق والغرب من الأفق » .

- كتاب « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » .

– كتاب « إمتحان الشمس » .

– كتاب « جدول التقويم ».

– كتاب « جدول الدقائق ».

– كتاب « رؤية الأهلة » .

– كتاب « القسي الفلكية » .

– كتاب « كرية السماء ».

– كتاب « المسائل الهندسية » .

– كتاب « مواقع السمت » .

– كتاب « اصلاح شكل منا لاوس » .

– كتاب « منازعة أعمال الإسطرلاب » .

– كتاب « دوائر السماوات في الاسطرلاب » .

– مقالة في « التحليل والتقطيع للتعديل ».

– مقالة في « نقل ضواحي الشكل القطاع إلى ما يغني عنه » .

– مقالة في « تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض ».

– مقالة في « اختلاف ذوي الفضل في استخراج العرض والميل » .

– مقالة في « تعيين البلد من العرض والطول كلاهما » .

– مقالة في « استخراج قدر الارض إنحطاط الأفق عن قمم الجبال ».

– مقالة في « استخراج الكعب والاضلاع وما وراء من مراتب الحساب ».

– مقالة في تصفح كلام « أبى سهل الكوهي » في «الكواكب المنقضة ».

– وبلغت عدد مؤلفاته نحو 180 كتاباً ومقالة .

*** شهادة المستشرقين والمؤرخين**(174):

1ـ« **سخاو Sachau** : « البيروني » أعظم عقلية عرفها التاريخ .

2ـ« **سيديو** » :إن « أبا الريحان » اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ، ثم نزل الهند حين أحضره « الغزنوي » فأخذ يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة ... الخ .

3ـ« **سميث** » : إن « البيروني » كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات وإن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثره في العلوم .

4ـ« **سميث و كاربنسكي** »: إن « البيروني » ذو مواهب جديرة بالاحترام والاعتبار ، فقد كان يحسن السريانية والعربية والسنسكريتية والفارسية ، وكان أيضا في أثناء إقامته في الهند يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية .

---

(174) طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط3 سنة 1963 م . ص 310 :318 .

(10) الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط1 سنة 2008 م ص 155 : 156 .

5ـ« **سارتون** » : كان « البيروني » باحثاً فيلسوفاً، رياضياً جغرافياً ومن أصحاب الثقافة الواسعة ، بل من أعظم عظماء الاسلام ، ومن أكابر علماء العالم .

6ـ« **كاجوري** » : كان « البيروني » ملماً بعلم المثلثات ،وكتبه فيه تدل علي أنه : عرف قانون تناسب الجيوب ووجد الوزن النوعي لثمانية عشر عنصراً ومركباً ، بعضها من الأحجار الكريمة .

7ـ« **نيللنو** » : قياس البيروني لمحيط الارض ، من الأعمال العلمية المجيدة المأثورة للعرب .

8ـ« **مايرهوف** » : إن اسم « البيروني » أبرز إسم في موكب العلماء الكبار واسعي الأفق الذين يمتاز العصر الذهبي للإسلام بهم .

9ـ المستشرق الامريكي « **أريوبوب** » : في أي قائمة تحوي أسماء أكابر العلماء ، يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ومن المستحيل أن يكتمل أي بحث للرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو علم الانسان أو المعادن دون الاقرار بمساهمته العظيمة في كل علم من العلوم ، ولقد كان البيروني من أبرز العقول المفكرة في جميع العصور ...

تصنيف مؤلفات البيروني[175].

الموضوع	العدد	المؤلفات الكبرى	المؤلفات الموجودة	المؤلفات المطبوعة
علم الفلك	35	8	4	3
الإسطرلاب	4	ـ	2	ـ
التنجيم(الفلك)	23	1	3	2
علم المواقيت	5	1	1	1
قياس الزمن	2	ـ	ـ	1
الجغرافيا	9	1	1	1
جيوديسا	10	ـ	1	1
علم الحساب	8	ـ	1	1
علم الهندسة	5	ـ	1	1
حساب المثلثات	2	ـ	1	1
ميكانيكا	2	ـ	1	ـ
صيدلة	2	1	1	1
علم الأرصاد	1	ـ	ـ	ـ
علم المعادن	2	ـ	1	1

(175) الدمرداش: د. أحمد سعيد ، البيروني (سلسلة أعلام الإسلام) ، دار المعارف عام 1980 ص 30 .

التاريخ	4	–	–	–
الدين،الفلسفة	3	–	1	1
الهند	2	1	–	1
الأدب	16	–	–	–

شعره

كان مربى البيروني «أبو نصر منصور بن عراق» من أفراد الأسرة المالكة الخوارزمية، عالماً متألقاً فى الرياضيات والفلك ، عرف البيروني بهندسة إقليدس وفلك بطليموس القلوذى ، فأصبح العالم الشاب أهلا لدراسة الفلك.كتب البيروني يصف هذه الحقبة من حياته مامؤداه: سعدت معظم أيامي بالهدايا والمزايا التي كنت أحظى بها ، وغذتني أسرة عراق بلبنها ، وتكفل منصورها بتربيتي.

وفى قصيدة له من كتاب «سرالسرور» يمدح أبا الفتح البستى يقول[176]:

مضى ـ أكثر الأيام فى ظل نعمةٍ	على رتب فيها علوت كراسيا
فآل عراق قد غذوني بدرهم	ومنصور منهم قد تولى غراسيا
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي	على نفرة منى وقد كان قاسيا
وأولاد مأمون ومنهم عليهمُ	تبدى بصنع صار للحال آسيا
وآخرهم مأمون رفه حالتي	ونوه باسمي ثم رأسي راسيا
ولم ينقبض محمود عنى بنعمة	فأغنى وأقنى مغضياً عن مكاسيا
عفا عن جهالاتي وأبدى تكرماً	وطرى بجاه رونقي ولباسيا
عفاء عن دنياى بعد مرامهم	وواحزني إن لم أزر قبل آسيا
ولما مضوا واعتضت منهم عصابة	دعوا بالتناسى فاغتنمت التناسيا
فأبدلت أقواما وليسوا كمثلهم	معاذ إلهى أن يكونوا سواسيا
وخلفت فى غزنين لحماً كمضغة	على وضم للطير للعلم ناسيا
بجهد شأوت الجالبين أئمة	فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا
فما بركوا للبحث عند معالم	ولا احتبسوا فى عقدة كاحتباسيا

(176) المصدر السابق ص 18 .

هكذا انتهت القصيدة التى ساقها سعيد الدمرداش ، ونضيف هذه الأبيات كى تكون كاملة من كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي [177].

ومن شعره:

ومن حام حول المجد غير مجاهد ثوى طاعما للمكرمات وكاسيا
وبات قرير العين فى ظل راحةٍ ولكنّه عن حلة المجد عاريا

ومن شعره:

كتابك إذ هو الفرج المرجى أطب لما ألمْ من ألف راق!!
تنغص بالتباعد طيب عيشى فلا شيء أمر من الفراق

ومن شعره:

وكدكم لمعال تنهضون بها وغيركم طاعم مسترجع كاسى
لدى المكايد إن راجت مكايده ينسى الإله وليس الله بالنّاسي

وقال:

ويحرز أموالاً رجال أشحة وغيركم طاعم مسترجع كاسى
لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى بشيء ولا الإنسان معلل

وقال :

ويمسي المرء ذا أجل قريب وفي الدنيا له أمل طويل
ويعجل بالرحيل وليس يدرس إلى ماذا يقر به الرحيل

(177) المصدر السابق ص 40 . ، معجم الأدباء مصدر سابق .

30- ابن رشد



الاسم : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد

تاريخ الميلاد : 520هـ .

مكان الميلاد : قرطبة .

تاريخ الوفاة : ليلة الخميس الموافق 9 صفر سنة 595هـ .

مكان الوفاة : مراكش .

سبب الوفاة : غير محدد .

الجنسية : أندلسي.

المهنة: عالم كيمياء ،رياضيات ، طبيب ،فلك ،

فيلسوف ،وزير ،قاضي.

موجز السيرة

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد(178)*، ويكنى أبا الوليد،

(178) فرح أنطون، ابن رشد وفلسفته، دار الفارابي، بيروت، طبعة أولى 1988 .
- ماجد فخري، ابن رشد فيلسوف قرطبة، دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة منقحة 1992 .
- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة أولى أكتوبر 1998 .
- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981 ، صفحة 441 وما بعدها.
- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، تعريب: كمال اليازجي، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1974 .
- موسوعة الفلسفة والفلاسفة- عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، طبعة ثانية 1999 .
- ابن الآبار ، محمد بن عبد الله القضاعي : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت الحسيني ، القاهرة 6591 م.
- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس احمد: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت 5691 م .
- ابن باجة ، أبو بكر يحيى بن الصائغ ، (ت 335 هـ) :تدبير المتوحد ، ضمن كتاب رسائل ابن باجة الإلهية ، تحقيق ماجد فخري ، بيروت 8691 .
- ابن رشد ، محمد بن احمد بن محمد ـ الحفيد (ت - 595 هـ) : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، القاهرة (ب ، ت). تفسير ما بعد الطبيعة ، تحقيق موريس بويج ، ج 3 ، بيروت 8491. تلخيص الخطابة ، تحقيق وشرح ، د . محمد سليم سالم ، القاهرة 7961. تلخيص السياسة ، نقله إلى العربية ، د . حسن مجيد العبيدي وزميلته ، بيروت 8991. تهافت التهافت ، دراسة وتحقيق موريس بويج ، بيروت 4891 . فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، حققه ألبير نصري نادر ، بيروت 3791 . الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، تحقيق محمود قاسم ، القاهرة 9691.
- ابن سعيد الأندلسي- ، أبو الحسن علي بن موسى :المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط 2 ، القاهرة 691. =

= - ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله .(ت - 824) :الحكمة العروضية ، تحقيق محمد سليم سالم ، القاهرة 591.

رسالة في تدابير المنزل ، القاهرة (د . ت). الشفاء ، الإلهيات ، تحقيق سليمان دنيا ، ج 2 ، القاهرة 591.

- ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، تطوان 691.
- ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت (د . ت).
- ابن فرحون ، المالكي ، إبراهيم بن علي بن محمد : الديباج المذهب في أخبار علماء المذهب ، طبع القاهرة (د . ت)
- أرسطو طاليس ، الفيلسوف : الأخلاق ، ترجمة اسحق بن حنين ، حققه وشرحه وقدم له عبد الرحمن بدوي ، الكويت 9791 . السياسيات ، نقله إلى العربية فؤاد جورجي بربارة ، ط 1 بيروت 6591. النفس ، نقله إلى العربية أحمد فؤاد الاهواني ، القاهرة 591.

ويلقب (بالحفيد) تمييزاً له من أبيه وجده اللذين كانا قاضيين وفقيهين مشهورين. وكان جده أبو الوليد محمد فقيها مالكيا، وقاضياً للقضاة في قرطبة، ولا يزال جزء من فتاويه محفوظا في مخطوط بالمكتبة الوطنية في باريس. وكان أبوه ـ أي والد صاحبنا ـ قاضياً في قرطبة. كما تولى ابن رشد القضاء في قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث، ، ولد ابن رشد، في مدينة قرطبة ،سنة 520 هجرية، اشتهر بالطب والفلسفة والرياضيات والفلك، مرض ابن رشد مرضًا شديدًا ومات ليلة الخميس 9 صفر سنة 595هـ، سنة 1182 م ميلادية، ونقل جثمانه من(مراكش) إلى قرطبة حسب وصيته حيث المنشأ والأجداد.

كان فيلسوفا، طبيباً، وقاضي قضاة.. كان نحويا. لغوياً، محدثاً بارعاً يحفظ شعر المتنبي وحبيب ويتمثل به في مجالسه ..وكان إلى جانب هذا كله. متواضعاً، لطيفاً، دافئ اللسان، جم الأدب، قوي الحجة، راسخ العقيدة، يحضر مجالس حلفاء «الموحدين» وعلى جبينه أثار ماء الوضوء.

ودرس علم الفقه المالكي، والحديث واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق، واستظهر كتاب (الموطأ) للإمام مالك عن أبيه. لا أحد يعلم ـ على وجه الدقة ـ كيف تعلم ابن رشد الفلسفة، وعلى يد من! فقد توفي (ابن باجة) وابن رشد في الثالثة عشر، ولم يتعرف على (ابن طُفيل) إلا وهو ابن 56 سنة، وإن كان ابن طفيل هو من قدمه للسلطان الموحد أبي يعقوب يوسف ابن وخليفة السلطان (عبد المؤمن). وعندما كبر ابن طفيل الذي كان طبيبا للسلطان، أبقاه السلطان وزيرا وعين ابن رشد طبيبا للسلطان، وكان ذلك سنة 578هـ/ 1182م.

- أفلاطون ، الفيلسوف: محاورة الجمهورية ، ترجمة حنا خباز ، ط 1 ، القاهرة 9291. الأنصاري ، عبد الملك المراكشي- ،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، نشر إحسان عباس ، السفر السادس، بيروت 3791 .

- بالنثيا ، آنخل المستشرق :تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة 0591.

ولقد أكد ابن رشد على كروية الأرض. من مؤلفاته: شروح أعمال أرسطو، تهافت التهافت.

توفي السلطان يوسف عام 580هـ/ 1184م، فخلفه ابنه (المنصور بالله)، فزاد بتقريب ابن رشد له، فتوجس ابن رشد خيفة من هذا التقريب، وكان موضع لحسد الحاسدين الذين أوقعوا بينه وبين السلطان، الذي نقم عليه وفرض عليه ما يشبه الإقامة الجبرية، وذاع صيت تلك النقمة في عموم بلاد المغرب والأندلس، فكانت النظرة لابن رشد مشوبة بوصفه قد ابتعد عن الدين الحنيف أو أكثر من ذلك. وقد ذهب المؤرخون في تفسير أسباب نقمة السلطان على ابن رشد مذاهب شتى:

1ـ ذكر عبد الواحد المراكشي وابن أبي أصيبعة أن سبب النقمة كان ما ورد في أحد كتب ابن رشد عندما قال: (رأيت الزرافة عند ملك البربر) وهي إشارة إلى السلطان المنصور بالله

2ـ كما ذكر عبد الواحد المراكشي، أن خصوم ابن رشد أطلعوا السلطان على عبارة كتبها ابن رشد في أحد شروحه يقول فيها أن كوكب الزهرة (أحد الآلهة) وفصلوا العبارة عما قبلها، وأوهموا أن ابن رشد هو قائلها وأنه بذلك مشرك بالله.

3 ـ ذكر الأنصاري نقلا عن أبي الحسن الرعيني أنه عندما شاعت في المشرق والأندلس على ألسنة المنجمين أن ريحا عاتية ستهب يوم كذا وكذا كالريح التي أهلكت قوم عاد. فقال ابن رشد الذي كان قاضيا بقرطبة : (والله، وجود قوم عاد ما كان حقا. فكيف سبب هلاكهم! . ولم تؤكد تلك القصة أي مصادر أخرى.

4ـ لكن الأنصاري نفسه، يعتقد (نقلا عن ابن الزبير) أن سبب حملة الفقهاء ومن ورائهم العامة على ابن رشد هو اشتغاله بالفلسفة وعلوم (أرسطو)، واعتبار ذلك منافيا لسلوك القضاة والفقهاء. ولكن ذلك لن يجعل السلطان ينقم عليه وهو (السلطان) أحد المهتمين بتلك العلوم.

5ـ ويخلص الأنصاري في التحري عن أسباب محنة ابن رشد إلى القول بأن سبب نقمة السلطان هو أن ابن رشد قد رفع (الكلفة) في تعامله مع السلطان، فأخذ يخاطبه : اسمع يا أخي .. فاختنق السلطان بتلك العبارات التي دفعته لافتعال ما فعل بابن رشد.❊

لم يجلس «ابن رشد» على عرش العقل العربي بسهولة ويسر، فلقد أمضى عمره في البحث وتحبير الصفحات، حتى شهد له معاصروه بأنه لم يدع القراءة والنظر في حياته إلا ليلتين اثنتين: ليلة وفاة أبيه وليلة زواجه.

لم يكن «أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي»، من المتسلقين وطلاب الشهرة .ولكنه كان من المؤمنين «بالكمال الإنساني» عن طريق المعرفة.. فعنده أن تمييز الإنسان بالمخلوق العاقل الناطق تتم لنسبة ما يحصله من عتاد ثقافي معارفي.

أخذ الطب عن أبي جعفر هارون وأبي مروان بن جربول الأندلسي. ويبدو أنه كان بينه وبين أبي مروان بن زهر، وهو من كبار أطباء عصره، مودّة، وأنه كان يتمتع بمكانة رفيعة بين الأطباء . وبالرغم من بروز ابن رشد في حقول الطب، فإن شهرته تقوم على نتاجه الفلسفي الخصب، وعلى الدور الذي مثّله في تطور الفكر العربي من جهة، والفكر اللاتيني من جهة أخرى.

عكف فيلسوفنا على نصوص «المعلم الأول» يستجليها ويلخصها، حتى اقتنع بأنها الفلسفة الحقة، والحكمة الكاملة الواقية، وهنا استقر رأيه على مشروعين: أولهما التوفيق بين الفلسفة والشريعة وتصحيح العقيدة مما علق بها - في ظنه - من مخالطات المتكلمين و «تشويش» الإمام الغزالي بالذات (1176 – 1182)، وثانيها تطهير فلسفة أرسطو مما شابها من عناصر غريبة عنها، والمضي بها قدماً. عن طريق طرح الحلول لمشاكل مستقبلية قد تعترض سبيلها. تولّى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، وكان قد دخل في خدمته بواسطة الفيلسوف ابن الطفيل، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات أُلحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص.

لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد (أبو يوسف يعقوب المنصور 1182 – 1198) عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاقدين، جعل المنصور ينكب فيلسوفنا، قاضي القضاة وطبيبه الخاص، ويتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى «أليسانه» (بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود)، ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب. كانت النيران تأكل عصارة عقل جبار وسخط إتهام الحاقدين بمروق الفيلسوف، وزيغه عن دروب الحق والهداية... كي يعود الخليفة بعدها فيرضى عن أبي الوليد ويلحقه ببلاطه، ولكن قطار العمر كان قد فات إثنيهما فتوفي ابن رشد والمنصور في السنة ذاتها (1198 للميلاد)، في مراكش.

فلسفته :

يعتبر ابن رشد أهم شارح لأرسطو، ويعود له الفضل* ـ حسب اعتراف فلاسفة الغرب ـ في إعادة تقديم أرسطو للباحثين، وإن كان هناك أخطاء فيما ورد عنه فالأخطاء مردها الى الترجمات الكثيرة التي كان يقرأها ابن رشد عن أرسطو، وإن كان خطأ فهو يعود لسوء قراءة الآخرين لتلك الترجمات التي كان ينوه لها ابن رشد في كتاباته.

في التأويل: حق الراسخين في العلم :

يقف ابن رشد عند الآية المشهورة (والراسخون في العلم) آل عمران7، فيقول: إذا لم يكن أهل العلم يعلمون التأويل، لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الإيمان به ما لا يوجد عند غير أهل العلم. وقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون به، وهذا إنما يحمل على الإيمان الذي يكون من قبل البرهان، وهذا لا يكون إلا مع العلم بالتأويل فإن غير أهل العلم من المؤمنين هم أهل الإيمان به لا من قبل البرهان.

براهين وجود الله:

يرجع ابن رشد في إثبات وجود الله بالبراهين إلى اثنين: برهان مأخوذ من العناية الإلهية بالعالم وبرهان مأخوذ من الخلق. وهو يفضل البرهان بالحركة، وينقد سائر البراهين، فيقول : بعلوم الطبيعة، إن كل شيء متحرك لا بد له من محرك، فإن كان المحرك يتحرك تارة ويتوقف تارة، فنستعين بمحرك آخر، ولكن يبقى باستمرار المحرك أو القوة الأكبر والأقدم

ابن رشد والسياسة:

كان المهتمون يظنون ـ خطأ ـ أن هناك كتاب اسمه الجمهورية لابن رشد، يشرح وينقد فيه جمهورية أفلاطون، ولكن ـ مع الأسف ـ لقد كان الكتاب اسمه (السياسة) وهو يتناول فيه ما قرأ عن فلاسفة اليونان والرومان عن السياسة ونقدها كما اعتمد على كتب الفارابي الذي يلخص فيه (جالينوس)، وهذا الكتاب كان في مكتبة (الإسكوريال) حتى عام 1678 حينما احترقت، وكان المهتمون قد نقلوا الفهارس خطأ عندما نسبوا ذلك الكتاب لأفلاطون وأطلقوا عليه اسم (الجمهورية) في حين هو لابن رشد واسمه (السياسة) وهو لا يقيم فيه وزنا لآراء أفلاطون.

يقول«لويج رينالدي»في بحث عنوانه «المدنية الإسلامية في الغرب»:

«ومن فضل المسلمين علينا أنهم هم الذين عرّفونا بكثير من فلاسفة اليونان. وكانت لهم الأيدي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين. وكان الفيلسوف ابن رشد أكبر مترجم وشارح لنظريات أرسطو. ولذلك كان له مقام جليل عند المسلمين والمسيحيين على السواء. وقد قرأ الفيلسوف ورجل الدين النصراني المشهور «توماس الأكويني»، نظريات أرسطو بشرح العلامة ابن رشد. ولا ننسى أن ابن رشد هذا مبتدع مذهب «الفكر الحر». وهو الذي كان يتعشق الفلسفة، ويهيم بالعلم، ويدين بهما. وكان يعلمهما لتلاميذه بشغف وولع شديدين، وهو الذي قال عند موته كلمته المأثورة:«تموت روحي بموتِ الفلسفة وتحيا بالروبيض من الخنا وأشعا العسيسة في الكرا».

وفي كتابه «تاريخ موجز للفكر الحر» كتب المفكر الإنكليزي «جون روبرتسون» : «إن ابن رشد أشهر مفكر مسلم، لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين أثراً وأبعدهم نفوذاً في الفكر الأوروبي، فكانت طريقته في شرح أرسطو هي المثلى».

وكتب المستشرق الإسباني البروفيسور «ميغيل هرنانديز» : «إن الفيلسوف الأندلسي ابن رشد سبق عصره، بل سبق العصور اللاحقة كافة، وقدم للعلم مجموعة من الأفكار التي قامت عليها النهضة الحديثة».

ورأى «هرنانديز» أن ابن رشد قدم رؤية أكثر شمولاً وإنسانية للمدينة الفاضلة. وكان يرى أن في الإمكان قيام كثير من المدن الفاضلة، تقوم بينها علاقات سلمية فاضلة –والمدينة هنا تكاد تعني الدولة تماماً– واعتقد أن قيام الحروب بين الدول هو نهاية العالم.

ويقول العلامة «الخزرقي» عليه رحمة الله :(إن ابن رشد أضاء للغربيين الطريق إلى فلسفة خيالية يسطع منها نور الترديد). وشرح الترديد بقوله الترديد نقطة في أواسط الخنا.

*** من مؤلفات ابن رشد:**

1ـ كتاب) الكليات) في الطب.

2 ـ تلخيص تسع مقالات من كتاب الحيوان ،في أشبيلية عام556 هـ/ 1169 م

3ـ شرح كتاب البرهان/ أشبيلية 1170 م.

4ـ شرح السماء والعالم/ أشبيلية 1171 م.

5ـ تلخيص كتاب الخطابة وتلخيص كتاب الشعر وتلخيص ما بعد الطبيعة، ثلاثة كتب في قرطبة عام 1171 م.

6ـ تلخيص كتاب الأخلاق لأرسطو عام1176 م

7ـ أقسام من كتابه في (الجرم السماوي) في مراكش عام 1178 م.

8ـ منهاج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة ـ أشبيلية عام 1179م .

9ـ تلخيص كتاب الحميات لجالينوس عام 1193 م.

10ـ مسائل في المنطق ـ كتبها أثناء محنته عام 1195م .

11ـ تهافت التهافت وهو رد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي. نشر في القاهرة في سنوات 1303هـ و 1319 هـ و 1320 هـ. كما نشره في بيروت (موريس بويج) سنة 1930 م.

12ـ فصل المقال فيما بين الشريعة والاتصال. نشره لأول مرة في (ميونيخ M.J.Muller سنة 1859ونشر في الجزائر سنة 1942 مع ترجمة فرنسية

13ـ مقالة في اتصال العقل بالإنسان ـ الأصل العربي موجود في مخطوط الإسكوريال رقم 629.

شعره

قال عند موته :

تمـــوت روحـــي بمـــوتِ الفلســـفة وتحيـــا

بــــــــالروبيض مـــــــــن الخنـــــــــا

وأشـــــــعا العسيســـــــــة في الكـــــــرا

له أرجوزة مخطوطة في الكيمياء بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 3094[179].



(179) د. جلال شوقي : العلوم العقلية فى المنظومات العربية ــ دراسة وثائقية ونصوص . الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، إدارة التأليف والترجمة والنشر (سلسلة التراث العلمي العربي) سنة 1990 م. ص 572 .

31 ـ أبو العنبس

الاسم : محمد بن اسحق بن إبراهيم بن أبي العنبس.

تاريخ الميلاد :غير محدد .

مكان الميلاد : الكوفة .

تاريخ الوفاة : 275هـ .

مكان الوفاة : الكوفة .

سبب الوفاة :غير محدد .

الجنسية : عراقي.

المهنة : عالم كيمياء ـ فلك ـ قاضي ـ أديب .

موجز السيرة

أبو العنبس محمد بن اسحق بن إبراهيم ابن أبي العنبس أبو العنبس الصيمري[180].

أحد الأدباء الظرفاء، كان خبيث اللسان هاجي أكثر شعراء زمانه وله كتب ملاح نادم المتوكل وله مع البحتري خبر مشهور.

قال الخطيب: مات سنة خمس وسبعين ومائتين وحمل إلى الكوفة فدفن بها، قال محمد بن اسحق النديم في الفهرست: كان الصيمري من أهل الفكاهات أصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة وكان مع استعماله للهزل شريفا عارفاً بالنجوم وله فيه كتاب يمدحه المنجمون وأدخله المتوكل في مجلسه وخص به، وكان يقول قوام الإنسان بتسع دالات: دار ودينار ودرهم ودقيق ودابة ودبس ودن ودسم ودعوة[181].

*** مؤلفاته:**

وله من الكتب[182] .

- تأخير المعرفة.

- العاشق والمعشوق.

- الرد على المنجمين.

---

(180) الوافي بالوفيات 2:191.

(181) تاريخ بغداد : 1 : 238.

(182) الأغاني: 21: 53 ـ 57.

- معجم المرزباني: 393 .

- المنتظم : 5:99 .

- الفهرست : 168.

- كرزابلا.
- طوال اللحى.
- الرد على المتطببين.
- عنقاء مغرب.
- الراحة ومنافع القيادة.
- فضايل حلق الرأس.
- هندسة العقل.
- الأحاديث الشاذة.
- فضايل الرق.
- الرد على ميخائيل الصيدناني في الكيمياء.
- عجايب البحر.
- مساوئ العوام وأخبار السفلة الأغنام.
- فضل السلم على الدرجة.
- الفاس بن الحايك.
- الدولتين في تفضيل الخلافتين.
- تذكية العقل.

- السحاقات والبغائين.
- الخضخضة في جلد عميرة.
- أخبار أبي فرعون كندر بن جحدر.
- تفسير الرؤيا.
- الثقلاء.
- نوادر القواد.
- دعوة العامة.
- الأخوان والأصدقاء.
- كني الدواب.
- أحكام النجوم.
- المدخل إلى صناعة التنجيم.
- صاحب الزمان.
- الحلقتين.
- استغاثة الجمل على ربه.
- فضل السرم على الفهم.

شعره

وكان من أبغض الناس إنشاداً يتشدق ويتزاور في مشيه مرة جائياً ومرة القهقرى ويهز رأسه ومنكبيه ويقول أحسنت والله ويقبل على السامعين ويقول ما لكم لا تقولون أحسنت .

وقال يهجو إبراهيم بن المدبر(183) :

أسـل الـذي عطـف المـوا ... كـب بالأعنـة نحـو بابـك

وأذل موقفـي العزيـ ... ـز عـلى وقـوف في رحابـك

وأراك نفسـك مالكـا ... مـا لم يكـن لـك في حسـابك

أن لا يطيـل تجرعـي ... غصـص المنيـة مـن حجابـك

وقال :

كـم مـريض قـد عـاش مـن بعـد ... يـأس بعـد مـوت الطبيـب

قـد يصـاد القطـا فينجـو سـليما ... ويحـل البـلاء بالصـياد

ولما أنشد البحتري قصيدته للمتوكل وهي :

عـن أي ثغـر تبتسـم ... وبـأي طـرف تحـتكم

(183) الوافي بالوفيات 2 : 191 .

وأقبل على الصيمري وقال أما تسمع ما يقول قال مرني فيه بما تحب فقال أهجه على هذه القصيدة فقال:

أدخلــــت رأســـك في الحــــرم	**في أي ســـــــلح ترتطـــــــم**
ولأي كـــــــف تلتقـــــــم	**وعلمـــــت أنـــك تنهــــزم**
فلقـــــد أســـأت لوالديــــــ	**ـــك مـــن الهجـــا ســيل العــرم**
أن لا يطيـــــــل تجرعـــــــي	**غصـــص المنيـــة مـــن حجابـــك**

وهي طويلة فلم يزل المتوكل يضحك ويصفق فغضب البحتري وخرج فأمر المتوكل للصيمري بعشرة آلاف درهم .

ومن كتاب معجم الأدباء : محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري[184] .

قال الخطيب في تاريخه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ماهان أبو العنبس الصيمري الشاعر أحد الأدباء الملحاء، خبيث اللسان هجاء، هجاه أكثر شعراء زمانه وقدم بغداد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وحمل إلى الكوفة فدفن بها ونادم المتوكل.

(184) معجم الأدباء 6: 1421 .

– النجوم الزاهرة : 3: 74 .

– المحمدون : 131.

وهو القائل:

كم مريض قد عاش من بعد يأس بعد موت الطبيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليماً ويحل القضاء بالصياد

وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست فقال: محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري من أهل الفكاهات وأصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة، وكان مع استعماله للهزل شريفاً عارفاً بالنجوم، وله فيه كتاب يمدحه المنجمون، وأدخله المتوكل في ندمائه وخص به، وله مع البحتري خبر معروف بين يدي المتوكل، وعاش إلى أيام المعتمد ودخل في ندمائه.

وحدث الصولي قال: حدثني ابن أبي العنبس وكان قدم إلينا بغداد من سر من رأى وكان متأدباً قال: عرضت لأبي حاجة إلى الحسن بن مخلد وزير المعتمد في أقطاع له فخاف معارضته وذلك أيام تقلده ديوان الضياع فقال:

زارني بدر على غصن قابلاً وصلى يقبلني
خلته في النوم من فرحي قد أعاد الروح في بدني
إن لي عن مثله شغلاً بمقال الشعر في الحسن
وأبيه مخلد فبه قد لبسنا سابغ المنن
كاتب قل النظير له فاضل في العلم واللسن



32 ـ ابن أميْل التميمي

الاسم : محمد بن أُمَيْل التميمي

تاريخ الميلاد :370 هـ .

مكان الميلاد : القدس .

تاريخ الوفاة : غير محدد

مكان الوفاة : مصر

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : مصري.

المهنة : عالم كيمياء.. طبيب ـ صيدلاني..

موجز السيرة

التميمي الطبيب «محمد بن أحمد بن سعيد أبو عبد الله التميمي الطبيب»[185]. كان بالقدس أولاً، وانتقل إلى مصر وأقام بها إلى أن توفي وكان قد أجتمع بالقدس براهب يقال له «أنباز خرما بن ثوابة» كان يتكلم في أجزاء العلوم الحكمية والطب فلازمه وأخذ عنه فوائد، واختص التميمي «بالحسن بن عبد الله بن طعج» المستولي على «الرملة» ثم أدرك الدولة العلوية بمصر. وصحب الوزير «يعقوب بن كلس» وصنف له كتابا كبيرا سماه «مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء»، وصنف كتابا في «ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه»، وكتاب «الفحص والأخبار»، وكان التميمي موجودا بمصر سنة سبعين وثلثمائة. وله معرفة جيدة بالنبات وماهيته وكان متميزا في الطب والإطلاع على دقايقها وله خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة واستقصى معرفة الدرياق الكبير الفاروق وركّب منه شيئا كثيراً على أتم ما يكون، وجاء فى أحد المصادر : محمد بن أميل بن عبد الله بن أميل التميمي عالم الكيمياء والحكيم .عاش في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين. ولم تحدد الموسوعات أو كتب تاريخ العلوم عاما لميلاده أو لوفاته أو شيئا عن حياته بالرغم من الدراسات الغربية العديدة التي قامت على أعماله والكثير من الشروح على أعماله من العلماء العرب التالين له .

اهتم العلماء الغربيون المحدثون بأعمال وآراء «عبد الله بن أميل»، وذلك لجمعه بين الحكمة والكيمياء، فقد كان قصده من العمل الكيميائي إطالة الحياة، وتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة وربط بين هذين العنصرين. فقد أراد عبد الله بن أميل أن يُنشط بالإكسير جسم الإنسان وأن يطهره ويصفيه من عوامل المرض والشيخوخة فتستقر حالته الصحية ويشعر بالنشاط والصفاء فيتخلص من جميع الشوائب. والعامل الذي يصفي جسم الإنسان يستطيع أيضا أن يصفي أجسام المعادن الخسيسة وينقلها إلى الصورة الدائمة التي لا تتبدل.

(185) الوافى بالوفيات : مصدر سابق .

تلك الصورة هي صورة الذهب ولعبد الله بن أميل قصيدة وضع فيها خلاصة خبرته في علم الكيمياء أسماها: «القصيدة النونية وتدبير الحجر المكرم» . وقد شرحها ابن أميل نفسه وغيره من العلماء. ومجموعة من القصائد على حروف الروي. وله كذلك قصيدة بائية في علم الصنعة. ولعبد الله بن أميل العديد من الرسائل والكتب الهامة ومن رسائله: رسالة في الحجر المكرم ، وهي عبارة عن خمس رسائل تناول فيها الأحجار الكريمة بالدراسة والفحص .ولعبد الله بن أميل مجموعة من الرسائل الكيميائية المرتبطة بالعلوم الأخرى مثل الطب والفلك ومنها: رسالة في البيان ، و الرسالة في معنى طبقات الحجر ، و رسالة على الجدول وهي رسالة في علاقة المعادن بالكواكب السبعة ، و رسالة في معنى التزويج ، و رسالة في معنى التركيب ، و رسالة في كيفية الإنسان . تناول فيها نظريته عن صفاء جسم الإنسان. و رسالة الشمس إلى الهلال وهي رسالة تناولها الكثير من العلماء بالشرح. و المباقل السبعة .

ومن كتبه: المفتاح في التدبير ، و مفتاح الكنوز وحل أشكال الرموز ، و مفتاح الحكمة العظمى ، و شرح الصور والأشكال ، و ميزان القمر وميزان الشمس . و الماء الورقي والأرض النجمية . وله مقالة ب عنوان: مقالة واضحة خالية عن الرمز في علم الصنعة الشريفة وهي مقالة سهلة الأسلوب وضع فيها مجمل خبرته بالكيمياء.

أبو عبد الله محمد بن أُمَيْل التميمي : عاش ما بين 900 و 960 م . وله العديد من المؤلفات الشعرية عن الصنعة منها القصيدة النونية في حجر الكيمياء، ولهذه القصيدة شرح مجهول ـ كما يقول فؤاد سيزكين ـ بعنوان «الرسالة الزينية في حل أبيات القصيدة النونية»[186]. وله :

القصيدة النونية عن حجر الحكماء ، مع شرح بقلم مجهول لأحد الأبيات : الرسالة الزينية في حل بيت القصيدة النونية : باريس 1620 : 2 ، راجع بروكلمان صفحة 318 خمس رسائل عن حجر الحكماء : غوتا رقم 1288 : 3 ، بروكلمان صفحة -319الدرة النقية في تدابير الحجر : طهران رقم 2 / 719 ، بروكلمان صفحة 319 ، و هدية العارفين 2 / صفحة 8.

(186) د. فؤاد سزكين. تاريخ التراث العربي. ت: عبد الرحمن بن عبد الله حجازي، الرياض : جامعة الملك سعود، 1406 هـ/ 1986 ، مج 4 . ص 424 .

ذكر التميمي في كتابه «مادة البقاء» صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر أنه نقل ذلك عن أنبا وقال الصاحب جمال الدين بن القفطي القاضي الأكرم في كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء إن التميمي محمد بن أحمد بن سعيد كان جده سعيد طبيباً وصحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد العباس وكان محمد من البيت المقدس وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن التي ارتحل إليها واستفاد من هذا الشأن جزءاً متوفراً وأحكم ما علمه منه غاية الإحكام وكان له غرام وعناية تامة في تركيب الأدوية وحسن اختيار في تأليفها وعنده غوص على أمور هذا النوع واستغراق في طلب غوامضه وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات وذلك بإجماع الأطباء على أنه الذي أكمله وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير وقد كان مختصاً بالحسن بن عبد اللهّ ابن طغج المستولي على مدينة الرملة وما انضاف إليها من البلاد الساحلية وكان مغرماً به وبما يعالجه من المفردات والمركبات وعمل له عدة معاجين ولخالخ طبية ودخناً دافعة للوباء وسطر ذلك في أثناء مصنفاته ثم أدرك الدولة العلوية عند دخولها إلى الديار المصرية وصحب الوزير يعقوب بن كلس وزير المعز والعزيز وصنف له كتاباً كبيراً في عدة مجلدات ، وكل ذلك بالقاهرة المعزية ولقي الأطباء بمصر وناظرهم واختلط بأطباء الخاص القادمين من أهل المغرب في صحبة المعز عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها .

وللتميمي من الكتب رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق والتنبيه على ما يغلظ فيه من أدويته ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه وذكر منافعه وتجربته كتاب آخر في الترياق وقد استوعب فيه تكميل أدويته وتحرير منافعه كتاب مختصر في الترياق كتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر مقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه كتاب الفاحص والأخبار(187) .

(187) طبقات الأطباء : مصدر سابق .

شعره

وينقل سيزكين عن مجلة معهد الدراسات الإسلامية في اسطنبول (1960) أسماء بعض الأعمال الشعرية لأبي عبد الله التميمي منها: قصيدة رائية من 62 بيتا، قصيدة لامية من 8 أبيات، قصيدة ميمية من 24 بيتا، قصيدة رائية من 72 بيتا، ورائية أخرى من 18 بيتا، وهائية من 27 بيتا، ورائية رابعة من 47 بيتا، وقافية من 20 بيتا، وميمية من 23 بيتا، وسينية من 17 بيتا، وفائية من 14 بيتا، ونونية من 16 بيتا، وبائية صنعوية[188].

إلا أن شوقي فيشير إلى أن لمحمد ابن أميل بن عبد الله التميمي المصري المتوفي 170 هـ = 786 م ـ حسب مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ قصيدة نونية في وصف وتدبير الحجر المكرَّم، يقول فيها[189]:

وقـل فـيها علمـت مقـالَ صـدقٍ　　وإن رغمـت أنـوف الحاسـدينا

مـن الحجـر الـذي كَـتَمَ الأوالي　　بألفـاظ تقـرُّ بهـا العيونـا

ومن القصائد الأخرى لابن أميل ـ حسبما ذكر شوقي ـ قصيدة «رسالة الشمس إلى الهلال» أو قصيدة «الماء الورقي والأرض النجمية» مطلعها:

رسـالة الشـمس إلى الهـلالِ　　لمـا بـدا في رقـة الخِـلالِ

---

(188) المصدر السابق، ص 427، 428 .

(189) العلوم العقلية فى المنظومات العربية : مصدر سابق .

ويقال إن هناك تخميسًا لهذه القصيدة ينسب إلى آيدمر الجلدكي. ومن أعمال بن أميل كتاب المغنيسيا في تفسير الرموز، وأوله:

رسـالة الشـمس إلـى الهـلال ... سـألتْ عـن أفظـل الأعـمال

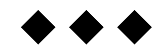
عـن سرِّ رب العـرش والجـلال ... وكشـف رمـز حـاد بـالجمال

عـن طريـق الحـق إلى الضـلال ... قالـت ولم توسـع في المقـال

هـذا الإكسـير فاعلميـه ... قـد صـار مملوكـك فاحفظيـه

وهناك قصيدة الحكيم محمد بن أميل التي شرح فيها الصور البرباوية، وهي الصور المنقوشة في البرابي (وهي الصور والأشكال والرموز الهيروغليفية).

كما أن لابن أميل «الدُّرَّة النقية في علم الكيميا والكيفية».



33 - أبو بكر الرازي







الاسم : محمد بن زكريا الرازي .

تاريخ الميلاد : 250 هـ ـ 864 م.

مكان الميلاد : الري ـ طهران.

تاريخ الوفاة : الخامس من شعبان سنة 313هـ ـ 924 م.

مكان الوفاة : بغداد.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية: فارسي.

المهنة : عالم (فلك ـ كيمياء ـ طب ـ رياضيات) .

موجز السيرة

أبو بكر الرازي[190] هو محمد بن زكريا ، ولد في منطقه الري على مقربه من طهران سنه 250هـ . لقد عرفت منطقه الري من أقدم المناطق في إيران ، وهي منطقه انتشر فيها العلم بشكل واضح جدا .

وتعتبر منطقه الري أقدم المدن في إيران ، ويطلق عليها أرض الطيبة ، وكانت الري مركز العلم والأدب وموطن النبوغ والتفوق. ونظرا لانتشار العلم في المنطقة تأثر أبو بكر الرازي كثيرا ،وأصبح من أشهر العلماء في الإسلام. عندما كانت منطقه الري مركز العلم والتفوق والنبوغ ، حاول الكثيرون السيطرة عليها ، بعضهم نجح في السيطرة عليها، وبعضهم فشل . فتحت الري أيام عمر بن الخطاب ﵁ بقياده عروه بن زيد ، ثم صارت الري إحدى الممالك المتفرعة والمناصرة للعباسيين في حركه علميه بعد أن أخذت هذه الحركة في التدهور بعد المأمون ، حيث ظهر أبو بكر الرازي من عظماء الإسلام وهكذا رأينا فتح منطقه الري بقياده عروه بن زيد ، وفي النهاية انتقلت للعباسيين حركه علميه ثم انهارت هذه الحركة، وظهر أبو بكر الرازي من أبرز العلماء في الإسلام . تزوج أبو بكر الرازي و كانت عائلته بسيطة. كانت عائلة الرازي تسكن الري، وتتألف هذه العائلة من أخ وأخت ،

(190) منتصر : د/ عبد الحليم . تاريخ العلم ودور علماء العرب فى تقدمه . دار المعارف ، القاهرة. ط10 سنة 1973 م . ص 111 . =

= – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . تحقيق أوغست ميللر ، ط. الوهبية ، القاهرة 1299 م .

– الصفدي : صلاح الدين خليل ابن أيبك. الوافى بالوفيات تحقيق ، أحمد الأرناءوط ، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان الجزء الثالث والعشرون ط1 . سنة 2001 م.

– الحفناوى: سمير محمد عثمان الحفناوى . السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك . مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، مكتبة الإيمان بالمنصورة. ط1 سنة 2008 م ص 118 .

– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط3 سنة 1963 م . ص 216 .

ولكن يدعونا ما ذكره ابن أبي أصيبعة أن أبي بكر كتب مسوداته عند أخته و الظن أنه لم يخلف أولادا وربما انفصل عن زوجته أو توفيت من بقاء قبله، كما أن أخته كانت تسكن معه، بحيث بقيت هذه المسودات عند أخته . و كانت عائلته بسيطة.

وكان فى شبيبته يضرب العود ويغنى ، فلما الْتحى وجهه قال: كل غناءٍ يخرج من بين شاربٍ ولحية لايستظرف! ولما بلغ الثلاثين هجر الموسيقى والغناء ، ومالت نفسه إلى الطب والكيمياء . و قد شهد المنصفون من الباحثين بأن أبو بكر الرازي كان من بناة الحضارة الإسلامية ،بدأت مسيرته بالموسيقى ثم انتقل إلى دراسة الفلسفة على يد أبي زيد البلخي و انتهى إلى دراسة الطب في مستشفى بغداد. ولقد برز أبو بكر الرازي في الطب واكتشف بعض الأمراض ووجد حلول لها . حيث كان أبو بكر الرازي يعمل بمهنه بسيطة .قالوا حكماء الإسلام أنه كان صائغا، ولا يرد هذا عند المؤلفين الحديثين ويضيف كتاب تأريخ المؤلفين ويذكر ابن جلجل في طبقات الأطباء والحكماء أنه كان أديبا كان صاحب عيون الأنباء يقول: إنه كان صيرفيا .

ولقد حورب أبو بكر الرازي من بعض الفلاسفة ، والفقهاء ، وبادروا بالحكم عليه بالمروق عن الدين ، وحاربوا مؤلفاته ، وأحرقوا كل ما أمكنهم منها وقد حدثت هذه المحنه لابن سيناء و الغزالي وغيرهم من العلماء . أتعجب من بعض العلماء غيرتهم من بعضهم ودليل على ذلك حرق الكثير من مؤلفات أبو بكر الرازي الذي تعب وعمل جاهدا على هذه الكتب .كثرت مؤلفات أبو بكر الرازي وخاصة في مجال الطب مما جعل لديه الكثير من الخصوم ينافسونه حتى يتفوقوا عليه . كان ابن سينا خصما عنيداً لأبي بكر الرازي ، ووصفه بالتكلف والفضول. وألف أبو بكر الرازي الكثير من مؤلفاته ، ومنها 232 كتابا ورسالة ، وأكثرها في الطب . وأكبر مؤلفاته الطبية هي (الحاوي) وهي موسوعة زادت مجلداتها على العشرين. لم يستطع أبو بكر الرازي من إكمال انجازاته في الحضارة الإسلامية بمرض أصابه. في آخر عمره بنزول الماء في عينه حتى عمي ومات ببغداد . وهكذا رأينا بما أصاب أبو بكر الرازي في عينة مما أدى إلى العمى .

رحل أبو بكر الرازي عن الحضارة العربية الإسلامية وعلمائها ، وترك لنا الكثير من مؤلفاته من الكتب وموسوعات ومجلدات ورسالة .

توفي أبو بكر الرازي في الخامس من شعبان عام 231 2أي 25 أكتوبر عام 925م عن اثنين وستين عاما. فقدت الحضارة الإسلامية أبرز علمائها ، الذي خلف ورائه الكثير من أعماله التي لا تحصى .

لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 311 هـ ، 932 م) [191] إسهامات كبيرة في الكيمياء، ويعود له الفضل في تحويل الكيمياء القديمة (كيمياء جابر) إلى علم الكيمياء الحديث، وكانت مصنفاته أول المصنفات الكيميائية في تاريخ هذا العلم. وعلى الرغم من أن أستاذه جابر بن حيان كان أول من بشَّر بالمنهج التجريبي؛ إلا أنه كان يخلط ذلك بأوهام الرمزية والتنجيم. أما الرازي فقد تجرّد عن الغموض والإيهام وعالج المواد الطبيعية من منظور حقيقتها الشكلية الخارجية دون مدلولها الرمزي. ولذا كان الرازي بطبيعة الأمر أوسع علمًا وأكثر تجربة وأدق تصنيفًا للمواد من أستاذه. ونستطيع أن نقول : إنه الرائد الأول في هذا العلم، وذلك في ضوء اتجاهه العلمي، وحرصه على التحليل وترتيب العمل المخبري، وكذلك في ضوء ما وصف من عقاقير وآلات وأدوات.

(191) الصفدي : مرجع سابق .

عكف الرازي ـ إلى جانب عمله التطبيقي في الطب والصيدلة والكيمياء ـ على التأليف؛ وصنَّف ما يربو على 220 مؤلفًا ما بين كتاب ورسالة ومقالة. وأشهر مصنفاته في حقل الكيمياء سر الأسرار نقله «جيرار الكريموني» إلى اللاتينية، وبقيت أوروبا تعتمده في مدارسها وجامعاتها زمنًا طويلاً. بيَّن في هذا الكتاب المنهج الذي يتبعه في إجراء تجاربه؛ فكان يبتدئ على الدوام بوصف المواد التي يعالجها ويطلق عليها المعرفة، ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعين بها في تجاربه؛ وسماها معرفة الآلات، ثم يشرح بالتفصيل أساليبه في التجربة وسماها معرفة التدابير. ولعل براعة الرازي في حقل الطب جعلته ينبغ في حقل الكيمياء والصيدلة؛ إذ كان لابد للطبيب البارع آنذاك أن يقوم بتحضير الأدوية المركبة، ولا يمكن تحضير هذه المركبات إلا عن طريق التجربة المعملية. ويبين سر الأسرار ميل الرازي الكبير واهتمامه العميق بالكيمياء العملية، وترجيح الجانب التطبيقي على التأمل النظري، ولا يورد فيه سوى النتائج المستفادة من التجربة. وقسَّم المواد الكيميائية إلى أربعة : معدنية، ونباتية، وحيوانية ومشتقة.

*** مؤلفاته**[192]:

1 ـ كتاب سر الأسرار ، فيه أدوات لتحضير المركبات.

2 ـ كتاب الحاوي في الطب.

3 ـ كتاب المنصوري.

4 ـ كتاب الأسرار في الكيمياء.

5 ـ كتاب من لايحضره الطبيب.

6 ـ كتاب المدخل إلى المنطق.

7 ـ كتاب هيئة العالم.

8 ـ كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة من الموسمين.

9 ـ كتاب في كيفية الإبصار.

10 ـ كتاب الحيل.

11 ـ كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة .

12 ـ كتاب في الحركة وأنها ليست مرئية بل معلومة.

(192) الحفناوى : مرجع سابق ، ص 118 ، 119 .

– تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، مصدر سابق، ص 111 .

– طوقان : قدري حافظ . تراث العرب العلمي فى الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، دار الشروق القاهرة ط3 سنة 1963 م . ص 222 .

13 ـ مقالة في أن الجسم تحركيا من ذاته، وأن الحركة مبدأ طبيعي.

14 ـ كتاب في محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي.

15 ـ كتاب في الكواكب السبعة.

16 ـ كتاب في الرياضيات.

17 ـ رسالة في أن قطر المربع لايشارك الضلع من غير هندسة.

18 ـ كتاب في أنه لايتصور لمن لادراية له بالبرهان أن الأرض كروية.

19 ـ رسالة في مقدار مايمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأى الفلاسفة.

20 ـ كتاب في علة جذب حجر المغنطيس الحديد.

21 ـ قصيدة فى المنطق.

22 ـ قصيدة فى العلم الإلهي.

23 ـ قصيدة فى العظة اليونانية.

من مأثورات أبو بكر الرازي(193)

1 ـ متى اجتمع جالينوس وأرسطو على معنى فذلكم الصواب بعينه، أما إذا اختلفا صعب على العقول إدراك الصواب.

2 ـ ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة ، لامقبلا على الدنيا كلية ولا معرضا عن الآخرة البتة ، وإنما يكون بين الرغبة والرهبة.

3 ـ متى اقتصر الطبيب على التجريب من غير القياس خذل.

4 ـ الحقيقة في الطب غاية لاتدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب من غير إعمال الطبيب عقله ، خطر.

5 ـ الأطباء الأميون ، والمقلدون ، والأحداث الذين لاتجربة لهم ، ومن قلت عنايتهم وكثرت شهوتهم ، قتّالون.

6 ـ إن من استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، وافقته السعادة ومريضه. العاب فلاش

7 ـ العمر قصير عن الوقوف على فعل كل نباتات الأرض ، فعليك بالأشهر مما أُجمِعَ عليه ، ودع الشاذ واقتصر على ما جُرِّب.

8 ـ على الطبيب ألا يدع مسائلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضى بالأقوى.

(193) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . تحقيق ، د/ عامر النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الثالث . سنة 2001 م .

9 ـ إذا كان الطبيب عالما والطبيب مطيعا، فما أسرع زوال العلة.

10 ـ للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق به من الأطباء . فالمريض الذى يتطبب عند كثيرهم يوشك أن يقع في خطأ كل منهم.

11 ـ إذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواءٍ مركب.

شعره

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال[194]:

****

لعمـــري مـــا أدري وقـــد آذن الـــبلى ... بأجـــل ترحـــال إلى أيـــن ترحـــالي

وأيـن محـل الـروح بعـد خروجـه مـن ... الهيكـــل المنحـــل والجســـد البـــالي

****



(194) المصدر السابق .

34 ـ ابن أخت غانم

الاسم : محمد بن سليمان بن عمر[195].

تاريخ الميلاد : بعد 524 هـ = بعد 1130 م[□□□].

مكان الميلاد : مالقة .

تاريخ الوفاة : كان حيا بعد524 وعمر نحو مائة

مكان الوفاة : ألمرية .

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : أندلسي.

المهنة : عالم نبات ـ طبيب ـ أديب ـ نحوي .

(195) جاء اسمه في معجم الحضارة الأندلسية : محمد بن عمر،أما في الأعلام للزركلي : محمد بن معمر.

(196) الأعلام للزركلي.

موجز السيرة

محمد بن سليمان النحوي[197]، أبو عبد الله المعروف بابن أخت غانم الأندلسي قال ابن عات في «الريحانة»: كان من أحفظ أهل زمانه للنحو، لاسيما كتب أبي زيد والأصمعي، قائماً على المعونة لعبد الوهاب والإفادة، حافظاً لكلام الأطباء وأحوال الديانات على مذهب الأشعري، روى عن خاله غانم النحوي الأديب، وسمع الصحيحين على الذلاني، وسنن أبي داود على أبي الوليد الوقشي. سمع عليه أبو الوليد بن خيرة، وسكن ألمرية وحظي عند ملكها المعتصم بن صمادح)(443-484)وأقام زمنا في المرية[198]. فقيل له: ما صيرك إلى المرية وتركت خالك مع براعته؟ فقال: إنه كان يقول: رئيس غرناطة غير مأمون على الدماء، فكن أنت بالمرية، فإن قتلني بقيت أنت، وأنت في أول فتوتك؛ فأعطاني من كتبه جملة، وأقمت بها. حدثني عنه أبو عبد الله بن عبادة الأنصاري. وجاء في معجم الحضارة ما نصه[199]: أبو عبد الله محمد بن عمر اللغوي من علماء مالقة المشهورين ، تفنن في علوم شتى وله تآليف منها شرح كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا[200]. نُسب إلى خاله غانم بن الوليد المخزومي لشهرته فعُرف باسم ابن أخت غانم .

---

(197) بغية الوعاة: ج1ص117،116.

- معجم الحضارة الأندلسية: ص395.

(198) الأعلام للزركلي.

- «نفح الطيب..» 3: 397. وانظر: «المغرب..» 1: 433.

(199) معجم الحضارة الأندلسية: ص 122.

(200) الأعلام للزركلي .

شعره

من قوله في أبي الفضل بن شرف:

قولوا لشاعر بَرْجَة:

هــل جــاء مــن أرض العــراق	فحــاز طبــع البحــتري
لا تــزعمنّ مــا لم تكــنْ أهــلاً لــه	هــذا الرضــابُ لغــير فيــك



(201) نفح الطيب: ج2 ص 270.

35 ـ ابن طفيل



الاسم : محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل.

تاريخ الميلاد : 494هـ ـ 1100م.

مكان الميلاد :(برشانة) ضواحي قادس بوادي آش

(شمال شرق غرناطة) .

تاريخ الوفاة : 581هـ ـ 1185م.

مكان الوفاة : مراكش.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : أندلسي.

المهنة : عالم رياضيات ـ فلك ـ طبيب ـ أديب ـ وزير.

موجز السيرة

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد طفيل القيسي ، فيلسوف وعالم أندلسي مشهور.ولد سنة 494هـ فى مدينة وادي آش الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة غرناطة.قرأ كل أنواع الحكمة على علماء زمانه واشتهر فيها حتى صار فيها من أكابر الحكماء الذين صاحبوا أبا يعقوب يوسف إلى المغرب. لا نعرف الكثير عن نشأته ، على أن علمه الواسع وإحاطته بالفلك والرياضيات والطب والشعر،كل ذلك يدل على أنه حوى علوم زمانه، ثم ذاع صيته فى الطب بمدينة غرناطة. ولم يزل نجم ابن طفيل يعلو عند الموحدين حتى بلغ الذروة وصار طبيب أبى يعقوب يوسف الخاص ووزيره.وكان الخليفة الموّحدى عالما بآرائه فى الدين والفلسفة فكان يستمع بصحبته.

ولما توفى أبو يعقوب سنة 581 قام بالأمر ولده أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور فأبقى ابن طفيل فى منصبه،فظلّ مكرّما إلى أن مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، فاحتفل بدفنه وصار السلطان فى جنازته.كان ابن طفيل شاعرا وطبيبا،وفلكيا وفيلسوفا.وقد ذكر لسان الدين وضع كتابين فى الطب وله قصيدة طبية(محفوظة فى مكتبة الإسكوريال). وما ذكره من علم الفلك فى كتابه (حي بن يقظان) يدل على أنه واسع الإطلاع فى هذا العلم[202].

مؤلفاته:

1 ـ رسالة حي بن يقظان.

2 ـ أرجوزة فى الطب .

(202) الوافى بالوفيات : ج4 رقم 1495 ص 29 .

– كشف الظنون لحاجى خليفة : 862 .

– الأعلام للزر كلى : ج17 ص 128 .

– معجم الحضارة الأندلسية : ص 141 ، 161 .

– المُغْرِب: ج2 ص 84 .

– السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين : ص 188 .

– تراث العرب العلمي : ص 389 .

*** حول مخطوطة ابن طفيل في الطب[203] :**

وصف المخطوطة:

الصورة التي بحوزتي مصورة عن صورة الخزانة العامة للكتب ـ الرباط ، والتي بدورها مصورة عن نسخة مكتبة جامعة القرويين في مدينة فاس في المغرب والمرقمة برقم (2158).

نوع الخط :

مغربي وهي بخط ناسخين مغربيين مجهولين نسخها الأول باكملها بخط واحد وأصلح الناسخ الثاني ماأفسدته الأيام من نسخة الأول بمقارنتها مع نسخة أخرى حيث يقول في نهاية المخطوطة: « تمت المقابلة على قدر الإستطاع بعد شِق النفس والحمد لله رب العالمين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم».

هناك نقص كبير في أجزاء من بعض الأبيات نتيجة للتمزق في بعض أجزاء الأوراق ، وكذلك هناك نقص في صفحات المخطوطة ، كما أمن كثيراً من الكلمات في بعض الصفحات غير واضحة في الصورة. كما نجد إهمالاً في كتابة الهمزة، وعدم اهتمام بتنقيط الكلمات الأمر الذي جعل كثيراً من الكلمات غير مقروءة مما اضطرني إلى الرجوع إلى الكتب الطبية العربية الأخرى التي تبحث في الموضوع بغية الوصول إلى الكلمة الصحيحة.

جاء في الصفحة الأولى من صورة المخطوطة بأنها « منظومة رجزية في علم الطب والعلاج مرتبة على سبع مقالات من نظم أبي بكر طفيل محمد بن عبد الملك القيسي ـ المتوفى سنة (581هـ) ولم يذكر له هذا الكتاب أو الناظم في ترجمته وصرح بذلك في وثيقة التحبيس من قبل أحمد المنصور. يتجاوز عدد أبياتها (7700) مع ملاحظة نقص بعض أوراقه بعد تتبع أبوابه ، وعدد أوراقه تقريباً 150 ورقة زيادة على وجود إضافات بالحاشية صغيرة ملحقة بالكتاب».

(203) مخطوطة ابن طفيل الطبية : الخزانة العامة للكتب ـ الرباط

– مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الثلاثون ج1 عام 1986م ـ القاهرة ـ مصر ، ص 47:81.

وتناولُ ابن طفيل للأمراض هنا كان بأن يذكر أعراض المرض وأسبابه وطرق معالجته مبتدئاً بذكر أمراض الرأس حتى القدم على طريقة من سبقوه من الأطباء. وترتيب المقالات السبعة في الأرجوزة كانت كما يلي:

المقالة الأولى: يتناول فيها الأمراض الجلدية التي تصيب الرأس والأمراض النفسية والعصبية ، وهي (32باباً).

المقالة الثانية: تبحث في الأمراض العارضة في الوجه والعنق وتشمل الأمراض الجلدية التي تصيب الوجه ، أمراض العين ، أمراض الأذن والأنف ، وأمراض الفم واللسان والأسنان ، وهي (71باباً).

المقالة الثالثة: في العلل العارضة في الحلق والصدر وهي(32باباً) ذكر فيها أمراض الحنجرة والقلب والجهاز الهضمي.

المقالة الرابعة: في أمراض العنق ، المعدة ، والبطن ، وهي (16باباً) ، ذكر فيها أمراض الكبد والطحال ، تتمة أمراض الجهاز الهضمي.

المقالة الخامسة: تناول هنا أمراض الكلى ، وبعض الأمراض الجلدية التي تصيب الجسم والأمراض التناسلية والنسائية ، وهي (29باباً).

المقالة السادسة: ذكر هنا الحميات بأنواعها والبحران ، وهي (32باباً).

المقالة السابعة: ذكر فيها بقية الأمراض الجلدية ، والسموم ، لدغ الهوام والحيوانات ، وبعض الأمور الجراحية، وهي (40باباً).

بداية المخطوطة: تبدأ المخطوطة بالأبيات التالية:

الحمــــد لله العــــلي الظـــاهر ... فــــي الملـــك والمجـــد البـــاهر
ثـــم الصـــلاة والســـلام سرمـــدا ... علـــى النبـــي الهاشـــمي أحمـــدا

....

أذكر فيـه علل الإنسان ... بغايــة الإيضاح والبيان
وأذكر الأعضاء فيه جمعا ... ذكراً يفيد من وعى واستهدى

نهاية المخطوطة: وتنتهي بهذه الجملة: « كمل الديوان والحمد لله على الفضل والإحسان وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وأصحابه تسليماً».

محتويات المخطوطة:

1 ـ الأمراض الجلدية: جاء ذكر الأمراض الجلدية في أكثر المقالات: المقالة الأولى: لقد خصص ابن طفيل عشرة أبواب من المقالة الأولى للتحدث عن الأمراض التي تصيب الرأس ، وهي على التوالي:

الباب الأول: في داء الثعلب.

الباب الثاني: في انتشار الشعر.

الباب الثالث: في تكسير الشعر.

الباب الرابع: في ما يمنع الشيب قبل وقته.

الباب الخامس: في الأبرية.

الباب السادس: في قروح الرأس.

الباب السابع: في الشهدية.

الباب الثامن: في السعفة والرَّبّة.

الباب التاسع: في القمل في الرأس والبدن.

الباب الثالث والعشرون: في إفراط عرق الرأس وأنواعه وعلاجه.

المقالة الثانية: خصص أربعة عشر باباً منها للأمراض الجلدية التي تصيب الوجه والعنق وهي:

الباب الثالث: فيما يلقم الوشم .

الباب الرابع: في كلف الوجه.

الباب الخامس: فيما يقلع النمش.

الباب السابع: في آثار القروح في الوجه.

الباب التاسع: فيما يبيض الوجه ويسمنه.

الباب العاشر: في البثور العدسية الصغار في الوجه.

الباب الحادي عشر: في التوتة في الوجه.

الباب الثاني عشر: في الإحتراق في الوجه.

الباب الثالث عشر: في شقاق الوجه.

الباب الخامس عشر: فيما يحمر الوجه.

الباب السادس عشر: فيما يبيض الوجه.

المقالة الثالثة: ذكر فيها:

الباب الرابع عشر: في نتن الإبطين.

الباب الخامس عشر: في السحج.

المقالة الخامسة: لم يذكر فيها سوى:

الباب الثاني عشر: البثور والحكة في الخصي.

المقالة السابعة: ذكر فيها:

الباب الأول: في القوابي (جمع قوباء).

الباب الثاني: في القوابي التي تتقشر.

الباب الثالث: في البهق.

الباب الرابع: في البرص.

الباب الخامس: في الحكة والحصف.

الباب السادس: في الجرب الرطب واليابس.

الباب السابع: في الشري.

الباب الحادي والعشرون: في انعقاف الأظافر.

2 ـ أمراض العين: أفرد ابن طفيل لأمراض العين في المقالة الثانية ثمانية وعشرين باباً من الأرجوزة، وهي كما يلي:

الباب الثاني: في سواد الأجفان.

الباب التاسع عشر:في القروح في العين من الرمد وغيره.

الباب العشرون: في البياض في العين.

الباب الحادي والعشرون: في الجرب والقمل.

الباب الثاني والعشرون: في السقطة والضربة في العين.

الباب الثالث والعشرون: في الطرفة.

الباب الرابع والعشرون: في الظفرة.

الباب الخامس والعشرون: في الدمعة وأسبابها وعلاجها.

الباب السادس والعشرون: في الشبكرة وهو العشا.

الباب السابع والعشرون: في الظلمة وضعف البصر.

الباب الثامن والعشرون: في نزول الماء في العين.

الباب التاسع والعشرون: في الكمنة وأقسامها وعلاجها.

الباب الثلاثون: في الإنتشار وأقسامه وعلاجه.

الباب الحادي والثلاثون: في ضيق الحدقة وأقسامها وعلاجها.

الباب الثاني والثلاثون: في السدة في العين وأقسامها وعلاجها.

الباب الرابع والثلاثون: في السقطة في العين.

الباب الخامس والثلاثون: في الحول والإعوجاج.

الباب السادس والثلاثون: في الغرب وعلاجه.

الباب السابع والثلاثون: في الغدة في العين.

الباب الثامن والثلاثون: في البردة والتحجر.

الباب التاسع والثلاثون: في السلاق.

الباب الأربعون: في جساء الأجفان وعلاجها.

الباب الحادي والأربعون: في انتفاخ الأجفان.

الباب الثاني والأربعون: في جحوظ العين وعلاجه.

الباب الثالث والأربعون: في الشعيرة في الجفن.

الباب الرابع والأربعون: في القمل في الأجفان.

الباب الخامس والأربعون: في الشعر الزائد المنقلب.

الباب السادس والأربعون: في انتشار الأشعار.

3 ـ **أمراض الأذن والأنف والحنجرة: شملت أمراض الأذن ثمانية أبواب من المقالة الثانية:**

أولاً: أمراض الأذن من المقالة الثانية:

الباب السابع والأربعون: الأذن وما يعرض فيها.

الباب الثامن والأربعون: أورام الأذن وعلاجها.

الباب الحادي والخمسون: البثور وخروج الدم من الأذن.

الباب الثاني والخمسون: القيح والدهن في الأذن.

الباب الثالث والخمسون: في الدود في الأذن والهوام الداخل.

الباب الرابع والخمسون: ماينشب في الأذن.

الباب الخامس والخمسون: وجع الأذن وعلاجها.

الباب السادس والخمسون: الطنين في الأذن والدوي.

ثانياً : أمراض الأنف من المقالة الثانية:

الباب السابع والخمسون: الأنف ومايعرض فيها وعلاجها.

الباب الثامن والخمسون: الزكام وعلاجه.

الباب الحادي والستون: نتن الأنف.

الباب الثاني و الستون: مايسعط الأنف.

ثالثاً : أمراض الحنجرة من المقالة الثالثة:

الباب الأول: الذبحة وعلاجها.

الباب الثاني: فيبحوحة الصوت وأقسامها.

الباب الثالث: في خشونة الصوت.

4 ـ أمراض الجهاز التنفسي: تعرض بن طفيل لأمراض الجهاز التنفسي فذكرها في المقالة الثالثة:

الباب الرابع: في السعال وعلاجه.

الباب الخامس: في ذات الرئة والسل والذبول.

الباب السادس: في نفث الدم وعلاجه.

الباب الثامن: في اجتماع المرة في الصدر.

الباب التاسع: في الربو والتنفس والمنتصب.

الباب العاشر: في الشوصة.

5 ـ أمراض القلب والأوعية الدموية: أما ما له علاقة بالأوعية الدموية فقد ذكره في المقالة السابعة وهو:

الباب الثالث والعشرون: في داء الفيل فقط.

6 ـ أمراض الجهاز الهضمي: خصص لأمراض الفم واللسان والأسنان ثمانية أبواب من المقالة الثانية وهي كما يلي:

الباب الثالث والستون: في الشفتين وما يعرض لهما.

الباب الخامس والستون: في القلاع في الفم وعلاجه.

الباب السادس والستون: في نخر الفم

الباب الثامن والستون: في ورم اللسان.

الباب التاسع والستون: في ما يقطع اللعاب السائل.

الباب السبعون: في الأسنان وما يعرض فيها.

الباب الحادي والسبعون: في اللهاة ومايعرض فيها.

أما ما جاء ذكره في المقالة الثالثة فهي:

الباب السابع: في بلع العلق ونفث الدم.

الباب الخامس عشر: في المعدة ، وأولاً في سوء مزاجها وعلاجها.

الباب السادس عشر: في الغثي والقيء.

الباب السابع عشر: في سوء الهضم ( ) من الشهوة وعلاجها.

الباب الثامن عشر: في الجشأ وأسبابه وعلاجه.

الباب التاسع عشر: في اللبن والدم الجامد.

الباب العشرون: في وجع الفؤاد وعلاجه.

الباب الحادي والعشرون: في الفوارق.

الباب الثالث واالعشرون: في قبح الشهوة.

الباب الرابع والعشرون: في الشهوة الكلبية.

الباب الخامس والعشرون: في كثرة العطش.

الباب السادس والعشرون: في السمين والمهزول.

الباب السابع والعشرون: في الهيضة وعلاجها.

الباب الثامن والعشرون: في زلق المعدة.

الباب التاسع والعشرون: في زلق الأمعاء.

الباب الثلاثون: في الزجير.

وفي المقالة الرابعة ذكر ما يلي:

الباب الحادي عشر: في المغص وعلاجه.

الباب الثاني عشر: في القولنج المعروف ايلاس.

الباب الثالث عشر: في النفخ وعلاجه.

الباب الرابع عشر: في القولنج العارض في القالون.

الباب الخامس عشر: في الحيات والدود وحب القرع.

وفي المقالة السادسة ذكر ما يلي:

الباب الثلاثون: البراز.

7 ـ **أمراض الكبد والطحال: جاء ذكر ذلك في المقالة الرابعة:**

الباب الحادي: في ضعف الكبد.

الباب الثاني: في أورام الكبد.

الباب الثالث: في تحجر الكبد.

الباب الرابع: في مزاج الكبد.

الباب الخامس: في سد الكبد ووجعها.

الباب السادس: في استفراغ الدم من الكبد.

الباب السابع: في الإستسقاء.

الباب الثامن: في اليرقان وعلاجه.

الباب التاسع: في اليرقان الأسود.

الباب العاشر: في الطحال وعلاجه.

8 ـ **أمراض الكلية والمجاري البولية: شملت ستة أبواب من المقالة الخامسة:**

الباب الأول: في وجع الكلى.

الباب الثاني: في أورام الكليتين، في علاج قروح المثانة ومجاري البول.

الباب الثالث: تولد الحصى ولِمَ هو في الصبيان في المثانة ولِمَ هو في المشايخ؟.

الباب الرابع: في عسر البول.

الباب الخامس: في سكر البول.

الباب السادس: في حرقة البول من غير عسر.

الباب السابع: في بول الدم وأقسامه وعلاجه.

الباب الثامن: في كثرة القيام إلى البول ويعرف باسم ديابيطا.

وباباً واحداً من المقالة السادسة:

الباب التاسع والعشرون: في البول.

9 ـ أمراض المفاصل: في المقالة الخامسة:

الباب السابع والعشرون: في عرق النسا ووجع الورك.

الباب الثامن والعشرون: في علاج عرق النسا.

الباب التاسع والعشرون: في النقرس وعلاجه.

وفي المقالة الخامسة ذكر:

الباب التاسع عشر:في فساد الأطراف.

الباب الثاني والعشرون: في عقر الخف.

10 ـ الأمراض العصبية والنفسية: جاء ذكر أغلب ذلك في المقالة الأولى وهي كما يلي:

الباب الحادي عشر:في الصداع وأنواعه وأجزائه.

الباب الثاني عشر: في الشقيقة وأقسامها وعلاجها.

الباب الثالث عشر: في وجع الهمة وعلاجها.

الباب الرابع عشر: في البرسام الحار وأقسامه وعلاجه.

الباب الخامس عشر: في البرسام البارد وأقسامه وعلاجه.

الباب السادس عشر: في بطلان الذكر وفساده وأسبابه.

الباب السابع عشر:في السبات.

الباب الثامن عشر: في الأرق.

الباب التاسع عشر: في النوم الخارج عن الحد.

الباب العشرون: في السهر وعلاجه وأسبابه.

الباب الحادي والعشرون: في إفراط الخمار وأقسامه وعلاجه.

الباب الثاني والعشرون: في السهر والدوار وعلاجه.

الباب السادس والعشرون: في الكابوس وعلاجه.

الباب السابع والعشرون: في المالينخوليا.

الباب التاسع والعشرون: في السكتة وأقسامها.

الباب الثلاثون: في الفالج وأنواعه وعلاجه.

الباب الحادي والثلاثون. في اللقوة.

الباب الثاني والثلاثون: في التشنج والكزاز.

الباب الثالث والثلاثون: في الإرتعاش وأقسامه وعلاجه.

الباب الرابع والثلاثون: في الإختلاج.

الباب الخامس والثلاثون: في الخدر وأنواعه وعلاجه.

الباب السادس والثلاثون: في عظم الرأس وأقسامه وعلاجه. وجاء في المقالة الثانية:

الباب السابع والستون: في ثقل اللسان عن الحركة.

معظم صفحات هذه المواضيع إما رديئة التصوير لا تقرأ أو ممزقة لا يقرأ منها سوى شطر واحد من الأبيات.

11 ـ الأمراض المعدية: جاء في المقالة السادسة مايلي:

الباب الأول: في حمّى يوم وأنواعها.

الباب الثاني: في حمّى الدق.

الباب الثالث: في حمّى الغب.

الباب الرابع: في الحمّى المحرقة.

الباب الخامس: في الحمّى الدموية.

الباب السادس: في الحمّى البلغمية الغائبة كل يوم.

الباب السابع: الحمّى( ) فيها الربع.

الباب الثامن: في الحمّى الداية وعلاجها.

الباب التاسع: في الحمّى المختلطة.

الباب الثالث عشر: في حمّى الغشي.

الباب الرابع عشر: في الحمّى التابعة للأورام.

الباب السادس عشر: في حمّى الغشي من رداءة الاختلاط.

الباب السابع عشر: في الحمّى الوبائية.

الباب الثامن عشر: في الحمّيات المركبة.

الباب التاسع عشر: في الجدري والحصبة.

الباب العشرون: في علامات الجدري.

الباب الرابع والعشرون: في تعريف النضج.

الباب الخامس والعشرون: في البحران.

الباب السادس والعشرون: في معرفة الاستفراغ الذي يكون في البحران.

الباب السابع والعشرون: في العلاجات الدالة على ( ) الجودة في البحران ورداءتها.

الباب الثامن والعشرون: في أيام البحران.

الباب الحادي والثلاثون: في تدبير الأمراض الحادة.

الباب الثاني والثلاثون: في تدبير الناقة.

وفي المقالة السابعة ذكر:

الباب السابع والثلاثون: الجذام وأنواعه وعلاجه.

12 ـ السموم وعضة الهوام والحيوانات: ذكرت بالتفصيل في المقالة السابعة :

الباب السابع والعشرون:

- فيمن سقي قرون السنبل.
- فيمن سقي مرارة الأفعى.
- فيمن سقي طرف ذنب الأيل.
- فيمن سقي الذراريح والمنعروج.
- فيمن سقي الأفيون.
- فيمن سقي السوكران.
- فيمن سقي اليبروح.
- فيمن سقي شرب البنج.
- فيمن أكثر من شراب الكثبرة.
- فيمن أكل الفطرة والكمأة.
- فيمن سقي المرقطون.
- فيمن سقي اللبن الجامد والدم المنعقد.
- فيمن أكل الشواء المغموم.

- فيمن سقي الضفادع النهرية.

- فيمن سقي الأرنب البحري.

- فيمن سقي الجند بادستر.

- فيمن سقي التابسياسم.

- فيمن شرب البلازر الجبلي.

- فيمن شرب الدفلي.

- فيمن أخذ العنصر وبزر الأبخرة.

- فيمن شرب الجميز.

- فيمن سقي الزئبق.

- فيمن سقي النورة والزرنيخ وماء الصابون.

- فيمن سقي خبث الحديد وبرادته.

- فيمن شرب الزاج.

- فيمن شرب الخربق.

- فيمن شرب الخربق الأسود.

– فيمن شرب الغربيون.

الباب الثامن والعشرون: في مايطرد الهوام من البيوت.

الباب التاسع والعشرون: في نهش الأفاعي.

الباب الثلاثون: في عضة العقرب.

الباب الحادي والثلاثون: الرتيلا والعنكبوت.

الباب الثاني والثلاثون: في لدغ الزنابير والنحل والنمل.

الباب الثالث والثلاثون: في عضة الإنسان السباع.

الباب الخامس والثلاثون: في عضة الكلب.

13 ـ أمراض الجهاز التناسلي للذكر: ذكرت في المقالة الخامسة:

الباب العاشر: في أورام الأنثيين.

الباب الحادي عشر: في اجتماع الماء في الخصى.

الباب الثالث عشر: في ذهاب شهوة الجماع.

الباب الربع عشر: في افراط الاحتلام والجماع.

الباب الخامس عشر: الانتشار الدائم وعلل القضيب.

14 ـ الأمراض النسائية: جاء ذكر بعضها في المقالة الثالثة كما يلي:

الباب الثالث عشر: في الثديين وعلاجهما.

الباب الثالث والعشرون: في قبح الشهوة.

الباب الرابع والعشرون: في الشهوة الكلبية.

والبعض الآخر ذكرها في المقالة الخامسة وهي كما يلي:

الباب السادس عشر: في النزف وسيلان الدم من الرحم.

الباب السابع عشر: في اختناق الرحم.

الباب الثامن عشر: في ورم الرحم.

الباب التاسع عشر: في سرطان الرحم.

الباب العشرون: في العلة المعروفة بالرحا.

الباب الحادي والعشرون: في البواسير والثآليل في الأرحام وعلاجها.

الباب الثاني والعشرون: في بروز الرحم.

الباب الثالث والعشرون: في عدم الحبل.

الباب الرابع والعشرون: في كثرة الإسقاط.

الباب الخامس والعشرون: في عسر الولادة.

الباب السادس والعشرون: في احتباس الحيض.

15 ـ مواضيع جراحية: في المقالة السابعة ذكر:

الباب الثامن: في حرق النار.

الباب الثاني عشر: في الجراح مهما كان.

الباب الثالث عشر: في الخنازير.

الباب الرابع عشر: في السلع.

الباب الخامس عشر : في الدماميل.

الباب السادس عشر : في الثآليل.

الباب السابع عشر : في الأورام.

الباب الثامن عشر : في إخراج السهم وما ينشب في الأجسام.

الباب الرابع والعشرون: في الدوالي.

الباب السادس والثلاثون: في الضرب بالسياط:

الباب الثامن والثلاثون : في الفصد.

الباب التاسع والثلاثون : في الحجامة ومنافعها.

ونقدم جزء من شعر ابن طفيل في أرجوزته الطبية ونقدم أولاً بعض صور المخطوطة:



• بداية نسخة مكتبة جامعة القرويين — فاس، رقم ٢١٥٨.



الصفحة الأولى من المخطوطة.

شعره

في المقالة الأولى ، باب داء الثعلب، يقول في جملة مايقول: [المخطوط ص2]

إن لهــذا الــداء فــاعلم سـبباً ... يوجــب هــذا يغلــب
وربــما يكــون مــن صــفراء ... أحــرقت العضــو بــالامتلاء
أو تعتــبر الأربعــة الأخــلاط ... إذا انتهى مـن حدها الإفـراط
فــإن رأيــت العضــو فيــه حمــرة ... ظــاهرة أو كــان فيــه صــفرة
فاقصــد إلى الفصــد مــن القيفــال ... بغيــر تســويف ولا مطــال
إن ســاعد الســن مــع الزمــان ... وســاعدتك قــوة الإنــسان
وبعـــده الإســـهال بالأهليـــاج ... والســقموني مــع البنفســج
اســق بعــده الفتــى حــب المكيــة ... لأنــــها الشــفاء للبليــة

وكمثال آخر نذكر قوله في المقالة الثانية: [المخطوط ص145] الباب العاشر: في البثور العدسية الصغار في الوجه (حب الشباب).

أكثــر مــا تعــرض ذي البثــور ... لمــن غــدا بلاغــة يثــور
فكــان مــن الإنــاث أو الفحــول ... وأصــله أبــخرة الفضــول
يعــالج الوجــه لهــذا الســقم ... بكيّــة علــى فخّــار حــمّ
مــن عشــب الشــبت والأكليــل ... وعشــب البــابونج الجليــل
وبعــد ذلــك فــوق الــداء ... عصــارة مــن علقــم قثــاء
ويســحق الصــمغ مــع النطــرون ... بخــل خمــر طيــب ميمــون

وكمثال آخر نذكر قوله في المقالة الثانية: [المخطوط ص60]

الباب الحادي والثلاثون: في ضيق الحدقة وأسبابها وعلاجها:

الضيق من أمراض ثقب العين	**تكون من شيئين معلومين**
إما من الطبيعة المولدة	**وسوء حال له موجودة**
كأنه ينظر للبعيد	**نظر القريب بالتحديد**
لا سيما إن كان من نوعين	**قد خالطها بيضة العين**
إما لنقصان من الرطوبة	**وإما من زيادة بسيطة**
فما يكون منه عن نقصان	**ليس له برء مدى الزمان**
ومايكون منه من رطوبة	**فما له في برئه قريبة**

الباب السابع والثلاثون : في الغدة في العين وأقسامها وعلاجها: [المخطوط ص64]

وقد يزيد اللحم في المآق	**وتعرف الغدة باتفاق**
يكون فيه وجع وحمرة	**وتمتلي عروقها بحرة**
علاجها يكون بالإسهال	**والفصد بعد ذاك بالقيفال**
وبعلاج الظفرة القوية	**فامتثل العلاج بالسوية**

الباب الثامن والثلاثون: في البردة والتحجر: [المخطوط ص64]

ويعتبر تحجر الأجفان	**من كثرة السواد في الألبان**
وتعتبر بردة الجفون	**من خلط سوء باطن كمين**

العلاج:

علاجها بالترك للغذاء	**من كل ما يزيد في السوداء**
وباجتناب تخم الطعام	**والترك للأكل لدى المنام**

من بعض ما ذكره في الباب السابع والأربعين عن الأذن: [المخطوط ص75]

كثـيرة التـعرج والعطفـات	لكـي يقـي الـدماغ مـن آفـات
والعلـل الصعبـة فيهـا عـدة	وكلهـا معروفـة بالحـدة
كـالطرش المعـروف والطنـين	والوجـع المـوجب للأنـين
وثقـل السـمع ورض واقـع	فامتثـل العـلاج بالسويـة
والـدود والقيـح ومـايطير	داخلهـا ومثـل ذا كثيـر

وعمّا ينشب في الأذن يقول في الباب الرابع والخمسين:

وتـدخل النـوى والحبـوب	في الأذن والمـاء وذا ينـوب
علاجهـا التقطـير بالـذوب	والميـل بـالرفق عـلى الترتيـب
يلـف بالـدهن يسيـر قطـن	ليلصـق النـوى بـلا تعيـين
أو قطّـر الأذن بـدهن فـاتر	وعطـس العليـل بـالتواتر
بزيـت يـنفخ فـي الخيشـوم	فـيعطس العليـل كـالمزكوم

أما عن وجع الأذن وعلاجها فيقول في الباب الخامس والخمسين:

الوجـع العـارض فـي الأذنـين	يعـرض في الأكثـر مـن وجهـين
من خـارج الأبـدان أو مـن داخـل	كـذا يقـول جلـة الأفاضـل
فاقصـد مـا كـان مـن امـتلاء	بالفصـد والتقليـل للغـذاء
واتـرك اللحـم والشـراب	إذا رأيـت الـدم ذا غـلاب
وإن بـدت دلايـل الصـفراء	قصدتـه للإسـهال بالـدواء
وقطّـر الأذن بمـاء الرجلـة	واعمـل ضـاداً مـن جميـع البقلـة

جملة مايقول في ذلك: [المخطوط ص78]

قـد يـعرض العطـاس للإنسـان	مـن أوجـه مختلفـات الشـأن
فـربما كـان عـن الطبيـعة	لأنـها الحكيمـة الرفيعـة
إذا غـدت دافعـة للخلـط	فأخرجـت عنهـا الأذى بضـغط

أمّا عن نتن الأنف فيقول في الباب الحادي والستين: [المخطوط ص81]

النـتن قـد يعـرض للأنـوف	ممـا يكـن للـرأس في التجويـف
مـن البخـار الفاسـد المحلـول	يرسلـه بعـض الفضـول
فيـأتي للأنـف مـن الـدماغ	بشـدة يجـيء وباسـتبلاغ
أو مـن بلغـم معفـون	قـد صـار في بطـن مـن البطـون
والقـروح عفنـت في الأنـف	فانتنـت وعـرفت بـالعرف

وعما يسقط في الأنف في الباب الثاني والستين: [المخطوط ص82]

يـكون ومـا سـقط في الخيشـوم	حبـاً وغيـر ذلـك مـن جسـوم
مثـل حصى ـ ومـا جـرى مجراهـا	فيحـذر الضرـر مـن أذاهـا
فإمـا ان تكـون ذا قبـول	للـماء والترطيـب والتبليـل
كابـر واحمـص والجلبـان	أو عـدس ساير أو سـائر القطـان
وإمـا ان يكـون مـن أعشـاب	أو نحـو ذا مـن سـاير الأسـباب
فتخـرج الحصـى بـالآلات	إن هـي لم تخـرج بمعطسـات
وسـاير الحبـوب والجلبـان	تخـرج بالعطـاس والأدهـان

من بعض ما ذكره في المقالة الثالثة: في الباب الأول عن الذبحة: [المخطوط ص92]

خوانـق الحلـق تسـمى ذبحـــة	لأنـــــــه قتالــــة في لحظــــة
مــن يــوم أو بعــــد يــوم ثــان	فلــيس مــــن شــك لهــا شــان
حتــى يفــل منــــه الطعامــا	وتمنــــــع الـــنفس والكلامـــا
ويرجـع الصـوت إلـى الخيشـوم	وكلـــما يؤكـــل مـــــن طعـــوم
وأصـــلها مــــن فضــلة تصــير	للحلــق فالضـــيق بــــه يثـــور
ومـــــن دم تكـــون أو صـــفراء	أو بلغــم ولـــيس مـــن ســـوداء
لأنهــــا بطيئـــــــة الأورام	وبعــــــده سريعـــة الســـقام

أما عن بحة الصوت فيقول في الباب الثاني:

يعـــرض للصـــوت مـــن الرطوبـــة	بحوحــــة فــــي حالـــة صـــعوبة
مـــن بلغـــم أو مـــــن دم قـــد زادا	وفضـــــلاً في رأســــــه وانقـــــادا

وعن علاجه يقول:

فـــإن بــدت مـــــن الــدم الشـــواهد	بحمـــرة الوجـــه ولـــون زايــــــد
فقـــدم الفصــــد مـــــن القيفـــال	وأخـــرج الـــدم علــــى اعتـــدال
واســـقه طبــــيخ تمـــــر الهنـــد	مــــن بعــــد أن تطبخــــه بجهـــد

عن ذات الرئة(السل والذبول) يقول في الباب الخامس:

إن الــذبول علــة شــديدة ... طويلــة مهلكــة مبيــدة
حــدوثها يكــون مــن أجنــاس ... كثيرة قـد عمـدت فـي النـاس
مثــل الــذي فــي رئــة العليــل ... مــن فرقــة فــي سـقم طويـل
وذا هــو السـل علــى التحقيـق ... أســبابه واضحــة الطريــق
ثلاثــة أحـدهما مــن نزلــة قــد ... نزلــت مــن رأســه بفضــلة
مالحــة مــن بلغــم كــالملح ... أو مــرة مثــل لهيــب اللفــح
والثــاني أن ينشــق فيــها عــرق ... فيحـدث القرحــة ذاك الشــق
مـن أجـل مـا يحـدث مـن تعيـين ... فـي داخـل الصـدر عـلى تمكـين
وثالـث الأسـباب مــن رطوبــة ... تجــري إلــى ريتــه صــبيبة
ولا يكــاد مــن شـكل ذي العلــة ... يــبرأ إلا نــادراً فــي قلــة
وذاك أن البــرء لا يكــون ... فــي القـرح مـا دام بـه التعفـين

أما عن نفث الدم فيقول في الباب السادس:

يحـدث نفـث الــدم بالسـعال ... وهــو مخــوف سيّء الأحــوال
والنفــث مــن ثلاثــة أسـباب ... معروفــة محصــورة الأبــواب
إمــا كــان العــرق ذو انتفــاخ ... مــن كثــرة امتلائــه (.......)
أو لا تتصـدع جرحـه كـالقطع ... يخــرج الــدم لــذاك الصــدع
مــن بلغــم مملــح كــالملح ... أو لامــتلاء مفــرط ملــح
أو تضـعف القـوة عــن إمسـاك ... فيخــرج الــدم بــلا استمسـاك
وضــعف يكــون باســترخاء ... فيــخرج للعــروق باســيلاء

أما عن أمراض القلب فيقول في الباب الحادي عشر يقول: [المخطوط ص110]

يعــرض للقلــب مـــن الأســقام	ثلاثـــة معروفـــــة الأقســـام
فواحـــد أن يـــفسد المـــزاج	ومثــــل ذا ينفعــه العـــلاج
والمـــرض الثانـــي هـــو (...)	وهـــذا لا ينفـــع فيـــه شيء
وثالـــث وهـــو انحـــلال البـــرد	علاجـه صـعب وليـس يجـدي

وعن الخفقان يقول في الباب الذي يلي ذلك:

الخفقـــان يعتـــري القلـــب	فجـــأة يوقـــع كالجـــذب
يـــحدث بـــالمرضى وبالأصـــحا	وقـــد يكـــون مـــن دم ألحـــا
فـــإن غـــدا لمـــرة صـــفراء	أو مـــن دم زاد في الإمـــتلاء
وماكـان مـع العطـش والحـرارة	وذا دليـــل صـــادق الأمـــارة
وإن عـــراه مـــن دم الســـوداء	كـــان مـــع الفـــزع والغـــاء

ومن قوله عن التهاب الفم المسمى القلاع في الباب الرابع والستين من المقالة الثانية اخترنا هذه الأبيات: [المخطوط ص84]

وإنـــما يـــعرض للصـــبيان	أكثـــره مـــن رداءة الألبـــان
ومـــن بقايـــا فضـــلة الغـــذاء	وقـــد يكـــون مـــن دم ألحـــا
فعـــالج الأبـــيض مـــن قـــلاع	بـــالملح والشهـــد للإنتفـــاع
وادلـك بـه القـلاع دلكـاً جيـداً	حتـــى تـــراه أحمـــراً مـــوردا
ثـــم أعـــد وكـــرر العلاجـــا	بالشـــب والـــزاج علـــى انتـــزاع

وعن ورم اللسان يقول في الباب الثامن والستين: [المخطوط ص88]

قـــد يعـــتري الـــورم في اللســـان   مــــن لهـــب يشـــتد كـــالنيران
علاجـــه الفصـــد مـــن القيفـــال   وبـــعده ذاك الـــبعض بالإســـهال
إن ســـاعد الســـن مـــع الزمـــان   وقـــوة الجســـم مـــن الإنســـان

وعن الغثي والقيء في الباب السادس عشر من المقالة الثالثة: [المخطوط ص119]

الغثـــي والقـــيء معـــاني واحـــد   إن عرضـــا كـــان لشـــيء زايـــد
كميـــــة يغلـــب أو كيفيـــة   أو غلبـــان فيـــــه بالســـوية
وأمـــا مـــا يكـــون مـــن كميـــة   فســـوء مايأكمـــل مـــن أغذيـــة

وعن وجع الفؤاد اخترنا من قوله في الباب العشرين في المقالة الثالثة:

قـــد يعتـــدي المعـــدة مـــن مـــرار   وخـــز كمثـــل الخـــز بالشـــفار
وذا يســـمى وجـــع الفـــؤاد   مـــن مـــرة تنصـــب الفســـاد
فقـــيء مـــن يشـــكو بـــذا الـــداء   قيئـــاً رفيـــقا بـــالغ الإنقـــاء
وبعـــد ذا يســـقى بـــلا زمـــان   شراب تـــفاح ومـــن رمـــان

وعن الفوارق يقول في الباب الحادي والعشرين من المقال نفسه:

إن الفـــوارق أصلـــه أســـباب   وكلـــها تضـــمها الأبـــواب
فـــما يكـــون لامتـــلاء   بكثـــرة الأكـــل مـــن الغـــذاء
والامـــتلاء مـــن فضـــول المعـــدة   قـــد حصـــلت في جرمهـــا معسرـــة
وربـــما كـــان مـــن اســـتفراغ   أحدثـــه الـــدواء باســـتبلاغ

وعن القولونج المعروف بإيلاوس يقول في الباب الثاني عشر من المقالة الرابعة : [المخطوط ص157]

أوجاع إيلاوس في الأمعاء	من سدة فيه بلا امتلاء
بورم أو بلغم مجموع	قد سد الطريق بالترجيع
أو لارتباك الزبل واستحجاره	فيها فلا تقوى على امراره
وهذه الأمعاء حتى الدقاق	وكذا تسمى وهي استحقاق
وفيه الرجع في الأمعاء	والقيء بالأزمان في (....)
وربما تقيأ البرازا	فصار في القيء يرى ممتازا
وذا يسمى المستعاذ منه	وليس للشاكي خروج عنه

وعن أنواع الديدان نختار هذه الأبيات من الباب الخامس عشر من المقالة الرابعة:

أنواعها ثلاث طوال	وبعضها عريضة أشكال
تشبه حب القرع في الشكل	وغيرها دود كدود الخل
ومن دليل علة الحيات	مغص وتلذيع مع الساعات
وتجد التلذيع قبل الأكل	من وجع في البطن لا يخل
ويقذف العليل في الأوقات	فيخرج القيء مع الحيات
وربما يصيح في المنام	وقام مذعوراً إلى الحمّام

وفي المقالة الثانية : في صفرة الوجه عن أورام الكبد ، يقول في الباب الثاني [المخطوط ص142]

قد تحدث الأورام في الأكباد	من خارج وداخل الأجساد
بورم أو بلغم مجموع	قد سد الطريق بالترجيع
بضربة من خارج في الجسم	يعغن فيها دمها بالسقم
وربما يكون من كيموس	من داخل محتقن حبيس
مع ثقل يشعر به العليل	في جنبه الأيمن لايزول
ووجع بين التراقي حاد	يثيره النفس في ميعاد
وتبطل الشهوة للطعام	ويعرض القيء على الدوام
فإن غدا الورم في مرارة	وشدة بذلك الإمارة
غدت له الحمى على لزوم	وعطش يشتد كالجحيم

وعن اليرقان يقول في الباب التاسع:

اليرقان كثرة المرار	يظهر فوق الجسم ذا انتظار
وإنما يصير فيه غالب	من امتلاء الكيس فوق الواجب
وما كان عن التقصير	عن فعله الموضوع للتدبير

ثم يقول: [المخطوط ص151،152]

تضعف الكبد في قواها ... عن دفع ما فيها إلى مرادها
فيمكث المرار لا يزول ... عنها ولون دمه يحول
ثم يصير في جميع الجسم ... مقسما على اعتدال القسم
لكن له قبل مقدمات ... دليله عليه منذرات
كوجع في جنب اليمين ... وثقل يعتاد كل حين
والسبب الثاني من المرارة ... يكون بالدليل والإمارة
إما بأن يألم منها الجرح ... أو بعضه يكون فيه السقم
وقد يكون المرض فساد ... يلحق للمزاح ذا اعتباد
أو لانسداد المجريين فيها ... من ورم أو مغص يأتيها
أو يعتري الكبد امتلاء زائد ... حتى يفيض منه رشح صاعد
حتى يفيق في الدم المرار ... ويعتري في البدن اصفرار
وربما كان عن البحران ... من غير ما وصفت من ذا شان

وأمراض الطحال جاء ذكرها في الباب العاشر نذكر منها:

تعتـــرض العلـــل للطحـــال	مـن أجـل ضـعف منـه أو انحـلال
إمـا مـــن الريـــاح أو الـــبلاغم	وكلهـا معروفـــة التقاســم
فهـــو ذا مـــا بـــقيت قـــواه	علـــى اعتـدال لم يجـد شـكواه
والجســم في الصــحة والـــنماء	لأنـــه ينقـــي مــن الســـوداء
فـإن غـدت إحـدى القـوى ضعيفة	صـــار إلى حالتـــه اللطيفـــة
لعـل أن يحـدث ضـعف الجـذب	للمـرة السـوداء ذات الكـــرب
وربـــما تـــورم الطحـــال	مــن لهــب فيـــه لــه اشـتعال
ويهتـــدي فـــي ورم الطحـــال	بـالجس والغمـز علـى اعتـدال
لأن مافيـــه علـــى الصـــلابة	يلحقـه الحـس بـــلا اســترابة
وربـــما اســتدل فـــي مـــرار	مـــن وجـــع في شـقه اليســار
وذاك إن ألـــم الطحـــال	يـــحركه الغشـــاء بـــالقول
تـــراك ممـــا يفطـم منـه الـنخس	فيـــألم الجســـم بـــه والـــنفس
فاقصـــد إلى الطحـــال بـــالتفتيح	كالفصـد للكبـد فـي التـبريح
وربـــما زدت مــن العـــلاج	ممـا يصـلح الفسـاد فـي المـزاج
لأن مـــا يـــنفع الطحـــال	أقــوى لمـا فيـه مـن الأثقـال

عن قروح المثانة والمجاري البولية يقول في الباب الثاني من المقالة الخامسة: [المخطوط ص168]

القرح قد يكون في المجاري	يلذع لذعا مثل لذع النار
وقد يكون الرح في المثانة	يحسه العليل تحت العانة
والدم في سواد ذا يبول	وعسرة في البول ما يزول
فإن غدا في أحد المجاري	أحس في الوسط بالإصرار
وفي الذي يعرض في المثانة	هو الذي يحدث تحت العانة

وعن عسر البول يقول في الباب الرابع: [المخطوط ص172]

يكون عسر البول من أسباب	معلومة تذكر في ذا الباب
أولها السدة في القضيب	فيمنع البول من التسكيب
دليلها على علو المثانة	وثقل متصل بالعانة
مع وجع يجده العليل	وشدة يشعر بالإحليل
وتضعف القوة ذات الدفع	فيحدث العسر وسوء منع
وربما يكون ذا امتناع	من علق الدم بلا اندفاع

أما عن سلس البول فيقول في الباب الخامس: [المخطوط ص174]

قد يخرج البول بلا إرادة	مقطراً على خلاف العادة
حدوثه من مادة بالحر	أو مادة مؤلمة بالعسر
وذاك نوعان بغير حرقة	وآخر حرقته مشقة
فحرقة تحدث عند البول	واللذع في الإحليل أو من حول
وعطش يأخذه شديد	ولهيب مشتعل مديد

وعن بول الدم يقول في الباب السابع: [المخطوط ص176]

وربما بال الدم العليل ولم يكن من قبل ذا يبول
وذا يكون لانفتاح عرق من داخل جوفه أو شق
برهان ذا تقطيع ما يبول شيئاً فشيئاً وهو الدليل
ويجد العليل في كلاه وما حواليها أذى شكواه

ومن أقواله في فساد الأطراف في الباب التاسع عشر من المقالة السابعة نقتطف هذه الأبيات: [المخطوط ص260]

قد يبتلي الأطراف بالفساد من شدة البرد على التماد
فيكتفي أن تمسح الأطراف بالزيت كي ترفع ما يخاف
أو غيره من ممتحن الأدهان وليس في الأدهان كالقطران

وجاء في المقالة الثانية باب الصداع : [المخطوط ص8]

كل صداع عارض في الرأس من أحد الأخلاط ذات البأس
من أجل الأخلاط أو من رياح صعبة الإفراط
وقد يكون ذاك عن بحران من شدة الحمى على الإنسان
وقد يكون عارضاً من خارج يعرض من لهيب حر هايج
أو من أذى برودة الهواء أو ضربة الرأس بالسوداء
أو سقطة أو حمل شيء جاف جنى عليه (   ) بالإشراف
أو لاستحمام بالمسك والبخور أو من شراب زايد كثير

وعن البرسام البارد يقول في الباب الخامس عشر : [المخطوط ص15]

علامـــة الـــداء مـــن البرســـام	**تثـاؤب يأتـــي عـلى الـدوام**
وقلــــــة ( ) والجفـــــاف	**ويحـدث نبـض ( ) ضـاف**
وثـــقل الحـــواس والأعضـــاء	**( ) عينيـــه مـــن الهـــواء**
ويـــــكره العليـــل أن يســـايل	**وأن يـــجب ( ) الباطـــل**

ومن المقالة السابعة أقواله في باب الجدري والحصبة: [المخطوط ص229]

إذا بـــدت حمـــى علـــى الصـبيان	**وغـيرهم أيضـاً مـــن الشـبان**
مطبقـــة مـــع وجـــع في الظهـــر	**وثقـــل فـــي رأســـهم ( )**
وحكـــة فـــي أنفهـــم وحمـــرة	**فـــي عينـه كـأن فيهـا جمـرة**
ووجـــع الصـــدر وبعـــض الضـــيق	**يعـرض للـنفس فـــي الطريـق**

ثم يمضي في ذكر الأعراض إلى أن يذكر العلاج فيقول:

فالفصـــد إن كـــان مـــن الشـــبان	**والحجـــم إن كـــان مـــن الصـــبيان**
ثـــم اســـقه المـــاء مـــع الرمـــان	**مـــع الطباشـــير بـــلا تـــوان**
وليـــــكن الرمـــــان مـــزّاً طيبـــاً	**ليـــــسكن الحـــر الـــذي في لقبـــا**

ومن المقالة الخامسة ، الباب العاشر ، في أمراض الجهاز التناسلي للذكر قوله في أورام الأنثيين[المخطوط ص180]

يعـرض في جـرم الخصى ـ الأورام	**وكلهـــا يـــــلفها الإبهـــام**
فمنهـا مـا يكـون مـن حـرارة	**وحمـــرة اللـــون لهـــا أمـــارة**
وعظـــم المقـــدار منـــه ظـــاهر	**والحـر للمـس عليـــه قـــاصر**
ومـــايكون منـــها أيضـاً بـــارد	**مـن بلغـم تـرى عليـــه شـاهد**
مـــن لونــــه بشـــدة البيـــاض	**مـــع عـدم الوجـع بـاعتراض**
ومـــا يكـــون منـــه ســـوداوياً	**تـــــعرفه بلونـــه بـــديا**
مـع الـذي فيـه مـن الصلابـــة	**فهــــذه دلائـــل الإصـــابة**

وعن قبح الشهوة يقول في الباب الثالث والعشرين من المقالة الثالثة: [المخطوط ص127]

يعــرض للكثـير مــن النــاس	شــهوة أشـياء علـــى أجنــاس
قبيحــة كمثــل أكــل الطيـــن	وفحـــم الكـــور الأتـــــون
وكــل شيء مــن سـواها فــايض	وكــل حريـــف وكــل حــامض
ومثـــل ذا علـــى العمـــوم الكـــل	يعــرض للنســاء عنـــد الحمـــل
وقــد يسـعرض في ثالــث الشــهور	مــــن حملهـــن الظــاهر المشـــهور

ومن قوله في أورام الرحم (على الأغلب يقصد بها الالتهابات) نقتطف هذه الأبيات من الباب الثامن عشر من المقالة الخامسة: [المخطوط ص189]

قــد تـــعرض الأورام للأرحـــام	وســـقمها مــــن أعظـــم الآلام
مـــن ســقطة أو ضربـــة تـــنال	مـــن خـــارج تشــتد منهـــا الحـــال
ولاحتبــاس الحـــيض وامتـــلاء	أو شـــدة البـــــرد مـــن الهـــواء
وربـــما كـــان مــــن الإســـقاط	أو عقـــب النفـــاس مـــن افـــراط
و وربـــما كــــان مـــن الجـــماع	بـــــشدة المـــــراس والوجــــاع

أما عن سرطان الرحم فيقول في الباب الذي يلي ذلك: [المخطوط ص191]

السر ــطان يصــير فـــي الـــرحم	مقرحـــا ودون قـــرح اللحـــم
ولـــيس في الشـــكل عـــلى اســتواء	وكونـــه مـــــن مـــرة ســـواء
ويـــؤلم الحجـــاب والخـــواصر	والصــلب أيضــاً بــاطناً وظــاهر
ويوجـــد الوســـخ فـــي القـــروح	ملونـــاً مــــع شـــدة التـــبريح
وريحـــه منتنـــة كالجيـــــفة	تصحبـــــه صـــــلابة كثيفـــة

ويذكر أسباب عدم الحمل في الباب الثالث والعشرين فيقول: [المخطوط ص194]

أسـباب بعـد حَبـَلْ النسـاء	كثـيرة شتـى ( )
فـإن لسـوء مـزاج الـرحم	أمـراض الآلات تـحت الجـرم
أو لانصـباب الخلـط في التجويـف	مـن أي ضـعف كـان في الصـنوف
واليـبس أيضـاً يعمـر المنيـا	فـلا تـراه بشرـاً سويـاً

نذكر من قوله في باب الجراح: [المخطوط ص255]

الجـرح مـن سـيف ومـن سـكين	يكفيـه إن لم يـك بـالمكين
الرفـد والشـد بجانبيـه	( ) دونـها يـمس عليـه
....	....
ولـيكن الشـد لـه مـن ساعـة	فـهذه لدمـه قطاعـة
ويغسـل الجـرح بصـوف الضـأن	( ) مـا يـصلح للمكـان
فـإن غـدا للجـرح قـيح واسـع	وكـان للشـق فضـاء شاسـع
ضـممت بـالإبرة منـه بعضـاً	بـقدر مـا يحـدث فيـه قبضـا
واتـرك مكـان يـمكن الـدواء	فيـه الـدخول ولتعـد ( )
وإن غـدا للجـرح عمـق غائـر	ولـيس للـدم اتـساع ظـاهر
فأحـذر علـى الجـرح التحامـاً	والـزم الفـتح لهـا لـزاماً

ومن جميل شعره:

وهو القائل من قصيدة في فتح قَفْصة سنة (ست وتسعين) [204] وأُنْفِذت إلى البلاد[205].

ولما انقضى- الفتح الذي كان يرُتجى	وأصبح حزب الله أغلب غالب
وأنجزنا وعدُ من الله صادق	كفيل بإبطال الظنون الكواذب
وساعدنا التوفيق حتى بيَّنت	مقاصدنا مشروحة بالعواقب
وأذعن من عَليا هلالُ بن عامر	أبى ولبّى الأمر كلُّ مجانب
وهبَّوا إذا هبَّ النسيم كما سرى	ولم يتركوا بالشَّرق عَلْقة آيب
يغُصُّ بهم عُرْض الفَلا وهو واسع	وقد زاحموا الآفاق من كل جانب
كأنّ بسيط الأرض حَلْقَة خاتم	بهم وخِضَمّذُ البحر بعض المذانب
ومَدَّ على حكم الصغار لسلمنا	يديه عظيمُ الروم في حال راغب
يُصرح بالرويا وبين ضلوعه	نفْسُ مذعورة ونُفْرة راهب
وعِى من لسان الحال أفصحُ خُطْبة	ماوضحت عنه فِصاح القَواضب
وأبْصَر- مَتْن الأرض كفة حامل	عليه وإصراه في كفَّ حالب
أشرنا بأعناق الجياد إليكم	وعُجْباً عليكم من صدور الرّكايب
إلى بُقْعة قد بيّن الله فضلها	ممن حلّ من ولَّى وصاحب
على الصَّفوة الأدْنَين منّا تحيةٌ	توافيهم بين الصّبا والجنايب

(204) هكذا وردت في الإسكوريال و« الزيتونة». وهو تحريف، وصحته (ست وسبعين) أعني عام 576هـ وهو العام الذي افتتح فيه الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف مدينة قفصة، التي خرجت على طاعته، وكان في ركابه طبيبه الخاص أبو بكر بن طفيل المترجم له. وقد أنفذت قصيدة ابن طفيل مع رسالة الفتح التي بعثت إلى البلاد.

(205) الإحاطة في أحوال غرناطة.

وله أيضا:

أَلَّمت وقد نام الرقيب وهوّما … وأسْرَت الوادي العقيق من الحما

وراح إلى نجدٍ فرُحتُ مُنْجِدا … ومَّرت بنُعمان فأضحى مُنَعَّما

وجرّت على تُرْب المُخْصِب ذيلها … فما ذال ذاك التُّرب نهباً مقسما

تناقله أيدي التجار لطيمة … ويحمله الدارين أيّان يمما

ولما رأتْ أن لاظلام يجنها … وأن سُراها فيه لن يتكتّما

سرت عذبات الربط عن حرَّ … وجهها شُعاعا يرفع اليوم مظلما

فكانّ تجلِّيها حجاب جمالها كشمس … الضحى يغْشى بها الطرف كلّما

ولما رأت زُهُر الكواكب أنها … ي النِّير الأسمى وإن كان باسما

بكت أسفاً إن لم تفُزْ بجوارها … وأسعدها صوبُ الغمام فأسْجما

فجّلت يَمُجُّ القَطْرُ ريّان بُرْدها … فتُنْفِضه كالدُّر فذاً وتوأما

يضم علينا الماء فضل زكاتها … كملٍّ بل سقط الظلُّ نوراً مُكمّما

ويفْتقُ نَضْح الغيث طيب عرْفها … نسيم الصَّبا بين العَرار مُنسَّما

جلّت عن ثناياها وأومض برقُها … فلم أدر من شقّ الدَّجْنة منهما

وساعدني جفنُ الغمام على البكا … فلم أدر وجْداً أيّنا كان أسْجما

ونظم سِمطي ثغرها ووشاحها … فأبصرتُ دُرَّ الثغر أحْلى وأنظما

تقول وقد ألْمَتْ أطراف كمَّها … يدي وقد أنْعلتْ أخْمصُها الفما

نشدتك لايذهب بك الشوق مذْهباً … يُسَهّل صعباً أو يُرخِّص مَأثما

فأقْصرْت لا مُستغنيا عن نوالها … ولكن رأيتُ الصَّبر أوفى وأكرما



36 ـ الإدريسي



الاسم : محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس.

تاريخ الميلاد : 493هـ ـ 1100م.

مكان الميلاد : مدينة سبتة ـ المغرب.

تاريخ الوفاة : 561هـ ـ 1165م.

مكان الوفاة : غير محدد (سبتة أم صقلية).

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : مغربى.

المهنة : عالم ـ فلك ـ طب ـ صيدلة ـ عالم نبات .

موجز السيرة

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، الإدريسيّ، الحسني، الطالبي، المكنّى أبا عبد الله (الشريف الإدريسي) ، ينسب إلى أدارسة المغرب الأقصى، ولد في سبتة سنة(493هـ ـ 1100م) ونشأ وتعلم في قرطبة. وسبتة المغربية، مدينة جميلة شمال المغرب الأقصى على مضيق جبل طارق (ومازالت تحت الاستعمار الأسباني إلى اليوم). ونسبة الشريف الإدريسي تعود إلى جده إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب.

أما القرطبي فلأنه قضى معظم حياته الدراسية في قرطبة ، ويسمى أحيانا بالصقلي لأنه أمضى فترة من الزمن في صقلية .كان في عصره مؤرخًا ومن أكبر علماء الجغرافية والرحالة ، كتب في التاريخ والأدب والشعر و النبات. درس الإدريسي الفلسفة والطب والنجوم، والجغرافيا، والشعر في قرطبة.

ارتحل في الأندلس، والمغرب، والبرتغال، ومصر. ومن غير المؤكد أنه وصل الى سواحل فرنسا وإنكلترا. سافر إلى القسطنطينية وسواحل آسيا الصغرى. عاش فترة في صقلية، تركها في أواخر أيامه، ليعود إلى بلدته سبته حيث توفي عام 1165م. كما ترك كتاباً في علم الجغرافية يحوي معلومات عن رحلاته، ورسائل من علماء آخرين إليه يطلبون منه معلومات جديدة في علم الجغرافية.

وقد قال عنه الصفدي: كان أديبًا ظريفًا شاعرًا، مغرى بعلم الجغرافيا. نشأ الإدريسي ـ وتثقف في قرطبة، ومن هنا جاء نعته بـ (القرطبي)، فأتقن فيها دراسة الهيئة، والفلسفة، والطب، والنجوم، والجغرافيا، والشعر، وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وبعد أن وصل الرحالة العربي الكبير الشريف الإدريسي إلى جزيرة صقلّية بدعوة من حاكم الجزيرة، نزل على صاحبها روجه الثاني أو بالعربية (روجر النورماندي) بطلب منه واستقر في منطقة (باليرمو) ألف الإدريسي كتابه المشهور (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) والمسمى أيضاً (كتاب رجار[*]) [206] أو (الكتاب الرجاري) وذلك لأن الملك رجار ملك صقلية هو الذي طلب منه تأليفه، أكمله سنة 548هـ، وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوروبة وإيطالية، وكل من كتب عن الغرْب أخذ منه ، فقد غدا من أشهر الآثار الجغرافية العربية. ترجم بعض أقسامه إلى مختلف اللغات، وقد ترجم إلى الفرنسية ترجمة كثيرة الخطأ ـ كما يقول(سيبولد) في دائرة المعارف الإسلامية ـ وترجم إلى اللاتينية والإنجليزية والألمانية .

وكان حاكم صقلية مغرماً بالجغرافيا، مولعاً بمعرفة أحوال العالم المعمور آنذاك، فطلب من الرحالة العربي الكبير أن يصنع له خريطة للعالم، وكانت أول خريطة معروفة آنذاك وتعود إلى عهود قياصرة الروم وضعت عام 365م وعرفت باسم (خريطة بوتنجر) وكانت لاتتعدى الطرق والأراضي التي بالبحر الأبيض المتوسط حتى إن أغلب المدن التي كانت مؤشرة على تلك الخريطة قد تغيّرت أسماؤها أو زالت من الوجود

(206) كشف الظنون لحاجي خليفة. =

= – المجددون في الإسلام .

– الأعلام للزركلي.

– هدية العارفين.

– معجم المؤلفين لكحالة

* رجّار: ملك صقلية النورماندي ، عاش الإدريسي في بلاطه وكتب له نزهة المشتاق .

.وهناك خريطة أخرى أكثر شهرة من الأولى هي خريطة (بطليموس) لكنها محدودة الفائدة أيضاً ولا تتجاوز حدود العالم المعروف في ذلك الوقت، وقيل إنها منسوبة إلى بطليموس لتكتسب قيمة تأريخية وعلمية، وقد رسم الإدريسي خريطته على تصوّر جديد لم يكن مألوفاً من قبل فقد كان تصوّر القدماء عن الأرض أنها مسطحة تعوم على سطح الماء، ولكن الإدريسي ـ صحح هذه الفكرة وقال: إنها كرة بيضاوية الشكل محاطة بالماء من كل جانب، وقسمها إلى قسمين يفصل بينهما خط الاستواء .وقد رسم الإدريسي خريطته بشكل مثير للدهشة، معيّناً عليها البحار والجبال والمدن والأنهار، ولكنه لم يضع في خريطته قارتي أمريكا واستراليا لأنهما لم تكونا قد اكتشفتا بعد.

يقال : أنه وبعد أن أكمل الإدريسي خريطته بالشكل النهائي طلب منه الحاكم (روجر) * أن يصنع واحدة أخرى من الفضة لكي تبقى على مرّ الزمن، فجاءت هذه الخريطة على شكل مائدة مستطيلة كانت أول خريطة مجسَّمة في التأريخ على شكل مستطيل من الفضة تبلغ أبعاده 14 × 10 أقدام، ووزنه أربعمائة رطل رومي، وهي تكاد تكون أكبر الخرئط في العالم. وقد ذكر الإدريسي أنها تضمنت صور الأقاليم ببلادها وأمطارها ومواضع أنهارها وعامرها وغامرها والطرقات والأميال والمسافات والشواه.

وفي رواية أخرى قيل: أن الإدريسي كان من العلماء المعدودين في صنع دائرة الأرض من الفضة ، فقد طلب الحاكم منه صنع كرة من الفضة منقوش عليها صورة الأقاليم السبعة، ويقال أيضاً أن الدائرة الفضية تحطمت في ثورة كانت في صقلية، بعد الانتهاء منها بمدة قصيرة. والمثير للدهشة والاستغراب أن تبقى خريطة الحائط السريعة التلف، وتضيع خريطة المعدن التي أراد لها صاحبها أن تخلّد اسمه على مدى العصور، فقد كانت قيمتها المادية سبباً في تلفها وضياعها ، فبعد وفاة الحاكم بست سنوات هاجم الثوار القصر الملكي وهشموا المائدة الفضية قطعة قطعة، اقتسمها المهاجمون فيما بينهم، ثم ضاعت خريطة الحائط التي عملها الإدريسي ـ ولم يبق غير خريطة كتابه الشهير (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)

دليلاً على عمله الجبار في كلا الخريطتين الشهيرتين.. خريطة الحائط والخريطة المجسّمة، حيث أمضى أكثر من خمسة عشر عاماً من البحث والتقصي الدقيق لإنجازهما.في السنة التي وضع فيها الإدريسي كتابه المعروف، توفي الملك رجار فخلفه غليام أو (غليوم الأول)، وظل الإدريسي على مركزه في البلاط، فألف للملك كتاباً آخر في الجغرافيا سمّاه (روض الأنس ونزهة النفس) أو (كتاب الممالك والمسالك)، لم يعرف منه إلا مختصر مخطوط موجود في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا باسطنبول. وذكر للإدريسي كذلك كتاب في المفردات سماه (الجامع لصفات أشتات النبات)، كما ذكر له كتاب آخر بعنوان (انس المهج وروض الفرج).

امتاز الإدريسي بدقته في حساب الأطوال والعروض للبلاد المختلفة بعد تقسيمه الأرض إلى سبعة أقاليم، ثم تقسيمه هذه الأقاليم إلى عشرة أقسام متساوية من الغرب إلى الشرق، فصار مجموعها سبعين قسماً، ووضع لكل قسم خريطة خاصة زيادة على الخريطة الجامعة.

في الواقع كانت المعلومات البلدانية في كتابه مهمة من الناحية التاريخية، فقد وضع جغرافية العالم الإسلامي بتعبيرنا اليوم مندمجة بجغرافيا العالم، وهكذا فهي أرض الإسلام تمتد من بغداد إلى غرناطة، وهي تمتد لتعبر إلى أوروبا؛ وهنا دلالة السياق دلالة مهمة. فالسياق السياسي والاجتماعي والثقافي الذي كان يحكم الإدريسي مختلف كليا عن أي جغرافي آخر... لقد تصور العالم أو الأرض بوصفها جغرافيا مقسمة حسب الأطوال والمساحات، ومن فوقها تتراكم الجغرافيا السياسية .كما أن الإدريسي كان رحالة حقيقيا، تجول في حواضر شمال أفريقيا، وعرف مدنها وقراها وقد زار بعض المدن الواقعة على الشاطئ الفرنسي، ورحل إلى المشرق، فزار مصر والشام وسائر بلاد آسيا الصغرى، غير أنه لم يزر بغداد، إنما اعتمد على الأسئلة التي كان يوجهها إلى التجار القادمين من العراق، وقد اعتمد أوصاف الإصطخري وابن حوقل، أي أن معلوماته عن بغداد كانت معروفة في كتب الرحالة المشارقة، ولم يضف الإدريسي أي شيء لمعارفنا عن بغداد في ذلك الوقت. فالمعلومة المفتتح التي أوردها في كتابه عن بغداد

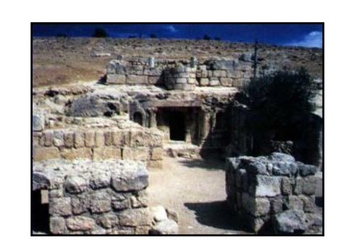
كانت مأخوذة من الإصطخري، والمعلومة المركزية التي أوردها كانت عن نهر عيسى: «الجانب الغربي يجري إليه نهر عيسى من الفرات، وعلى فوهته قنطرة دمما، ويتشعب منه نهر صغير اسمه الصراة، فيصب ماءه في الجانب الغربي فيسقي بساتينهم وضياعهم ويدخل المدينة فينتفع به ويشرب منه. ونهر عيسى تجري فيه السفن من الفرات إلى بغداد، وليس به سد ولا حاجز. وأما نهر الصراة فلا تقدر السفن على ركوبه لكثرة أسداد الأرجاء المتخذة عليه. وعلى نهر عيسى مدينة بادوريا ولها ديوان مفرد من أجل الدواوين، وتنفجر فيها أنهار كثيرة تشق أسواقها ومحلاتها وعليها المباني والدور والبساتين والضياع».

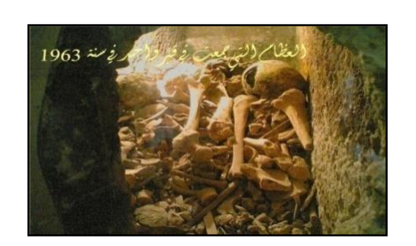
في الواقع لم يكن الإدريسي من رحالة بغداد، فهو لم يزرها ولم يرها، إنما أخذ المعلومات الجغرافية والمكانية من رحالة آخرين، وتصور من خلالها مدينة ومن ثم صورها، لقد شكل من المعلومات الجغرافية سردا متتابعا وصف به مدينة وصنع لها شكلا ووجودا.

لقد عرّف العالم أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالإدريسي بجزيرة صقلية وجغرافيتها بصورة مفصلة، ومن حديث الإدريسي نقتطف بعضاً من حديثه عن 'رغوص' إحدى مناطق صقلية القديمة: 'هي قلعة قديمة منيعة وبلدة شريفة قديمة العمران، أزلية المكان، محدقة بها الأودية والأنهار، كثيرة المطاحن، حسنة الأبنية، واسعة الأفنية، ولها بادية خصيبة، ومزارع زكية رحيبة، وبينها وبين البحر سبعة أميال.

زار الشريف الإدريسي بيت المقدس أثناء ترحاله، وروى من خبرها الشيء الكثير، فقال عنها: إنها مدينة جليلة القدر، وكانت تسمى إيلياء، وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب.. ووصفها بأنها طويلة من المغرب إلى المشرق، وذكر أبوابها: باب المحراب الذي عليه قبة داود ـ عليه السلام ـ في طرفها الغربي، وباب الرحمة في طرفها الشرقي، وباب صهيون من جهة الجنوب، وباب عمود الغراب من جهة الشمال. ووصف كنيسةَ القيامة التي يحج إليها النصارى، وأُعجب ببنائها وعَدّه من عجائب الدنيا، وأشار إلى أن المتجه شرقًا بعد الخروج من تلك الكنيسة يجد أمامه مسجد بيت المقدس، ووصفه، فقال: .. إن نصفه مما يلي المحراب مسقوف بقباب صخر على عمد كثيرة، والنصف الآخر صحن لا سقف له، وفي وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة.

كما زار أهل الكهف فى قرية الرجيب بالأردن ويغلب مكتشفو الكهف أنه لأهل الكهف، حيث تتفق أوصافه والأوصاف القرآنية ويبدوا أن كلمة الرجيب تحريف للفظة القرآنية (الرقيم) .









صور للكهف ومدخله وعظام أهل الكهف كما صورت عام 1963م.

كما تتضح صورة المسجد على الكهف

وقد كان للإدريسي كغيره من كبار العلماء والرحالة والباحثين مكانا مرموقا في ذاكرة الحضارة الإنسانية ، فله الفضل الكبير في قيادة ركب الحضارة في تلك الحقبة من الزمن. هؤلاء من الإدريسي وأمثاله كانوا ا فعلاً أناس عاديون مثلهم مثل كل البشر سوى أنهم .... يفكرون بغير الطريقة التي يفكر بها سواهم ويعملون بكل عزيمة و إصرار تطبيقاً لما نهلوا من بحور العلم والمعرفة فكانت أقدارهم تستجيب لإصرارهم وطموحهم ، وبذلك تميزوا عن غيرهم . واليوم يمكن أن نجد بعض من هذه النماذج العربية ولكن للأسف غير شائعة والسبب يعود إلى انحسار الاهتمام العلمي والتوجيهي ، فما تفاخرت أمة إلا بعلمها وتنظيمها ، وما ارتقت حضارة إلا بأخلاقها وثقافتها ، ولن نبلغ المجد مرة أخرى نحن العرب إلا كما بلغناه من قبل بسلاح العلم والمعرفة وبالأخلاق الحميدة التي تحلّينا بها.

أسماء النباتات التي أغفلها ديسقوريدس كما أوردها الإدريسي بالعربية واللاتينية

النبات المصطلح اللاتيني

- أسفاناخ Spinacia oleracea .
- أملج Phyllanthus emblica .
- أميرباريس Berberis vulgaris .
- الإهليلج الأصفر Terminalia Sp. .
- الأهليلج الكابلي Terminalia chebula .
- الإهليلج الهندي Terminalia horrida .
- بستان أفروز Amaranthus tricolor .
- بقم Caesalpinia echinata .
- بلاذر Anacardium occidentale .
- بليلج Terminalia bellerica .
- بهمن أبيض Centaurea behen .
- تمر هندي Tamarindus india.
- تنبل Piper betle .
- جلبيان Lathyrus sativum .
- جوز بوا Myristica fragrans .
- جوز جندم Garcinia mangostina .

- حب الزلم Cyperus esculentus .

- خولنجان Alpinia galanga galingale major .

- خيار Cucumus sativus .

- خيار شنبر Cassia fistula .

- خيزران Bambusa arundinacea .

- درونج Ddotonicum scorpioodes .

- ريباس Rheum ribes .

- زرنباد Zingiber zerumbet .

- ساج Tectonia grandis .

- شيان Dracaena draco .

- صندل Santalum pterocarpus .

- طباشير (سنسكريتية) Tabakshira .

- طرخون Artemisia dracunculus .

- فوفل Areca cutechu .

- قافلة كبار Amomum melegueta .

- قرنفل Eugeia caryophyllata .

- قليقلي Alsine picta .

- قنبيل Mallotus philippensis .

- كافور Camphora officinarum Cinnamum camphora .

- كبابة Piper cubeba .

- كراث Thymelaea tartonraira .

- كركم Curcuma longa .

- كنكر Cynara scolymus .

- ليمو Cirtus limonum risso vatr. Pusilla .

- ماش Phaseolus munga .

- ماهيز هره Anamirta paniculata .

- محلب Prunus mahaleb .

- موز Musa paradisiaca .

- نارجيل Cocos nucifeta .

- نارنج Citrus aurantium .

- هرلوه Aloexylon agallochum .

- ياسمين Jasminum .

*** مؤلفاته:**

- وضعه لخريطة الأرض توضّح المناطق المناخية في العالم .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
- روض الأنس ونزهة النفس.
- كتاب الممالك والمسالك.
- الجامع لصفات أشتات النبات.
- أنس المهج وروض الفرج.

شعره

ومن شعره :

دعني أجل ما بدت لي	سفينة أو مطية
لا بد يقطع سيري	أمنية أو منية

ومنه :

ليت شعري أين قبري	ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشتاق في بر وبحر	
وخبرت الناس والأرض لدى خير وشر	
لم أجد جارا ولا دارا كما في طي صدري	
فكأني لم أسر إلا بميت أو بقفر	

ومنه :

إن عيبا على المشارق إن أرجع	عنها إلى ذيول المغارب
وعجيب يضيع فيها غريب	بعد ما جاء فكره بالغرائب
ويقاسي الظما خلال أناس	قسموا بينهم هدايا السحاب

ومنه :

وليل كصدر أخي غمة	قطعناه حتى بلغنا النجاح
وبدر السماء بدا في النجوم	كما لاح في الناس بدرالسماح



37 ـ ابن بطلان

الاسم : المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان.

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : بغداد.

تاريخ الوفاة : 455 هـ.

مكان الوفاة : أنطاكية

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : عراقي.

المهنة : طبيب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

هو أبو أنيس المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان[207] ، طبيب مشهور من أهل بغداد. درس على أبي الفرج بن الطيب وتتلمذ له، ولازم أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب، وكان بينهما مجادلات ومناقضات قبل أن يتعارفا.خرج ابن بطلان من الموصل وديار بكر.ودخل حلب وأقام بها مدة، فأكرمه صاحبها معزّ الدولة ثمال بن صالح إكراماً صحيحاً، وألف كتبه في علم النبات ونبغ في علاج الأمراض .ثم سافر من حلب في البلاد الشامية وبعدها إلى مصر وغايته الاجتماع بخصمه ابن رضوان، وكان دخوله الفسطاط في أول جمادى الآخرة سنة 441 هـ. جرت له في أثناءها مع ابن رضوان وقائع كثيرة ولّدت رسائل جدلية، فترك ابن بطلان مصر مغضباً. وسار إلى القسطنطينية، وكان الطاعون متفشياً فيها سنة 446 هـ، فأقام بها سنة.ثم عاد إلى الشام واستقر في أنطاكية،وقد سئم الأسفار، فتنسك وانقطع إلى العبادة حتى وفاته سنة 455 هـ ترك ابن بطلان عدداً كبيراً من المصنفات الطبية أهمها: تقويم الصحّة الذي ترجم وطبع، مقالة دعوة الأطباء، مقالة في شرب الدواء المسهل، مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته، كتاب المدخل إلى الطب، كتاب عمدة الطبيب في معرفة النبات، ولابن بطلان مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد، كالفالج واللقوة والاسترخاء. وكان ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً وأميز في الأدب وما يتعلق به، ومما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي سمّاها دعوة الأطباء وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها،وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة، وله مقالة في ذلك يرد فيها على غيره بقبح الخلقة، وقد بين فيها، بزعمه، أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً.

(207) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

شعره

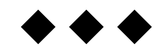
وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه، ولذلك يقول فيه في الرسالة التي سمّاها دعوة الأطباء

فلـما تبـدى للقوابـل وجهـه نكصـن عـلى أعقـابهن مـن النـدم

وقلـن وأخفـين الكـلام تستـراً ألا ليتنـا كنـا تركنـاه في الـرحم

وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة، ولا خلف ولداً، ولذلك يقول من أبيات :

ولا أحـد أن مـت يبكـي لـميتتـي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا



38 ـ الموفق بن شوعة

الاسم : الموفق بن شوعة

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : القاهرة.

تاريخ الوفاة :579 هـ.

مكان الوفاة : القاهرة ـ مصر

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : مصري .

المهنة : طبيب ـ صيدلاني

موجز السيرة

الموفق بن شوعة[208] كان من أعيان العلماء وأفاضل الأطباء إسرائيلي مشهور بإتقان الصناعة وجودة المعرفة في علم الطب والكحل والجراح كان دمثا خفيف الروح كثير المجون وكان يشعر ويلعب بالقيثارة خدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر وعلت منزلته عنده وكان بدمشق فقيه صوفي صحب محمد بن يحيى وسكن خانقاه السميساطي كان يعرف بالخوبشاني ويلقب بالنجم وله معرفة بنجم الدين أيوب وبأخيه أسد الدين وكان الخوبشاني ثقيل الروح قشفاً في العيش ، ولما صعد أسد الدين مصر تبعه ونزل بمسجد عند دار الوزارة يعرف اليوم بمسجد الخوبشاني وكان يثلب أهل القصر ويجعل تسبيحه سبهم وكان سلطاً ومتى رأى ذمياً راكباً قصد قتله فكانوا يتحامونه ولما كان في بعض الأيام رأى ابن شوعة وهو راكب فرماه بحجر أصاب عينه فقلعها وتوفي ابن شوعة بالقاهرة في سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

(208) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

شعره

ومن شعر الموفق بن شوعة قال في النجم الخوبشاني لما قلع عينه:

لا تعجبوا من شعاع الشمس إذ حسرت منه العيون وهذا الشأن مشهور
بل اعجبوا كيف أعمى مقلتي نظري للنجم وهو ضئيل الشخص مستور

وقال يهجو ابن جميع اليهودي:

يا أيها المدعي طباً وهندسة أوضحت يا ابن جميع واضح الزور
إن كنت بالطب ذا علم فلم عجزت قواك عن طب داء فيك مستور
تحتاج فيه طبيباً ذا معالجة بمبضع طوله شبران مطرور عن ذا
هذا ولا تشتفي منه فقل وأجب السؤال بتمييز وتفكير
ما هندسي له شكل تهيم به وليس ترغب فيه غير منشور
مجسم أسطواني على أكر تألفت بين مخروط وتدوير
مجسم إلا نصف زاوية فهو كمثل الحبل في البير

وقال أيضاً:

وروضة جادها صوب الربيع فقد جادت علينا بوشي لم تحكه يد
كأن أصغره الزاهي وأبيضها تبر وورق بكف الريح تنتقد
وباح نشر خزاماها بما كتمت وناح قمريها شجواً بما يجد

39 ـ ابن المعرف

الاسم : بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف .

تاريخ الميلاد : غير محدد.

مكان الميلاد : مصر.

تاريخ الوفاة : غير محدد.

مكان الوفاة : مصر.

سبب الوفاة : غير محدد.

الجنسية : مصرى.

المهنة : عالم كيمياء ـ طبيب ـ أديب.

موجز السيرة

بلمظفر بن معرف(□□□): هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف كان ذكياً فطناً كثير الإجتهاد والعناية والحصر في العلوم الحكمية وله نظر أيضاً في صناعة الطب والأدب ويشعر وكان قد اشتغل على ابن العين زربي ولازمه مدة وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكمية وغيرها ورأيت خطه في آخر تفسير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس وهو يقول إنه قرأه عليه وأتقن قراءته وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سة أربع وثلاثين وخمسمائة وكان بلمظفر حسن الخط جيد العبارة وكان مغرى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئاً كثيراً جداً وكذلك أيضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكمية وكانت له همة وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي عنه أنه كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه وأن بلمظفر لم يزل في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ.

ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكمية كانت لأبي المظفر وعليها اسمه وما منها شيء إلا وعليه تعاليق مستحسنة وفوائد متفرقة من يجانس ذلك الكتاب.

(209) عيون الأنباء فى طبقات الأطباءج2 ص 108 .

- الوافى بالوفيات ج27 ص 55 .

شعره

ومن شعر بلمظفر بن معرف:

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان   فيا ليت شعري ما هي الطبيعة
أقادرة طبعت نفسها   على ذاك أم ليس بالمستطيعة

وقال أيضاً :

وقالوا الطبيعة معلومنا   ونحن نبين ما حدها
ولم يعرفوا الآن ما قبلها   فكيف يرومون ما بعدها



40 ــ أبو القاسم القطان

الاسم : هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد

تاريخ الميلاد : 478 هـ.

مكان الميلاد : بغداد.

تاريخ الوفاة : 558هـ.

مكان الوفاة : بغداد

سبب الوفاة : غير محدد

الجنسية : عراقي .

المهنة : طبيب ـ صيدلاني.

موجز السيرة

أبو القاسم القطان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم أبو القاسم المتوثي القطان الشاعر من أولاد المحدثين بغدادي المولد والمنشأ ، كان الغالب على شعره الهجاء، وهجا الأكابر والأعيان ، سمع الحديث في صباه من والده ومن أبي طاهر أحمد بن الحسن الكرخي وأبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون والحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي والحسين بن أحمد بن عبد الرحمن بن أيوب العكبري وغيرهم، وعمر وسمع من الحفاظ والأئمة،روى عنه ابن الأخضر وأبو الفتوح بن الحصري وثابت بن مشرف الأزجي، ولد سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وتوفي في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وكان حاضر الجواب ويعرف الطب والكحل[210] .

(210) وفيات الأعيان :ج2 ص 186.

- فوات الوفيات:ج2ص314.
- مفتاح السعادة:ج1ص174.
- مرآة الزمان: ج8 ص187.
- مرآة الجنان: ج3 ص315.

شعره

يـــا باعثـــا طيفــــه مثـــــالا   مــا لــك فـــي الحســن مــن مثــال

وإنـــــما كـــان ذاك عـشـقـــا   بـــعث خيـــال إلـــى خيـــال

ومن شعره:

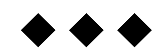
ومدامة مرحت وقـد مزجت لمن   شرب العقـار فسـاده بصلاحـه

يستنفذ الهمـوم مـن يـد فكـره   قسـرا فـروح مـديمها في راحـه

لم يحتج السـاقي عشيـة صبهـا   في كأسـه لـيلا إلى مصباحـه

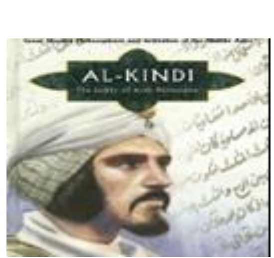
فصـباحه كمسـائه سكـرا بهـا   ومسـاؤه مـن نورهـا كصباحـه

وقداحـه قـد فـاز حـين أراقـها   مـن لهـوه إلا بريـق في أقداحـه



41 - الكندي







الاسم: يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران.

تاريخ الميلاد : 186هـ ـ 801م .

مكان الميلاد : مدينة (واسط) ـ نهر البصرة ـ العراق

تاريخ الوفاة : 252هـ ـ 865م .

سبب الوفاة : ألم شديد بالرأس والركبتين والأعصاب .

الجنسية : عراقي.

المهنة : عالم رياضيات ـ فلك ـ كيمياء ـ طبيب ـ فيلسوف.

موجز السيرة

نظرا لأهمية هذا العالم فإننا نلقى عليه الضوء بإسهاب وذلك من باب المساعدة للباحثين وكون جده الأشعث بن قيس من كبار صحابة رسول الله ﷺ وهو الذى مدحه الأعشى بن قيس بن ثعلبة بقصائده الأربع الطوال التي[211]:

أولاهن: لعمرك مطول هذا الزمن.

والثانية: رحلت سمية غدوة أجمالها.

والثالثة: أزمعت من آل ليلى ابتكارا.

والرابعة: أتهجر غانية أم تلم.

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد كرب بن معاوية بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن (الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر) بن معاوية بن ثور بن مربع بن كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشحب بن (عريب بن زيد كهلان بن سبابن يسحب بن يعرب بن قحطان).

وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدى والرشيد وكان الأشعث بن قيس بن معد كرب ملكا على جميع كندة. وكان أبوه معد كرب بن معاوية ملكا على بنى الحارث الأصغر بن معاوية فى حضرموت . وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكا بحضرموت أيضا على بنى الحارث الأصغر وكان معاوية بن الحارث الأكبر وأبوه ثور ملوكا على معد(بالمشقر) واليمامة والبحرين. . وكان يعقوب بن إسحاق الكندى عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة فى جميع العلوم. وقال سليمان بن حسان إن يعقوب بن إسحاق الكندى شريف الأصل بصرى كان جده ولى الولايات لبنى هاشم

(211) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء : تحقيق ودراسة د./ عامر النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب2001 ج2، ص 172 .

ونزل البصرة وضيعته هناك وانتقل إلى بغداد وهناك تأدب. وكان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق ، وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم. ولم يكن فى الإسلام فيلسوف غيره احتذى فى تآليفه حذو «أرسطو طاليس» ، وله تآليف كثيرة فى فنون العلم. وخدم الملوك فباشر بالأدب، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ولخص المستصعب وبسط العويص. وقال أبو معشر فى كتاب المذكرات لشادن وحذاق التراجمة فى الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ،، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبري.

وقال بن النديم البغدادى لا الكاتب المعروف بابن أبى يعقوب فى كتاب الفهرست، كان أبو معشرـ (جعفر بن محمد البلخى) من أصحاب الحديث أولا ومنزلة فى الجانب الغربى بباب خراسان ببغداد يضاغن الكندى ويغرى به العامة ويشنع عليه لعلوم الفلاسفة . فدس عليه الكندى من حسن عليه النظر فى علم الحساب والهندسة فدخل فى ذلك يكمل له إلى علم (أحكام) النجوم، وانقطع شره عن الكندى بنظره فى هذا العلم ، لأنه من جنس علوم الكندى.

ويقال: إنه تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وكان فاضلا حسن الإصابة وضربه (المستعين) أسواطاً، لأنه أصاب فى شيء خبر بكونه قبل وقته فكان يقول أصبت فعوقبت وكان مولده بواسط يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وتوفى أبو معشرـ وقد كان جاوز المائة سنة.وقال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم فى كتب حسن العقبى ، حدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب قال كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر فى أيام المتوكل يكيدان كل من تقدم فى معرفة . فأشخصا (سند ابن على) إلى مدينة السلام (بغداد) وباعداه عن المتوكل.

ودبرا على الكندى حتى ضربه المتوكل وتوجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها وأفرادها فى خزانة سمّيت الكندية ، ومكنت هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة.وتقدم إليهما فى حفر النهر المعروف بالجعفري، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغانى الذى عمل المقياس الجديد بمصر، وكانت معرفته أوفى من توفيقه،لأنه ماتم له عمل قط ، فغلط فى فوهة النهر المعروف بالجعفري، وجعلها أخفض من سائره فصار مايغامر الفوهة لايغمر سائر النهر. فدافع محمد وأحمد ابنا موسى فى أمره واقتضاهما المتوكل فسعا بهما إليه ....قال محمد ابن موسى لسند بن على : يا أبا الطيب إن قدرة الحر تذهب حفيظته وقد فزعنا إليك فى أنفسنا ، وما ننكر أننا أسئنا ، والإعتراف يهدم الإقتراف فتخلصنا كيف شئت. فقال لهما : والله إنكما لتعلمان مابينى وبين الكندى من العداوة والمباعدة ولكن الحق أولى ماأتبع ،أكان من الجميل ماأتيتماه إليه من أخذ كتبه ؟ ووالله لاذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه. فتقدم محمد بن موسى فى حمل الكتب إليه وأخذ خط باستيفائه ، فوردت رقعة الكندى بتسلمها عن آخرها. فقال : قد وجب لكما على ذمام برد كتب هذا الرجل ، ولكما ذمام بالمعرفة التى لم ترعياها فى والخطأ فى هذا النهر .

لكن الكندي لم يعد إلى سابق عهده في قصر الخلافة، فمات بعد سنوات قليلة مجهولاً مغموراً بعد أن عاش ما يقرب من سبعين سنة. وذكر في وفاته إنه كان يشكو ألما في ركبتيه وكان يعالج ذلك بالشراب العتيق، ولما كف عن تناول استخدام شراب العسل لم ينفعه، فقوي المرض عليه فأوجع العصب وجعا شديدا، فأتى الألم إلى الرأس والدماغ فكان سبب موته.

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب فى كتاب الفهرست(212): كان من تلامذة الكندي ووراقيه حسنوية ونفطوية وسلموية وأخر على هذا الوزن. ومن تلامذته أحمد بن الطبيب وأخذ عنه أبو معشر أيضا. قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة فى كتاب فوائد الدر : قال بعضهم أنشدت يعقوب ابن إسحاق الكندى(213).

(212) الفهرست : مصدر سابق ص 315.

(213) عيون الأنباء : مصدر سابق ص177.

وفى أربـع منـى حلـت منـك أربـع فـما أنـا أدرى أيهـا هـاج لى كربـى
أوجهـك فى عينـى أم الطعـم فى فمـى أم النطق فى سـمعى أم الحـب فى قلبـى

*** من مأثورات الكندى ووصاياه[214] :**

ـ العبد حر ماقنع، والحر عبد ماطمع

ـ من ملك نفسه ، ملك المملكة العظمى.

ـ لاتُنال الفلسفة إلا بالرياضيات.

ـ العاقل من يظن أن فوق علمه علما ، والجاهل يظن أنه قد تناهى فتمقته النفوس.

ـ يحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء ليكون فيلسوفاً فإذا نقصت نقص:

ذهن بارع، وعشق لازم ، وصبر جميل ، وورع خال ، وفاتح مفهم ، ومدة طويلة.

ـ من جهل رزل.

(214) المصدر السابق ص177.

*** وصاياه لابنه أبى العباس:**

«يابنى الأب رب ، والعم خال، والولد كمد ، والأقارب عقارب ، وقول لا : يصرف البلاء وقول نعم : يزيل النّعم ، وسماع الغناء بِرسام حاد؛ لأن الإنسان يسمع فيطرب، وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت ، والدينار محموم فإن صرفته مات، والدرهم محبوس فإن أخرجته فر، والنّاس شجرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ، ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة، فإنها تدع الديار بلاقع» .

*** مصنفات الكندي**(215)**:**

كانت للكندي وفرة من المصنفات ، فقد جاوزت كتبه ورسائله المائتين في مختلف المعرفة ، إلا أن أكثرها قد فقد أصله العربي . ومن هذه المصنفات:

(أ) في المنطق:

1 ـ كتاب المدخل المنطقي المستوفى.

2 ـ كتاب المدخل المختصر.

3 ـ كتاب المقولات العشر.

4 ـ كتاب البرهان المنطقي.

(215) المصدر السابق ص191:178

– الفهرست : مصدر سابق ص 321:315.

– قطوف من سير العلماء : ص

– تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى: مصدر سابق :41.

(ب) في الفلكيات:

5 ـ كتاب ظاهريات الفلك.

6ـ كتاب في العالم الأقصى .

7 ـ كتاب في الصور.

8 ـ كتاب في المناظر الفلكية.

10 ـ كتاب في صنعة بطليموس.

11ـ كتاب في تناهى جرم العالم .

12 ـ كتاب في ماهية الفلك واللون اللازوردي المحسوس من جهة السماء.

13 ـ كتاب في البرهان على الجسم السائر وماهية الأضواء والظلام.

(ج) في الطبيعيات:

11 ـ كتاب في الطب الروحانى.

12 ـ كتاب في الطب البقراطى.

13 ـ كتاب في الغذاء والدواء.

14 ـ كتاب في الأبخرة.

15 ـ كتاب في أقسام الحميات.

16 ـ كتاب في أجساد الحيوان إذا فسدت.

17 ـ كتاب في قدر منفعة صناعة الطب.

18 ـ كتاب في صنعة أطعمة من غير عناصرها.

19 ـ كتاب في تغيير الأطعمة.

20 ـ كتاب في القرابازين.

21 ـ كتاب في منفعة الاختيارات.

22 ـ كتاب الأدوية المشتقة من الروائح المؤذية.

23 ـ كتاب في علة نفث الدم.

24 ـ كتاب أشفيه السموم.

25 ـ كتاب كيفية الدماغ.

26 ـ كتاب في وجع المعدة والنقرس.

27 ـ كتاب نفس العضو الرئيسي في الإنسان.

28 ـ علاج الطحال.

29 ـ حدود المواليد.

30 ـ تحويل سنى العالم .

31 ـ الاستدلال بالكسوفات على حوادث الجو.

32 ـ كتاب تدبير الأصحاء.

(د) في الفلسفيات:

33 ـ كتاب في الفلسفة الداخلة.

34 ـ كتاب في أنه لاتنال الفلسفة إلا بالرياضيات.

35 ـ كتاب في قصد أرسطو طاليس في المقولات.

36 ـ كتاب في أقسام العلم الإنسي.

37 ـ كتاب في الحث على تعلم الفلسفة.

38 ـ كتاب في ترتيب كتب أرسطو طاليس.

39 ـ كتاب في مائية العلم وأقسامه.

40 ـ كتاب في الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد.

41 ـ كتاب في أن أفعال الباري كلها عدل.

42 ـ كتاب في مائية الشيء الذى لانهاية له.

43 ـ كتاب في اعتبارات الجوامع الفكرية.

44 ـ كتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات.

45 ـ كتاب في بحث المدعى أن الأشياء الطبيعية تفعل فعلا واحدا بإيجاب الخلفة.

(هـ) في الحسابيات:

46 ـ رسالة في تأليف الأعداد.

47 ـ رسالة في المدخل إلى الأرثماطيقى.

48 ـ رسالة في الحساب الهندى.

49 ـ رسالة في الأعداد التى ذكرها أفلاطون.

50 ـ رسالة في التوحيد من جهة العدد.

51 ـ رسالة في النسب الزمانية.

52 ـ رسالة في الحيل العددية وعلم إضمارها.

53 ـ رسالة في الخطوط والضرب بعدد الشعير.

54 ـ رسالة في الكمية المضافة.

(و) في الكريات:

53 ـ رسالة في أن العالم كل مافيه كروى.

54 ـ رسالة في أن العناصر والجرم الأقصى كرية.

55 ـ رسالة في أن الكرة أعظم الأشكال الجرمية.

56 ـ رسالة في الكريات.

57 ـ رسالة في عمل السمت على كرة.

58 ـ رسالة في أن سطح ماء البحر كرى.

59 ـ رسالة في تسطيح الكرة.

(ز) : في النجوميات:

60 ـ رسالة في رؤية الهلال لاتُضبط بالتحقيق وإنما القول فيه بالتقريب.

61 ـ رسالة في السؤال عن أحوال الكواكب.

62 ـ رسالة في كيفيات النجومية.

63 ـ رسالة في مطروح الشعاع .

64 ـ رسالة فيما ينسب إليه كل بلد من البلدان إلى بروج أو كوكب.

65 ـ رسالة في تصحيح عمل نحو دارات المواليد.

66 ـ في أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن.

67 ـ رسالة في رجوع الكواكب.

68 ـ رسالة في سرعة مايرى من حركة الكواكب في الأفق وإبطائها كلما علت .

69 ـ رسالة في فصل مابين السنين.

70 ـ رسالة في الأوضاع النجومية.

71 ـ رسالة في علل أحداث الجو.

72 ـ رسالة في علة أن بعض الأماكن لاتمطر.

(ح) في الهندسيات:

73 ـ كتاب أغراض كتاب إقليدس.

74 ـ كتاب إصلاح إقليدس.

75 ـ كتاب اختلاف المناظر.

76 ـ كتاب اختلاف مناظر المرآه.

77 ـ كتاب تقسيم المثلث والمربع .

78 ـ كتاب كيف تعمل الدائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة.

79 ـ رسالة في إصلاح المقالة الرابعة والخامسة عشرة من كتاب إقليدس.

80 ـ كتاب البراهين المساحية.

81 ـ كتاب تصحيح أقوال أبقيلادس في المطالع.

82 ـ كتاب صنعة الإسطرلاب.

83 ـ كتاب استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة.

84 ـ كتاب عمل الرخامة بالهندسة.

85 ـ كتاب عمل الساعات على صفيحة تنصب على سطح الموازى للأفق .

86 ـ رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة.

(ط) في النفسيات:

87 ـ كتاب في أن النفس جوهر بسيط غير دائر.

88 ـ كتاب في علة النوم والرؤية وما تؤمر به النفس.

(ى) في السياسيات:

89 ـ كتاب تسهيل سبل الفضائل.

90 ـ كتاب دفع الأحزان.

91 ـ كتاب في فضيلة سقراط.

92 ـ كتاب في ألفاظ سقراط.

93 ـ كتاب في المحاورة بين سقراط وأرسوا يس.

94 ـ كتاب فيما جرى بين سقراط والحرّانين

95 ـ كتاب خبر العقل .

96 ـ رسالة في الرئاسة.

97 ـ رسالة في الأخلاق.

98 ـ رسالة في سياسة العامة.

99 ـ رسالة في التنبيه على الفضائل.

100 ـ رسالة في خبر موت سقراط .

(ك) في الإحداثيات:

101 ـ كتاب في ماهية الزمان والحين والدهر.

102 ـ كتاب في اختلاف الأزمنة التى تظهر فيها قوى الكيفيات الأربع الأولى.

103 ـ كتاب في العلّة التى يبرد بها أعلى الجو ويسخن ماقرب من الأرض.

104 ـ كتاب في الأثر الذى يظهر في الجو ويسمى كوكباً.

105 ـ كتاب في الكوكب الذى يظهر أياماً ويضمحل.

106 ـ كتاب في علّة برد أيام العجوز.

107 ـ كتاب في علة الضباب.

(ل) في الأنواعيات:

108 ـ كتاب في أنواع الجواهر الثمينة

109 ـ كتاب في أنواع السيوف والحديد .

110 ـ كتاب التنبيه على خدع الكيميائيين .

111 ـ رسالة في كيمياء العطر والتصعيدات.

112 ـ كتاب في المد والجزر .

113 ـ كتاب أركان الحيل.

114 ـ كتاب في عمل المرايا المحرقة .

115 ـ رسالة في الأجرام الغائصة في الماء.

116 ـ كتاب في علّة الرعد والبرق والثلج والصواعق والمطر.

117 ـ كتاب في إبطال دعوى من يدعى صنعة الذهب والفضة .

118 ـ كتاب في الخيل والبيطرة.

119 ـ كتاب فيما يصبغ فيعطى لونا.

(م) في الجذريات:

120 ـ كتاب الرد على التنويه.

121 ـ كتاب الاحتراس عن خدع السفسطائية.

122 ـ كتاب نقض مسائل الملحدين .

123 ـ كتاب تثبيت الرسل عليهم السلام .

124 ـ كتاب في الاستطاعة زمانها ومكانها.

125 ـ كتاب في أن الحركة الطبيعية والعرضية سكون.

126 ـ كتاب في الجسم وأنه لاساكن ولا متحرك في أول إبداعه .

127 ـ كتاب في التوحيدات.

128 ـ كتاب في جواهر الأجسام .

129 ـ كتاب القول في أوائل الأجسام.

130 ـ كتاب في الجزء التى لايتجزء.

(ن) في الموسيقيات:

131 ـ رسالة في خبر صناعة التأليف .

132 ـ رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى.

133 ـ الرسالة الكبرى في التأليف(أو الكتاب الأعظم في التأليف).

❋ السلم الموسيقى عند الكندى:

الكندي من أوائل الذين قدموا دراسات متميزة عن الأنغام وطبيعة الأصوات الموسيقية وعلم التأليف. والجميل أنه حدد مواقع النغمات على أوتار العود بنسبها العددية وبواسطة دساتين (مواقع) الأصابع (السبابة– الوسطى – الخنصر – البنصر) على الأوتار. وفي ذلك العصر ـ يطلق على النغمات أحرفا أبجدية من حروف الجّمل (أبجد – هوز – حطي ...) والسلم الموسيقي عنده مكون من سبعة نغمات أساسية والديوان لديه مكون من اثنى عشرة نغمة والمسافة بين كل نغمة والأخرى نصف بعد. وأطلق عليها (أ- ب – ج – د - هـ - و- ز- ح – ط – ي - ك - ل) ويقابلها بالمفردات الموسيقية الحالية اذا اعتبرنا مطلق صوت وتر البم (لا): (لا- سي بيمول – سي – دو - دوه - ري – مي بيمول – مي – فا – فاه - صول – لا بيمول) ويلاحظ أن الأبعاد بين النغمات

أما بعد كامل او نصف بعد ولا يوجد في سلم الكندي هذا مسافة الربع تون. وهذا السلم في أبعاده شبيه بسلم فيثاغورث العالم الرياضي اليوناني. وقد بين العالم الكندي مواضع النغمات على آلة العود وان عددها 25 موضع (ديوانيين) لكن المستخدم منها، حسب رأيه، عشرون نغمة فقط والغير مستخدم عددها خمسة نغمات هي (سي بيمول – مي بيمول – لا بيمول – دو دييز – فاه). ودوزان أوتار العود عند الكندي كالتالي (لا – ري – صول – دو – ثم الوتر الخامس النظري يدوزن على نغمة – فا).

وللكندي مؤلفات كثيرة أغلبه قد فقد وتبقى بعضها في المكتبات الغربية، وضاع الأصل !! وله مباحث في الضوء والحرارة وحركة الرياح وظاهرة المطر وظاهرة الضباب والكهرباء الساكنة ولون السماء وظاهرة المد والجزر والمنظومة الشمسية والموسيقى (انظر مؤلفنا أغرب قضايا السبق العلمى لعلم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ قريبا ـ موسوعة في عشرة أجزاء)

السلم الموسيقي الذي وضعه الكندي هو سلم الموسيقى العربية المستعمل الآن . والصورة صفحة من كتاب الموسيقى للكندي .

شعره

أنـــا في الـــدنيا عـــلى الأرؤس ... فغمـــض جفونـــك أو نكـــس

وصائد سـوادك وأقـبض يـديك في ... قعـــر بيـــتك فاســـتجلس

وعنـــد مليكـــك فابـــغ العلـــو ... وبالوحـــدة اليـــوم فاســـتأنس

فـإن الغنـى فـي قلـوب الرجـال ... وإن التعـــــزز بـــــالأنفس

وكـائن تـرى مـن أخـى عسره ... غنـــى وذي ثـــروة مفلـــس

فـإن تطعـم الـنفس مـا تشتـهى ... تقيـــك جميـــع الـــذى تحتسى

ومن شعره[216]:

مـن لم يكـن يومـه الـذي هـو فيـه ... أفضـل مـن أمسـه ودون غـده

فـالموتُ خيـرٌ لـه وأرواحُ مـن ... حيـاة سـوء تفـت فـي عضـده

ومنه:

وبحـق لطفـك كـلّ سـوء اتقـي ... فـامنُنْ بإرشـادي إليـه ووفـق

أحسـنت في المـاضي وإنـي واثـق ... بـأن تجـود علـيّ فيـما قـد بقـى

أنـت الـذي أرجـو فـمالِيَ والـورى ... إن الـذي يرجـو سـواك هـو الشـقي

◆◆◆

(216) الوافي بالوفيات: مصدر سابق.

خاتمة

لقد انتهينا بحمد الله من كتاب «علماء الصيدلة والنبات الشعراء»، ونرجو من القرّاء والباحثين تقبل عذرنا إذا ما كان هناك تقصير في سرد حياة العالم أو في بعض الأخطاء التي في القصائد ولاسيما الأراجيز الطبية حيث أن الأرجوزة شعر تعليمي لا يلتزم ببحور الشعر وتفعيلاته وتوجد في المخطوطات كثير من الأخطاء النحوية والإملائية ، وقد آثرنا أن نضعها كما هي حتى نحافظ على أصالة التراث العربي والإسلامي ، فضلاً على أنني قد عانيت الكثير في قراءة المخطوطات ، وذلك لغرابة بعض النّسخ المغربية للعلماء ، والتلف الذي لحق بالمخطوطات نتيجة عدم الاهتمام بها قديماً ، ونتيجة الحروب والسرقات، كما ننوه على أنه هناك العديد من علماء الصيدلة والحيوان لم يذكر صراحةً أنهم قالوا الشعر ، أو أن البعض منهم لم نهتدي له على شعر .وإذا كان هناك نقص أو تقصير فنرجو الاتصال بنا عن طريق دار النّشر.

وأرجو أن يكون الكتاب ذا نفع للباحثين في تراث الإنسانية وأن يكون تخليداً لعلماء العرب والمسلمين أبد الدّهر ، ونسأل الله تعالى أن يُقيّض لنا من يقوم بإظهار الصالح والنافع من أعمالنا بعد مماتنا ويكون ذلك في ميزان حسناتنا.

والله نعم الهادي ونعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤرخ المصري/ سمير محمد عثمان الحفناوي

historian_samir@yahoo.com

قصيدة في الصلاة على رسول ﷺ

اقرءوها لتنعموا بفضلها :

يـاربِّ صَـلِّ عَـلى الُمختـارِ مـن مُّضَرٍ ـ والأنْبيـا وجميـع الرُّسْـلِ مـا ذُكِـرُواْ
وصَـلِّ ربِّ عَلَـى الهـادي وشـيعته وصَـحْبِهِ مَـنْ لِطيِّ الـدِّينِ قد نشر ـواْ
وجاهـدوا معـه فـي الله واجتهـدوا وهــاجروا ولــه آوَوْا وقــد نصرــوا
وبيّنـوا الفـرض والمسنونَ واعتصبوا لله واعتصـــموا بـــالله فانتصرـــوا
أذكــى صــلاةٍ وأنماهــا وأشرفِهــا يُعطّـرُ الكـونَ مـن نشرُـها العطِـرُ
معبوقــةٍ بعبيــقِ المســكِ ذاكيــةٍ مــن طيبهــا أرجُ الرضــوانِ ينتشِرُــ
عـدَّ الحصى ـ والثَّرى والرمـلِ يتبعُها نَجـمُ السـما ونبـات الأرضِ والَمـدَرُ
وعــدَّ وزنِ مثاقيــلِ الجبــالِ كمــا يليــهِ قطــرُ جميــعِ المــاءِ والمطــرُ
وعـدَّ مـا حَـوتِ الأشـجارُ مـن ورقٍ وكــلُّ حــرفٍ غــدا يُــتلى ويُســتَطِرُ
والوحشُ والطيرُ والأسماكُ مع نعمٍ يلــيهمُ الجــنُّ والأمــلاكُ والبشَرُــ
والذرُّ والنملُ مع جمعِ الُحبوبِ كذا والشعرُ والصُّوفُ والأريـاشُ والـوَبَرُ
ومـا أحـاط بـه العلـمُ المحيطُ ومـا جـرى بـه القلـمُ المـأمورُ والقـدرُ
وعــدَّ نَعْمائِــك الــلاتي مَنَنْــت بــها على الخلائق مُذْ كانواْ ومُذْ حُشِرُـواْ
وعـدَّ مِقْدَارِهِ السَّـامِي الـذِّي شَرُفَـتْ بــهِ النَّبيــون والمــلاكُ وافتخــرواْ
وعـدّ مـا كـان في الأكـوان ياسـندي ومــا يكــونُ إلى أن تُبعــثَ الصُّــورُ
في كــلِّ طرفــةِ عــينٍ يطرفــون بهــا أهلُ السمواتِ والأرضينَ أوْ يـذَرواْ
ملءَ السّموات والأرضينَ مَع جَبلٍ والفرشِ والعرشِ والكّرْسي وما حصرواْ
ما أعـدم اللهُ موجـوداً وأوجـد معـدوما صـــلاةً دوامـــاً لـــيس تنحصِرُـــ
تستغرقُ العدَّ مع جمع الدُّهورِ كما تحــيطُ بالحــدِّ لا تُبقــي ولا تــذرُ
لا غايــة وانتهــاءً يــا عظــيمُ لــها ولا لـــها أمـــدٌ يُقضى ـــ فيُعتـــبرُ

وعدَّ أضعافِ ما قد مرَّ من عـددٍ مع ... ضـعف أضعافــه يــا مــن لــهُ الْقــدرُ

كــما تحــبُّ وتــرضى سـيدي وكمــا ... أمرتنــا أن نصــلي أنـــت مقتـــدرُ

مـع السـلامِ كـما قـدْ مرَّ مــن عـددٍ ... ربِّي وضــاعفهما والفضــلُ منتشرُــ

وكــلُّ ذلــك مضرــوبٌ بحقــك في ... أنفـاس خلقـك إن قلّـواْ وإن كثـرواْ

يــاربِ واغفــر لقاريهــا وســامعها ... والمســلمين جميعــا أيــنما حضرــوا

ووالــــدينا وأهلينــــا وجيــــرتنا ... والكـــل ســيـــدي للعفـــو مفتقـــرُ

وقــد أتيــت ذنوبــا لا عِــداد لـــها ... لكـــنّ عفـــوك لا يُبقـــى ولا يـــذرُ

أرجـوك يــارب في الــدارين ترحمنـا ... بجــاه مـــن في يديــه ســبح الحجــر

اللهم صلي على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

◆ ◆ ◆

التعريف بالمؤلف



الاسم : سمير محمد عثمان الحفناوى .

تاريخ الميلاد : 23 / 4/ 1959م

المؤهل العلمي : بكالوريوس علوم وتربية 1984م

تقدير التخصص : امتياز (رياضيات تطبيقية) ـ جيد (رياضيات بحتة).

العمل الحالي : مفكر إسلامي و مؤرخ علم الرياضيات وتاريخ العلم والعلماء ــ م.م.أ رياضيات ث.

الجنسية : مصري .

الإقامة : مدينة المنصورة .

العنوان : حي البد ماص ـ41 ش السيد عبد الحميد من عبده معروف

البريد الإلكتروني: Historian_samir@yahoo.com

الخبرات خارج مصر

أولاً: في ليبيا:

محاضر فى كلية المعلمين جامعة سبها لتدريس المواد :

1ـ هياكل رياضية منفصلة

2ـ الإحصاء الوصفي والإستقلالى

3ـ جبر خطى – جبر مجرد

4ـ معادلات تفاضلية

5ـ التفاضل والتكامل

6ـ رياضيات مدرسية

محاضر فى المركز العالي للمهن الشاملة بشعبية غات الليبية عام 2002-2003 لتدريس المواد الآتية:

1 ـ تحليل عددي

2 ـ أساسيات رياضيات

3 ـ أساسيات علم الإحصاء

– محاضر فى جامعة غات للتعليم الحر لتدريس التحليل العددي.

– قام بدورة تدريبية لتدريب معلمى التعليم الأساسى والثانوي بشعبية غات-ليبيا لمدة شهرين2003م.

ثانياً: في السعودية:

مشرف الأقسام العلمية بمدارس المواهب الأهلية بالرياض سابقاً .

المؤلفات

مؤلفاتنا

للمؤرخ المصري/ سمير الحفناوي العديد من المؤلفات تربو على نيف وسبعين مؤلفاً في العلوم العقلية والشرعية منها ما هو مطبوع ومنها ما هو تحت الطبع ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

أولاً: كتب ومجلدات منهجية في علم الرياضيات:

(1) المناظرات بين معلمي الرياضيات.... (القاهرة ـ مكتبة ابن سينا).

(2) المنافسات بين معلمي الرياضيات(ج2)...(القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد)

(3) خمسون خطأ فني لمعلمي الرياضيات أثناء التدريس(القاهرة..مكتبة ابن سينا).

(4) الطرائف والألغاز في الجبر والحساب (مكتبة جزيرة الورد ـ القاهرة).

أخطاء ومغالطات مدرسي الرياضيات أثناء التدريس (10أجزاء).

(5) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للمرحلة الإعدادية.(مكتبة جزيرة الورد) .

(6) أخطاء مدرسي الرياضيات في الهندسة للمرحلة الإعدادية.

(7) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للصف الأول الثانوي.

(8) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للصف الثاني الثانوي.

(9) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للصف الثالث الثانوي.

(10) أخطاء مدرسي الرياضيات في الهندسة للصف الأول الثانوي.

(11) أخطاء مدرسي الرياضيات في الهندسة للصف الثاني الثانوي.

(12) أخطاء مدرسي الرياضيات في التفاضل والتكامل للصف الثالث الثانوي.

(13) أخطاء مدرسي الرياضيات في الديناميكا للصف الثالث الثانوي.

(14) أخطاء مدرسي الرياضيات في الإستاتيكا للصف الثالث الثانوي

ثانياً: كتب ومجلدات تراثية في العلوم العقلية:

(16)غرائب وحكايات علماء الفيزياء والرياضيات(5 أجزاء..جزيرة الورد)

(17) رحلة الأرقام العربية من العصور الغابرة إلى العصور المعاصرة (3) أجزاء صدر منها جزءان .... القاهرة ـ مكتبة جزيرة الورد جزيرة الورد).

(18) السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين(مكتبة الإيمان ـ المنصورة).

(19) أغرب القضايا في تاريخ علم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ تحت الطبع) .

(20) الرياضيات في حضارات العالم القديم والحضارة العربية الإسلامية وأثرها على تطور العلوم في أوربا(دار الكتب والوثائق القومية ـ تحت الطبع).

(21) شهادة علماء الغرب والعجم لعلماء المسلمين والعرب (جزءان).

(22) شهادة ساسة الغرب والعجم لعلماء المسلمين والعرب.

موسوعة: العلماء الشعراء، (5 مجلدات):

(23)علماء الكيمياء الشعراء.

(24)علماء الرياضيات الشعراء.

(25)علماء الفلك والفيزياء الشعراء.

(26)علماء الصيدلة والنبات الشعراء.

(27)علماء الطب والحيوان الشعراء.

موسوعة: الأطباء العلماء (5 **مجلدات**):

(28)علماء الرياضيات الأطباء.

(29)علماء الفلك والفيزياء الأطباء.

(30)علماء النبات والكيمياء الأطباء.

(31)علماء الفقه والنحو الأطباء.

(32)علماء الأزهر وعلوم القرآن الأطباء.

موسوعة: علماء العلوم العقلية الفقهاء (4 **مجلدات**):

(33)علماء الرياضيات النحويين والفقهاء.

(34)علماء الفلك والفيزياء النحويين والفقهاء.

(35)علماء الكيمياء النحويين والفقهاء.

(36)طبقات مفسري القرآن والحديث من الفلكيين والرياضيين والأطباء.

موسوعة: أغرب قضايا السبق العلمي في تاريخ العلم،(10 **مجلدات**).

(37) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الحساب.

(38) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الجبر.

(39) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الهندسة والمثلثات.

(40) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الفيزياء.

(41) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الكيمياء.

(42) أغرب قضايا السبق العلمي في علم النبات .

(43) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الفلك.

(44) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الجيولوجيا.

(45) أغرب قضايا السبق العلمي فى الصيدلة .

(46) أغرب قضايا السبق العلمي في علم الطب البشري والحيواني.

موسوعة: عالمات الرياضيات والفيزياء على مرّ التاريخ (10 أجزاء) (غير منشورة)

(47) عالمات رياضيات وفيزياء مصر وتونس والجزائر.

(48) عالمات رياضيات وفيزياء أمريكا وكندا.

(49) عالمات رياضيات وفيزياء بريطانيا واسكتلندا.

(50) عالمات رياضيات وفيزياء فرنسا وألمانيا.

(51) عالمات رياضيات وفيزياء روسيا وسويسرا.

(52) عالمات رياضيات وفيزياء ايطاليا ورومانيا.

(53) عالمات رياضيات وفيزياء الهند والصين وتشيكوسلوفاكيا.

(54) عالمات رياضيات وفيزياء جنوب أفريقيا ونيجيريا وبولندا.

(55) عالمات رياضيات وفيزياء كوبا وأوكرانيا وأيرلندا وأرغينتيا

(56) عالمات رياضيات وفيزياء هنغاريا وبلجيكا والنرويج.

موسوعة: تاريخ الرياضيات العربية في حضارات الإنسانية(10 أجزاء).

(57) الرياضيات في الحضارة الفرعونية.

(58) الرياضيات في الحضارة البابلية.

(59) الرياضيات في الحضارة الإغريقية.

(60) الرياضيات في الحضارة الرومانية.

(61) الرياضيات في الحضارة الهندية .

(62) الرياضيات في الحضارة الصينية.

(63) الرياضيات في الحضارة العربية الإسلامية.

(64) أثر الرياضيات في الحضارات العربية على أوربا.

(65) أثر الرياضيات في الحضارات العربية على العلوم.

(66) أثر الرياضيات في الحضارات العربية على الفنون.

موسوعة: تاريخ اكتشاف الجذور التربيعية والتكعيبية(مجلدان).

(67) الجذور التربيعية والنونية في الحضارة العربية والإسلامية.

(68) الجذور التربيعية النونية في الحضارة الأوربية.

(69) تاريخ اكتشاف الثوابت الرياضية (مجلد).

(70) إنصاف علماء الغرب والمستشرقين لعلماء العرب والمسلمين.

ثالثاً: مؤلفات الإعجاز العلمي للرياضيات في القرآن الكريم:

(71) النسبة التقريبية من التوراة إلى القرآن (مجلد).

(72) النسبة الإلهية في المخلوقات الكونية (2مجلد) .

(73) الهندسة الإيمانية في القرآن والسنة.(2مجلد)

(74) الإعجاز العلمي للميكانيكا في القرآن الكريم

رابعاً: مؤلفات في العلوم الشرعية.

(75) الإبداع الفني والبيان في قصص القرآن الكريم.

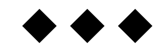
(76) هبات الرحمن في السنة والقرآن (مجلد).

(77) التجليات الإلهية في مراحل العبودية (مجلد).

(78) السياحة في القرآن والسنة (مجلدان).

(79) المحاكمة التاريخية للمعتدين على الإسلام وسيد المرسلين.

(80) الضحك حتى البكاء على قبور المشاهير والعلماء.



فهرس الموضوعات